أسرار النجاح الروحى

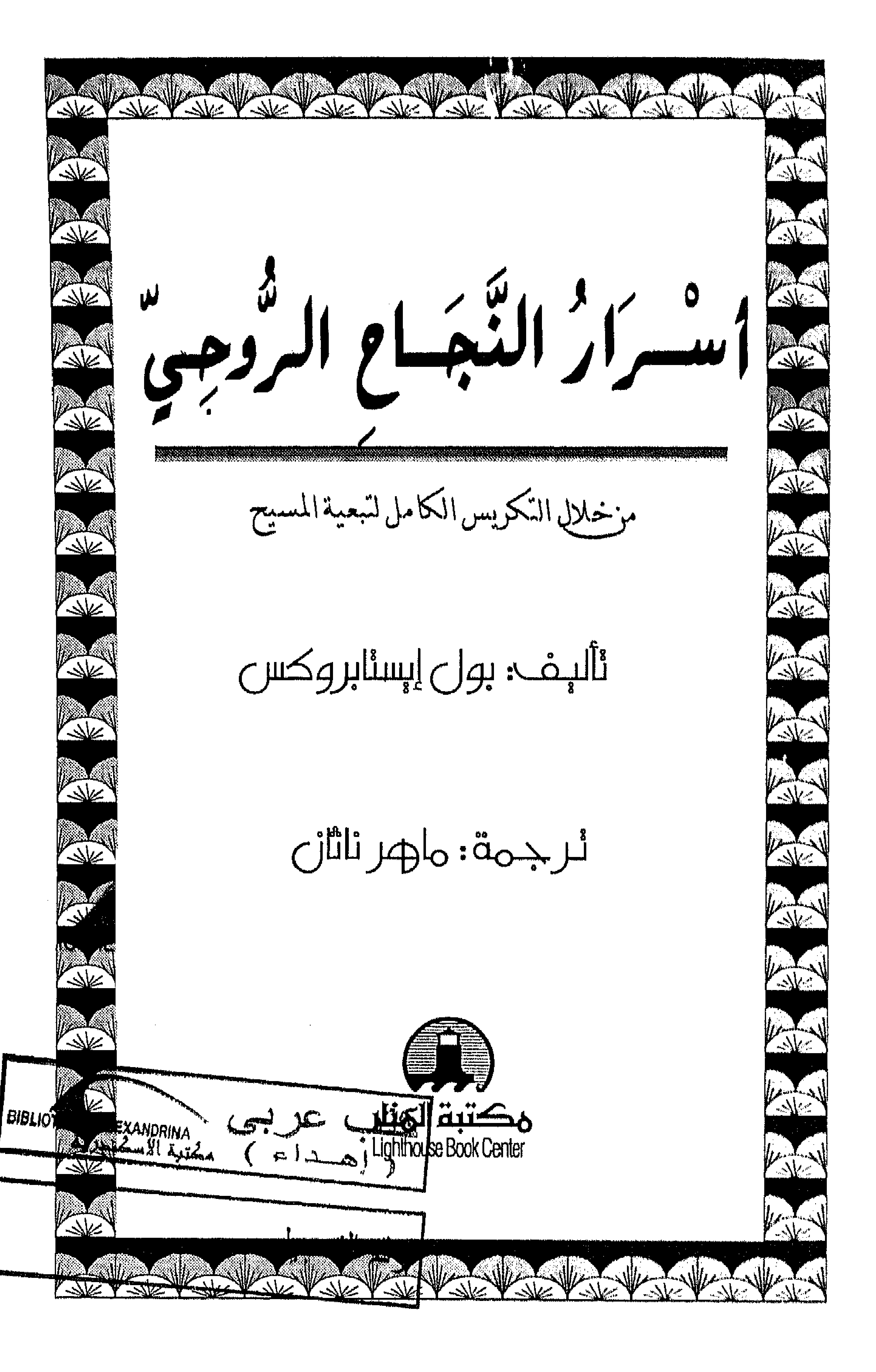
من خلال التكريس الكامل لتبعية المسيح

تأليف : بول إيستابروكس

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة الانجيلية بالعطارين

الاسكندرية



أسرار النجاح الروحي

من خلال التكريس الكامل لتبعية المسيح

تأليف: بول إيستابروكس

ترجمة: ماهر ناثان

مكتبة الهدى عربي
Lighthouse Book Center

طبعة أولى ديسمبر ١٩٩٨

English Title: Secrets To Spiritual Success

أسرار النجاح الروحي

Author: Paul Estabrooks

تأليف پول إيستابروكس

Original publisher: Sovereign World Tonbridge-England

الناشر للنسخة العربية:-

Arabic publisher:
Lighthouse Book Center

مكتبة المنار

17, Murad El-Sherei Street

١٧ ش مراد الشريعي-

Sainte Fatima

سانت فاتيما

Heliopolis, Cairo, Egypt.

مصر الجديدة - مصر

Tel : (202) 249 5030

Fax : (202) 519 1055

رقم الإيداع بدار الكتب: ١٦٦٠٨ / ٩٨

الترقيم الدولي (ISBN): 977 5674-19-5

فهرس

تمهيد

بدون محادثات أو تخاطب لا توجد علاقات. وتوجد أمثلة على ذلك عمرها ألفا عام في نهايات عدة رسائل كتبها بعض الرسل.

من ذلك أن بولس يقول عن تيموثاوس إنه «ابنه في المسيح»، أو عن غايس إنه «مضيفه»، أو يتحدث بعبارات مؤثرة عن أم روفس فيصفها بأنها «أمه».

وماذا تظن في أكيلا وبرسكيلا «الْعَامِلَيْنِ مَعِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، اللَّذَيْنِ وَضَعَا عُنُقَيْهِمَا مِنْ أَجْلِ حَيَاتِي»؟!

كلام مثير، أليس كذلك؟ يمكنني أن أطيل هذه القائمة من الكتاب المقدس، بل وأطيلها أكثر إذا استطعت أن أتعقب تاريخ الكنيسة كله. إنه كلام مثير لأن كل هذه العلاقات كانت **جديدة** ولأنها خرجت إلى الوجود لسبب واحد هو أن شخصاً ما دخل إلى حياتهم: الرب يسوع المسيح. إنها -إن جاز القول- أمثلة توضيحية تثبت حقيقة الإنجيل، وأدلة على صحة معتقداتهم. ليت لي المزيد من التعبيرات لأصف ما أقصد، ولكني آمل أنكم فهمتم قصدي.

هذا هو بالضبط ما فعله أخي وصديقي وزميلي «إيستابروكس» في هذا الكتاب الذي أنصح بقراءته بشدة. فهو لم يعظ بل قدَّم تمهيداً.

إن مجرد قراءتك إحدى هذه القصص يجلب ثراء وغنى لحياتك. فتستطيع حينئذٍ أن تنعم بالعلاقة مع أشخاص حقيقيين، يظهرون على صفحات هذه الكتاب بشكل واقعي ملموس.

وهم ليسوا أشخاصا مثيرين فقط، بل هم أفراد عائلتك التي كان يجب أن تتعرّف عليهم منذ زمن بعيد. لا بل هم أكثر من ذلك، إنهم كثيراً ما يكونون أشخاصا دفعوا ثمناً غاليًا مقابل إيمانهم ، فصاروا مثالاً يُقتدَى به ومصدر إلهام للغير .. إنهم من يطلق عليه الكتاب المقدس «سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ». بدون هؤلاء لا يمكننا أن نكمل المسير.

بعد أن تلتقي معهم في هذا الكتاب ستكون أغنى من ذي قبل، ويمكنك أن تصبح ناجحاً روحياً مثلهم تماماً.

الأخ أندرو

ليس النجاح شهرة أو غنى أو نفوذ ...

تشارلز ملِك

«سِرُّ الرَّبِّ لِخَائِفِيهِ»

(مزمور ٢٥: ١٤)

مقدمة

أسرار هامة

تدور المراوح السقفية من فوق لتحرك الهواء الثقيل الفاتر. أما مكان العبادة الدائري الواسع فمملوء بالعابدين الصامتين، في حين يدق البيانو النغمة الأولى لإحدى الترانيم. يرفع قائد الترنيم صوته بنعومة في مكبر الصوت ويردد: «أسمع صوت مخلصي ينادي ... أسمع صوت مخلصي ينادي ... ». فترتل جماعة العابدين كل سطر استجابةً له. فتشعر أنهم فعلاً يعنون ما يرنمون.

ثم يختتم القائد...

«حيثما يقودني أذهب وراءه.

حيثما يقودني أذهب وراءه.

أذهب معه ... معه ...

طول الطريق».

تموج الغرفة المكتظة بالغناء المتناغم إذ يستوعب مزيد من العابدين الجدد والشباب اللحن والكلمات. وسرعان ما يمتلئ مركز العبادة بتعبير موسيقي عن الالتزام التام بتبعية يسوع المسيح.

ليس هذا وصفاً لحالة إحدى كنائس أمريكا الشمالية، وإنما هو وصف لجماعة من المتعبدين في بكين، عاصمة الصين، في يوم الأحد الموافق ٢٥ يوليو ١٩٩٣. وهم بالطبع يرنمون باللغة الصينية.

الأشخاص الجالسون في جماعة المُصلّين قد دفعوا ثمناً باهظاً لِقاء تبعية يسوع. أمضى بعضهم سنوات في الحبس، وفقد بعضهم أفراد عائلاتهم أثناء اضطهادات سابقة، وهم جميعاً يعرفون بحق معنى التضحية من أجل المسيح.

ورغم الحر الخانق، يتهافتون على كل كلمة تتردد في الخدمة بتركيز شديد. وكثيرون يسارعون بتدوين ملاحظات عن رسالة الصباح من قسيس أمضى خمسة عشر عاماً في السجن بسبب إيمانه. أما نص العظة فهو من لوقا ٧: ٣٦-٣٨، وهو يحكي عن المرأة الخاطئة التي غسلت قدمي يسوع بدموعها ونشّفتهما بشعرها.

فإذا بمرشدتنا الصينية الشابة تتأثر برسالة الغفران تأثراً شديداً، وتركع عقب الخدمة وتطلب من يسوع الغفران الذي أدركت احتياجها إليه. فتُسلّم حياتها له كربٍ ومخلّص. ثم تكتب بعد ذلك

خطاباً تقول فيه: «لقد أخبرت والديَّ وزملائي عن يسوع المسيح ... أنا أحمده على معونته، وهو الآن أعز أصدقائي. كم أنا مسرورة لأنكم قدتموني إليه!»

وبعد ذلك في نفس ذلك اليوم يحكي راعي كنيسة منزلية مُسِن مع زوجته قصة حياتهما. قد أمضى ذلك القس ٢١ سنة و٨ أشهر من مدة خدمته في السجن. ومع ذلك تجده يقول -والابتسامة تعلو وجهه- : «**ليس هذا شيئاً بالمقارنة مع ما كان على يسوع أن يعانيه على الصليب لأجلي!**»

أما زوجته التي تجاوزت الخمسين فتجلس جواره مشرقة الوجه. إنها تتقاسم صعوبات الحياة مع أولادها الستة وحماتها، كان عليها إطعامهم خلال فترة غياب زوجها الطويلة. وتختم هي الحديث فتقول: «**جيد أن يختبر أولادنا المشقات لأنهم حينئذٍ يتعلمّون بأنفسهم أن الله أمين!**»

وفي نفس الغرفة يوجد لاعب كرة سلة محترف فارع الطول لم يمضِ على إيمانه بيسوع المسيح سوى سنتين. وهو يقص عليهم بحزن قراره بترك كرة السلة حتى نهاية العام ليكون مبشراً متجولاً في الأرياف. وخطيبته بجواره لا تزال تحسب نفقة هذا القرار المستقبلي قبل تزوجها منه وارتباطها به ارتباطاً نهائياً.

وعند نهاية اليوم، تقوم زمرة الأمريكيين الشماليين التي أسافر معهم بتقييم انطباعاتها. فنعجب من عدم تمتُّع القوم في وطننا بمثل هذا الالتزام والفرح وبساطة الإيمان. ثم نتباحث هذه المسائل الهامة عدة أيام، ونخلص إلى أنه يوجد شيء اسمه النجاح الروحي. ولكن في بلادنا أفلحنا في كتمان هذا السر أكثر من أي سر آخر في العالم!

يقول كاتب التأملات التعبدية «أوزوالد تشامبرز» إن علامة الصداقة ليست أن يُطلِعك صديقك على أحزانه السرية،

> «بل إن العلامة النهائية على الصداقة الحميمة هي اشتراك الأصدقاء في الأفراح السرية. فهل سمحنا لله أن يُطلِعنا على بعض أفراحه؟ ... هل نحن متحدون في رباط وثيق بفكرة يسوع المسيح عن الصلاة: «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ» (متى ٦: ١٠) حتى نلتقط أسرار الله؟» [1]

طوال السنوات السبعة عشر الماضية التي انخرطت فيها في خدمة الكنيسة المتألمة، كنت أبحث في جوهر هذا النجاح الروحي. وقد استمعت إلى أفراح سرية مثلما استمعت إلى أحزان سرية. ولكن الأهم من ذلك أنني راقبت كيف تحققت هذه الأشياء عملياً في الحياة

---

[1] Oswald Chambers, *My Utmost for His Highest* (Grand Rapids, MI: Discovery House Publishers, 1992) page for June 3.

اليومية حين كشفت البركات «الصغيرة» من لدن الله عن محبته الحميمة في حياة الأفراد.

رغم التقاء الدروس بعضها ببعض في عدة نقاط ومبادئ وأمثلة هامة، حرصت في هذا الكتاب على اختصارها إلى سبع «أفكار رئيسية» أو مبادئ كبرى، مبيَّنة ببلاغة في بداية كل فصل ومُجمَّعة معاً في نهاية الكتاب للمقارنة.

أما استعمالي لمصطلح «الكنيسة المتألمة» فهو إشارة إلى إخوتنا وأخواتنا الذين يعيشون تحت قيود خارجية، قلَّصت إلى حد ما حرية ممارستهم لإيمانهم بالمسيح وإخبار الآخرين عنه.

ولكني أسارع وأضيف أن هذه الأسرار أو المبادئ تصف حالة روحية متفقة ومتسقة مع ما نقرأه في صفحات الكتاب المقدس وما يوجد في قلب الله. ولا يمكن التقليل من شأنها على أساس أنها مجرد اختلافات ثقافية أو بيئية. وكل سر، مع ما يشمله من أقسام فرعية، مبني على الكتاب المقدس، ويشكِّل ما يسميه «واتشمان ني»، وهو أحد المؤلفين المفضَّلين عندي، الحياة المسيحية العادية. وقد يستنتج آخرون أن هذه الأسرار عبارة عن دعوة للبساطة، أي العودة للأسس، للإيمان الذي يتغذَّى على الطعام الصلب.

هنـاك افتراضـان: الأول، إن الشـهادات المشـــجعة مــن أعضــاء الكنيسة المتألمة لا تعني ضمناً أن كل عضـو كـان أو لا يـزال منتصـراً على الدوام، ولا أنه يحيا في هذه الأسرار باستمرار. هم أيضاً بشر ذوو ضعفات كثيرة مثلنا. وقصص الفشل تضارع في عددها قصص النجاح، وسنحكي بعضها في فصول ملائمة لها.

والثاني، إن هذه الأسرار الـتي نحكيـها مـن حيـاة مؤمـني ثلثـي العالم المغلق ليس القصد منها إشعار المسـيحيين في الغـرب بـالذنب. حتى أقرب التلاميذ إلى يسوع طلبوا منه أن يريهم الآب، غير عــالمين أن الله يُظهِر ذاته كثيراً في أولاده بدلاً من إظهار ذاته لأولاده.

ونحن نرجو أن حقيقة النجاح الروحي في حيــاة أعضـاء الكنيسـة المتألمـة سـتحفزنا علـى تقييـم أمراضنـا المعديـة مـن عقلانيـة وماديــة وتعقيد، وترينا مصدر الحيوية الروحية الحقيقية.

أصلي أن لا تظل هذه المبادئ أسـراراً فيمـا بعـد في أفـهامنا، وأن تُطبّق بطريقة عملية جداً في حياتنا اليومية. حينئذٍ تصير أنت أيضـاً ناجحاً روحياً!

سر رقم ١-

محبة الله من كل القلب

إن ما يريده إلهنا الصالح والمحب منك ومني -قبل كل شيء- هو أن نحبه محبة كاملة -فوق كل شيء- وتكون طاعتنا له وللآخرين جميعاً إثباتاً لمحبتنا ... فيكون جزاؤنا جُوده وعنايته الأبوية.

الفصـــل الأول

أحبـــاء مـــدى الحيـاة

لمعت عيناها من الفرحة وسط وجهها الناعم الذي حفرت سـنوات الهموم فيه خطوطاً وتجـاعيد. قـد مـرت سـتة أسـابيع علـى مذبحـة ميدان «تيانانْـمين» المشينة، ونحن الآن جالسون عند قدميـها في غرفـة فندق في بكين، بالصين. يُطلَق عليها تحبباً «العمة إستر»، وهي طبيبة بشرية صينية صغيرة الجسم كبيرة السن. لكنها تخلب أذهاننـا وهـي تحكي لنا اختبارها الشخصي عن أمانة الله. أما صوتها الناعم الرقيق فيخفي وراءه سنوات كثيرة من المعاناة التي اجتازتها.

تتابع حديثها قائلة: «إبّان الثورة الثقافية، اسـتدعاني رئيسـي في العمل ذات يوم. وكنت في ذلك الوقت مسؤولة عن ثمانية عنابر كبيرة للأطفال في المستشفى.

كان الشيوعيون يضيقون الخناق على الأشخاص الذين لم يجاروا تيار الحزب الشيوعي. فحذرني رئيسي بأنه علي إنكار إيماني والانضمام إلى الحزب الشيوعي، وإلا واجهت العواقب الوخيمة التي تتمثل في إنزالي في الدرجة وإنقاص مرتبي.

وبعد ذلك ببضعة أيام، أيقظتني أربع ممرضات بطريقة وقحة بأن جررنني من سريري بعنف وسرن بي في اتجاه المستشفى. وفي الطريق توقفن عند حانوت الحلاق وحلقوا نصف شعري. ثم ووجهت أمام باقي العاملين بالمستشفى لأندد بإيماني بالمسيح وألتحق بالحزب الشيوعي.

فما كان مني إلا أن أجبت: لا أستطيع أن أنكر يسوع. أنا أحب يسوع! وبمجرد ذكري اسمه، طرحوني أرضا وشتموني. بعدها، نزع الكادر الشيوعي بالمستشفى الساعة من رقبتي وقال: أنت لست إستر من الآن فصاعد؛ بل أنت الحمقاء».

ينهمر الدمع من عيوننا ونحن جالسين نتصور خبرات كتلك، سمعنا بها بسمع الأذن فقط ولكننا لم نعشها قط.

تُتابع إستر حديثها فتقول إنها عاشت لمدة إحدى عشر سنة بعد ذلك في قبو المستشفى (جزئها السفلي) وامتثلت بكل خضوع لكل مهامها الجديدة؛ التي انحصرت في تنظيف أرضيات ومراحيض

عنابر المستشفى التي كـانت ترأسـها مـن قبـل. وتم تخفيـض راتبـها الشهري الضئيل من خمسين يُوان إلى خمسة عشر يُـوان.[1] بـل تعيَّـن عليها أيضاً شراء مواد التنظيف منه. أما باقي الراتب فكانت تأكل به.

رغم ذلك كله مارست إستر حضور يسوع في وظيفتها. كانت تـرنم وهي تكدح. وتضيف قائلة والنور يتلألأ من عينيها: «كانت أرضيـات ومراحيض مستشفاي الأنظف في الصين كلها!»

كان طاقم العاملين بالمستشفى يأتون إليها ويسألونها بحسـد شـديد عـن مصدر فرحها على الرغم من بلاياها. فكانت إستر تجيبـهم: حـين تتمتـع بحضور يسوع في قلبك، لا يهم نوع الوظيفة التي تزاولهـا أو المنصب الذي تحتله. إنما ما يهم هو أن تحبه وتكون أميناً ومخلصاً له!

ثم لما انتهت فترة الثورة الثقافيـة، أُعيـد تنصيـب العمـة إسـتر في وظيفتها الأصلية وتم تعويضها عمّا فقدته من راتبها طوال تلك المـدة، مما أتاح لها إرسال واحد من أولادها إلى الولايات المتحـدة الأمريكيـة للحصول على تعليم عالٍ.

ليست حياة العمة إستر إلاّ واحدة فقط من ضمن أمثلة عديـدة مـن الكنيسة المتألمة التي بلَّغـت بـهدوء الرسالة البسـيطة والعميقـة الـتي مفادها أن الله يطلب –قبل كل شيء آخر– أن نحبه من كل القلـب.

[1] كان هذا المبلغ آنذاك يعادل دولاراً أمريكياً واحداً.

أما كل شيء وكل شخص آخـر فيجـب أن يبـهت وتتلاشـى أهميتـه مقارنةً بحبنا الشـديد لـه وشـوقنا الحـار إليـه. يصـف أحـد الكتـاب المعاصرين هذا الحب بأنه «غرام وهيام شديد بالله».[2]

وكل هذا الحب الشـديد ينبـع مـن داخـل الشـخص نفسـه. إنـه يختلف تماماً عن التقوى والورع الديني، الذي هو ليس سوى تكريس لمبادئ وقضايا. وهو ليـس مجـرد عاطفـة وجدانيـة، بـل بـالأحرى عمـل إرادي محض.

أعلن يسوع أن «الله المحبة» هو جوهر ما طلبـه الله مـن البشـرية طـوال تاريخ الوحي، إذ لخّص الناموس والأنبياء باقتباس من (تثنية ٦: ٥):

«تُحِبُّ الرَّبَّ إلهَكَ مِنْ كُـلِّ قَلْبِكَ وَمِـنْ كُـلِّ نَفْسِكَ وَمِـنْ كُـلِّ قُوَّتِكَ».

هكذا أعلن يسوع أن محبـة الله هـي أول وأعظـم وصيـة. والوجـه الآخر من العُملة هو أن تحب قريبك كنفسك، وهو الدليـل الخـارجي على حقيقة محبة الله الداخلية. إنها محبة «مضحية بـالذات»، علـى عكس «المحبة الأنانية» التي تطلب ما لنفسها. إذن فهاتين الوصيتـين الخاصتين بالمحبة هما ملخص وصايا الله جميعاً.

---

[2]Richard J. Foster and James Bryan Smith, *Devotional Classics* (San Francisco, CA: Harper Collin 1990), p. 31.

في جزيرة كوبا الاستوائية شجرة فريدة جداً اسمها agueye. ووجه تفردها هو أن لها مجموعتين من الجذور. هناك جذر رئيسي داخلي غير منظور تستمد منه الشجرة حياتها. بَيْدَ أنه توجد جذور أخرى منظورة وزخرفية، تتدلدل من أفرع الشجرة. يجب أن تكون محبتنا القلبية لله زادنا وزُوّادنا، مصدر حياتنا وقوتنا. وإن محبة الغير إن هي إلاّ دليل خارجي منظور «زخرفي» على ارتباطنا الداخلي بالله.

تتخلل الكتاب المقدس فقرات كثيرة تذكرنا بأن كل ما نفعله من أجل الله لابد أن يكون من كل القلب. ويصور الوحي نفس هذه الحال أيضاً بشخص ينظر في اتجاه واحد وغير مزدوج الرأي.

اشتهر كالب في العهد القديم بأنه أرضىَ الله بشكل خاص. لقد وقع عليه الاختيار أن ينظر أرض الموعد ثم يسكنها. والأمر لم يتوقف فقط على انضمامه إلى يشوع في تقديم تقرير جيد عن الأرض التي خرجوا ليتجسسوها، بل على تمتعه بـ«رُوحٌ أُخْرَى» وعلى سيره وراء الله بقلب كامل.[٣]

قد يرفع العالم من شأن خاصية «الاعتدال»، لكن الله يريد أن يكون أتباعه «حارين». بل يقول إنه لا يقبل المعتدلين (الذين ليسوا

---

[٣] عدد ١٤: ٢٦. من اللافت للنظر أن كالب كان من بين الذين قبلوا تعيين يشوع بعد ذلك قائداً للشعب.

حارين أو باردين) ويعلن أنه سيتقيأهم (رؤيا ٣: ١٦).

أصدقاء حميمون

«لم تكن تجاوزت العشرين حينما قذف بجسدها النهار بخشونة في زنزانة السجن. لم يكن هناك نور. كل ما كانت تعلمه هو أنها في مكان ما تحت الأرض. فإن الأرض كانت مبتلة تماما، والمكان كله كانت تفوح منه رائحة براز آدمي عفنة. وكانت الجرذان والقوارض المؤذية ترتع في المكان كله. لم يكن هناك فراش، لذا فإذا أرادت أن تنام فليس أمامها إلا النوم في برازها وبراز كل الذين سبقوها. وبينما هي جالسة على الأرض أحست بشيء دافئ يسيل على ذراعها، فأمسكت بذراعها وأدركت للمرة الأولى أنها لم تزل تنزف من الضرب.

بدأ بدنها يتورم من الضرب. ولكنها جلست القرفصاء بهدوء؛ لكي يمس الأرض أقل قدر من جسدها، وبدأت تشكر الرب على استحقاقها أن تتألم من أجله. كل ما كان عليها أن تفعله هو التنكر لمخلصها، لكنها رفضت. وها هي الآن: وحيدة، مضروبة، تذرف دموع الفرحة؛ في حين تحولت زنزانتها إلى دار سلام لها. ثم طلبت من الله الحكمة والقوة، لا

لكي تخرج من هذا المكان الشنيع، بل لكي تقدر أن تواصل الكرازة بإنجيل سيدها في كل مكان يضعها فيه».[4]

يسرد صديقي العزيز «كارل لورنس» قصة السيدة «تشين» بشكل تصويري بديع في كتابه المؤثر *The Church in China* (الكنيسة في الصين). قالت السيدة «تشين» في أول مرة سمعتها تقدم شهادتها: «وصلت في السجن إلى مرحلة قلت عندها ليسوع إني أحبه لذاته فقط، وليس لما يمكنه أن يصنع لأجلي أو ما يمكنني أن أناله منه».

يشتهي يسوع المسيح أن نسير معه في علاقة حميمة من الألفة والمودة. إنه يقول:

«لا أعود أسميكم عبيدا، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي»[5]

إن تضحيته بذاته وتبليغه الكامل لكل ما سمعه من الآب يكفل لنا، لا بل يطالبنا، بمحبتنا إياه محبة كاملة وتسليم ذواتنا له.

ولكن مع الأسف برمجتنا بيئتنا وتربيتنا الغربية على أن نحب الشخص -وخصوصا الله- بقدر ما نحصل عليه من علاقتنا به،

[4]Carl Lawrence, *The Church in China* (Minneapolis, MN: Bethany House Publishers, 1985), p. 44.

[5] يوحنا ١٥: ١٥.

وليس بقدر ما يمكننا منحه لهذه العلاقة. يذكرنا «أوزوالد تشامبرز» بالقول:

> «يريدك الله أن تقيم علاقة حميمة به أكثر من أن تتلقى مواهبه. إنه يريدك أن تتعرف عليه ... هدفي هو الله ذاته، لا الفرح ولا السلام، ولا حتى البركة؛ ولكن الله ذاته- إلهي».[6]

أمضى «وانج منج-داوو» -أحد أحب قساوسة الصين- فترة إجمالية في السجن تزيد على ٢٣ سنة. وعندما أطلق سراحه أخيرا، كان يروق له أن يصف تلك الفترة بأنها كان «شهر عسل مع يسوع». سئل أثناء زيارة من بعض الزملاء إذا كانت لديه أية طلبة يمكنهم الصلاة من أجلها. فأجاب: «**صلوا من أجلنا لكي نحب الرب أكثر!**»

يخبرنا مبشرون عالميون عن راعي كنيسة كوبي في مطلع الستينات قاله له أحد رجال الشرطة متباهيا بإيمانه الجديد بالماركسية: «إننا قادرون على محو الكنيسة من كوبا!»

فرد عليه الراعي: «نعم، يمكنكم هدم مباني جميع الكنائس في كوبا، لكن يسوع في قلبي ولا يمكنكم انتزاعه مني!»

[6]Oswald Chambers, *My Utmost for His Highest* (Westwood, NJ: Dodd Mead & Co. Inc.), pp. 118 and 194.

وفي روسيا كابد القس «بيتر بيترز» أوضاعا تقشعر لهـا الأبدان لمـدة إحدى عشر سنة في سجون الجولاج بسيبريا، تخللتها فترات طويلـة من الحبس الانفرادي. ولما سئل عما شد مـن أزره وعضـده، أجـاب: «إنه حضور يسوع».

منذ قرون عديدة مضت استوعب «توماس أكمبس» هذه الفكرة وخط بقلمه الكلمات التالية في كتابه *The Imitation of Christ*:

«تأتي السعادة للشخص الذي يعرف كيف يحب يسوع وكيـف يستخف بذاته من أجل المسيح. ينبغي أن تفوق محبتنا ليسوع كل محبة أخرى. أحبب العالم، فتنهار حين ينهار؛ احتضـن يسوع فتنعم بالثبات إلى الأبد.

أحببه واحفظه صديقا لك. عندما يهجرك الآخرون جميعا، يبقى هو أمينا إلى المنتهى. وفي نهاية المطاف –سواء اخترت أم لم تختر– ستنفصل عن الآخرين جميعا. لذلـك ابـق قريبـا مـن يسـوع سـواء في الحيـاة أو في المـوت. ثـق في إخلاصـه. عندمـا يتخاذل الآخرون جميعا هو وحده الذي سيقدر أن يساعدك.

طبيعة حبيبك تأبى وجود غرماء، وتطالب بمحبتك الكاملة.

إذا نظرت إلى يسوع في كل شيء، فبالتـأكيد سـتجده. وإذا نظرت إلى ذاتك فقـط، فلـن تجـد إلا ذاتـك، وسـيكون في هـذا

خسرانك. من لا يطلبون يسوع يجلبون الضرر على أنفسهم أكثر بكثير مما يمكن أن يبتليهم به أعداؤهم».[٧]

أكثر من الأهل

قضى القس «ميخائيل خوريف» سنوات عديدة في سجن الجولاج السوفيتي، وكتب سلسلة من الخطابات إلى أهله خلال تلك السنوات. فحكى حادثة من شبابه في خطابه الرابع كان لها عظيم الأثر عليه:

«حين ألقي القبض على والدي، اقترح أن نصلي معا كأسرة قبل أن يرحل. لم أعد أتذكر ما صليته أو ما صلته أمي أو أخواتي، وإنما أتذكر بوضوح ما صلاه أبي: «ربي الحبيب، إني أحب زوجتي وأولادي بشدة. ولكني أحبك أنت يا رب أكثر من أي شيء في الدنيا، ولذلك قد اخترت الطريق الضيق المحفوف بالأشواك. إني أتعهد أسرتي بين يديك، يا رب، بكل احتياجاتهم ومستلزماتهم، وأنا مطمئن إلى أنك ستظل أمينا لوعودك. أنا أعلم أني في الأيام القادمة سأرى عائلتي بأكملها مرة أخرى أمام عرشك .... »

أبنائي الأعزاء، لقد شكرت الرب خصوصا يومئذ من أجل والدي،

[7] Bernard Bangley, modern reading of Thomas a Kempis, *The Imitation of Christ* (UK: Highland), p. 33.

الذين أحبا الله من كل قلبهما وعقلهما ونفسهما».[8]

استمر ميخائيل يكتب لأسرته عن محبته الشديدة لهم، ولكن أيضا عن محبته الأشد ليسوع. وعبر عن هذا في إحدى الصلوات المقتبسة عنه على هذا النحو:

«قد يصعب الأمر على أولادي أحيانا، وقد يرشق أحبائي بعبارات اللوم أحيانا، ولكن رغم ذلك أنا أحبك، يا رب، أكثر من أي شيء آخر؛ ولهذا السبب تركت أهلي لأكرس نفسي لخدمتك».[9]

أصعب قول فاه به ربنا كانت وصيته بأننا لكي نُخلِص الحب والخدمة له لابد أن نكره آباءنا وأمهاتنا وأقاربنا وأزواجنا وأبناءها. إذا فسرنا هذا القول تفسيرا سطحيا، نجد أنه يتعارض مع وصية يسوع بأن نحب الجميع.

لكن أغلبية دارسي الكتاب المقدس يجمعون على أن يسوع كان يصرح تصريحا شديد النبرة عن أن محبتنا له ينبغي ألا تضارعها أية محبة أخرى، حتى وإن كانت هذه محبتنا لأعزائنا أو أهلنا.

[8] Mikhail Khorev, *Letters From A Soviet Prison Camp* (Eastbourne, UK: Monarch Publications Ltd., 1986), pp. 89-90.

[9] نفس المصدر السابق، ص ١٤٧.

حتى أبونا إبراهيم -الذي طال انتظاره لابن ووريث- لم يسلم من الاختبار في هذه المنطقة. أراد الله أن يعلم إذا كان إبراهيم يحبه أكثر من ابنه الحبيب إسحاق. ومن ثم أمره أن يضحي به. ومع ذلك، لما أبدى إبراهيم خضوعا عمليا، أعلن الله عن محبته له بتجهيزه ذبيحة بديلة- ذبيحة تنبئ بمجيء ابنه، الذبح العظيم.

كان القس الدكتور «بولس نجروت» راعي أكبر كنيسة معمدانية في أوروبا، تقع في أوراديا برومانيا. خدم هذا الرجل كنيسته بأمانة إبان نظام شاوشسكو الوحشي، ولاقى هو نفسه أسوأ معاملة في أحيان كثيرة.

حكى لقادة هيئتنا أن أصعب وقت يذكره هو الليلة التي عاد فيها إلى بيته متهللا بعد حملة كرازية ناجحة جدا. وبمجرد أن خطا داخل البيت، رأى زوجته تبكي وابنته التي في سن التاسعة ترتعد. حكت له زوجته -وهي تذرف الدموع- أن البوليس السري الروماني حاول اغتصاب ابنتهما يومئذ وهي عائدة من المدرسة إلى البيت، للقضاء عليها وعلى أسرتها.

قال بولس:

«في تلك الليلة اعتراني صراع شديد. فكرت لأول مرة أن أهاجر من رومانيا. وسألت الرب: هل أترك بركة التألم أم أتحمل مشاهدة ابنتي في هذه الحال؟

ثم تحدثت مع زوجتي واخترنا البقاء. وبعد يومين، حاولوا اغتصابها مرة ثانية. ثم بعدها بيومين حاولوا اغتصاب زوجتي. ولكن في كل مرة كان الله يحفظهما بطريقته المعجزية».[10]

إن معاناة أفراد الأسرة –في الغالب– هي أصعب أنواع الاضطهاد. ولكن عندما نركز على محبتنا لله أكثر من الأسرة، يكرم الله هذا القرار وكثيرا ما يربط أفراد الأسرة معا بوشيجة لا تنفصم.

قال راعي كنيسة حكيم متقدم في السن في الصين لمبعوثينا، وهما زوج وزوجة سعيدان في زواجهما: «ينبغي أن تحبا الله أكثر من محبتكما لبعضكما البعض، وهذا ما سيقوي زواجكما».

وقع القس الصيني «وانج منج–داوو» تحت ضغط هائل بعد القبض عليه أول مرة. هذا بأن وعد بإطلاق سراحه والعودة إلى منبره إن هو «وعظ للحكومة». كان يعلم في ضميره أن هذا كذب، وكان واثقا من أنه لا يقدر أن يعيش منافقا.

كان القس «وانج» ماضيا في عزمه، حتى سمع أن زوجته المحبوبة «دبرا» ألقي القبض عليها هي الأخرى وأنها في خطر شديد. سمع أنها لا تأكل كما يجب وأن صحتها تتدهور بسرعة بسبب الطعام

[10] من شريط كاسيت لعظة ألقاها في هولندا في إبريل ١٩٩٠.

السيئ الذي كانت تتناوله في السجن، وما لم يفعل شيئا لن تبقى على قيد الحياة. أزعجه هذا الخبر جدا لدرجة أنه انهار واتفق مع مضطهديه على أن يعظ بـ «أكذوبة» وينضم للكنيسة الخاضعة لرقابة الحكومة.

كانت خطته أن يخرج زوجته من الحبس ويتركها مع أمه ثم ينتحر. ويقال إنه كان يطوف الشوارع وهو يهمهم بكلام غير مفهوم. ولم يلبث المرض الذي في قلبه أن أثر على جسمه.

ولما أدركت السلطات أنه لن يتنازل عن مبادئه بالوعظ في الكنيسة الخاضعة لرقابة الحكومة، أعادت القس «وانج» وزوجته إلى الحبس. وحكم عليها بخمسة عشر سنة في السجن بينما حكم عليه بالسجن المؤبد.

ولكن الله ذكره في مستهل فترة حبسه الثانية بآيات من (ميخا ٧:٧-٩) كان قد حفظها عن ظهر قلب وهو في الواحد والعشرين:

«ولكنني أراقب الرب، أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي. لا تشمتي بي يا عدوتي، إذا سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي. أحتمل غضب الرب لأني أخطأت إليه، حتى يقيم دعواي ويجري حقي. سيخرجني إلى النور، سأنظر بره».

لم يعد «منج-داوو» خائفا- لا على نفسه ولا على زوجته. ثم أطلق سراحه أخيرا سنة ١٩٨٠ عن عمر يناهز الثمانين. كان جسمه

متهالكا وأوشك علـى فقـدان بصـره وسمعـه ، بعـد قضـاء ٢٣ سـنة في السجن. أما زوجته «دبرا» فأفرج عنها قبلـه بثـلاث سـنوات لأسـباب صحيـة. وقـد كـان سـبب تشـجيع عظيـم للكنيسـة في الصين طيلـة الإحدى عشر سنة التالية من حياته ، ليس هذا فقط بـل وكـان سـبب تشجيع كبير للزوار الأجانب الذين استضافاهم هو وزوجته «دبرا».[١١]

ربما لا تتوقع أن يلقى أي فرد من أفراد الأسر المسـيحية في الفلبـين أي اضطهاد. ولكن أغلبية سكان جزيرة مندناو الجنوبية غير مسيحيين.

«كومبا باندا» من خلفية غير مسيحية ، وكان والده رجل دين. كان زعيم عصابة رديء السمعة وأمضى سنوات في السجن بتهمـة السـرقة والقتل. ولكنه بينما كان في السجن قابل يسوع المسيح.

بعد الإفراج عنه ، كـان فعـالا جـدا في اقتيـاد غـير المسـيحيين إلى المسيح في مسقط رأسه مندناو مما أثـار حفيظـة الأصوليـين في المنطقـة عليه فاختطفوا ابنتـه «إسـترليتا» البالغـة الرابعـة عشـر سـنة ١٩٩١. وأعلنوا أنهم لن يعيدوها إلا إذا أنكر دينه الجديد. فصلى هو وزوجته بحرارة من أجل هـذا الأمـر، وأحسـا أنـه لا يمكنـهما الإذعـان لهـذا

[11] Brother David with Lela Gilbert, *Walking the Hard Road* (London, UK: Marshall Pickering, 1989), pp. 39-41.

الابتزاز التهديدي. واستمر يكرز لمدة ثلاثة سنوات دون أن تصله أية أخبار محددة عن فلذة كبده الغائبة.

وهو يختم بالقول:

«على الرغم مما فعلوا بابنتي من أفعال بشعة، أنا لا أخشى أحدا إلا الله وحده! صلوا من أجل ابنتي ومن أجل استمراري في الكرازة بالمسيح».[١٢]

قد نتهمه بقساوة القلب بسبب رد فعله لما حدث لأسرته، وقد نتساءل: من الذي كان يقوتهم ويعتني بهم؟ ولكن في مطلع عام ١٩٩٥ تلقى «كومبا باندا» رسالة من «إسترليتا» أخبرته فيها أنها بيعت لتجار الدعارة في ماليزيا الشرقية المجاورة للفليبين. لكن الله ساعدها على الهرب، وتبنتها أسرة ماليزية أخذتهم الشفقة عليها، فخبأوها من أجل سلامتها. أما الآن فقد أحبت شابا وتزوجت منه. وهما يأملان أن يزورا «كومبا باندا» في مكان آمن في المستقبل القريب.

الله يعود فيؤكد محبته لنا في الكتاب المقدس، وكذلك عنايته بالأرامل واليتامى. كانت السيدة «تشين» مبشرة متجولة ذات تأثير كبير في الصين. أما زوجها الذي كان مدرسا للرياضيات فقد اعتقل

---

[12]Judith Wark, *News Network International,* News Service December 21, 1993, p. 60.

في معسكر للأشغال الشاقة، بينما استشهد ابنها الأكبر «بيتر» وهو في عمر الصبا على يد الحراس الحمر أثناء الثورة الثقافية المشينة.

وهكذا تركت وحدها لتعتني بأطفالها الثلاثة الصغار المتبقين، الذين لم تتجاوز أعمارهم عشر سنوات. ومع ذلك، واصلت المخاطرة بحياتها لأنها أحبت الله أكثر من كل شيء آخر. فأمرها الله أن تستمر في جولاتها الكرازية. إليكم بوصفها لحادثة من ضمن حوادث كثيرة ظهرت فيها عناية الله وتسديده لاحتياجات الأسرة:

«قلت ذات يوم لأطفالي: «أخبرني الرب إني سأسجن اليوم من أجله. إن أباكم ليس في البيت، فأرجوكم أن تحسنوا التصرف. أحبوا بعضكم بعضا ولا تنسوا إحضار الطعام إلى أمكم!»

أثناء تلك الفترة كان عدد المساجين كبيرا جدا حتى أن الحكومة لم تستطع إطعامهم جميعا، فاضطر الأهل إلى إحضار الطعام بأنفسهم.

بكى الأطفال لما سمعوا هذا الكلام، ورد دانيال علي بقوله: «لكن، يا أماه، ليس لدينا إلا خمس كيلات متبقية من الأرز. فكيف يكفينا هذا المقدار ويكفيك في آن واحد؟ عندما تفرغ الكيلات سنموت جميعا!»

فقلت للأولاد: «إن الله قادر على خلق شيء من لا شيء!» وذكرتهم بقصة إيليا والأرملة. كان إيمانهم الطفولي بسيطا فصدقوا أن الله قادر على تسديد احتياجهم.

فقالوا في النهاية: «مع أن الأرز غير كاف، سنطبخ لك أنت أيضا!»

بعد حديثي مع الأولاد حضر موظفو مكتب الأمن العام وألقوا القبض علي. فسار دانيال ورائي إلى السجن ليتعرف على الزنزانة التي سأنزل فيها. أما الطفلان الصغيران فركعا وصليا. كان الحزن يعتصر قلبي وهم يذهبون بي بعيدا عنهم وأنا أسمع أصواتهم تخفت حتى تتلاشى.

دخلت السجن تلك المرة لمدة ثلاثين يوما، وداوم دانيال على إحضار الأرز إلي طوال تلك الفترة. ولدى عودتي إلى البيت سألتهم: «هل تبقى أي أرز؟»

فكان رد دانيال: «أماه، إن الوعاء يفيض بالأرز!» وقد كان الوعاء يفيض بالفعل. فإن الكيلات الخمس تلك تضاعفت بطريقة لا يمكن تفسيرها حتى وصلت إلى أربعين كيلة، وكانت بالفعل تفيض من الإناء.

فقلت: «مجدا للرب! الآن نستطيع أن نطبخ لباقي المساجين ونطعمهم هم أيضا». إن نعمة الرب لا تكيل بكيل».[١٣]

[13] Paul Eastabrooks, unpublished manuscript *Songs of Deliverance,* transcription from cassettes of autobiography of Mrs Chen in China.

لكن الحال قد تنعكس أيضا بالنسبة للوالدين. إنني أذكر جيدا مقابلة شخصية مع «جينفر»، وهي فتاة جامعية من أواسط الصين كانت قد أتت إلى المسيح عن طريق مدرس لغة إنجليزية. وقد جرت هذه المقابلة عقب مذبحة ميدان تيانانمن المخزية.

ذهبت جينفر في عطلة الأسبوع إلى بيتها بعد تجديدها لتشارك والديها في فرحتها بالعثور على المسيح. ولكن لدهشتها كان رد فعل أبويها عنيفا، إذ ضربها أبوها ضربا مبرحا وهدد بطردها من البيت إن هي أصرت على اتباع هذا «الدين الأجنبي». فلما لمت متاعها واستعدت للرحيل، وقفت أمها تبكي عند المدخل وتستعطفها أن تترك إيمانها وتظل في البيت.

لكن جينفر عادت إلى غرفتها في بيت الطلاب وهي في حالة ذهول وصدمة عاطفية، غير عالمة بما يجب أن تفعله. فذهبت إلى كتابها المقدس الذي انفتح عند مزمور ٢٧. وقد ذهلت عندما وصلت إلى آية ١٠:

«إن أبي وأمي قد تركاني والرب يضمني».

من خلال ارتباطها بيسوع نالت القوة على استكمال المسير حتى في مواجهة معارضة والديها الذين كانت تحبهما. وهي الآن تقول إن موقفهما منها قد بدأ يلين من أجل روح محبتها.

حكى لي صديقي الدكتور «جون» حكاية أليمة عن شاب مسيحي في بلد شرق أوسطي اسمه «تيموثاوس». تعرف هذا الشاب على المسيح من خلال برامج الإذاعة المسيحية، فقبله في قلبه وأصبح من أتباعه.

ولكن بعد أن أطلع أسرته غير المسيحية على إيمانه، كان رد فعلهم عنيفا جدا حتى إنهم طردوه من المنزل وأمروه ألا يعود إليه أبدا. وبعد عدة سنوات من العيش مع أشخاص مسيحيين مثله، قرر أن يحاول الاتصال بأهله من جديد. فابتاع باقة من الزهور في عيد ميلاد أمه وسار إلى بيت عائلته. ولما طرق الباب، فتحت أمه.

قال لها «تيموثاوس»: «كل سنة وأنت طيبة يا أمي! لقد ابتعت لك هذه الأزهار لأني أحبك!»

التفتت إليه أمه بنظرة صارمة وقالت له: «أنا لا أعرفك!» ثم صفقت الباب بعنف.

قال «تيموثاوس» والدموع تنهمر من عينيه: «ليس لي أهل الآن. فهل تكون أنت أهلي؟»

قال يسوع لتلاميذه:

«إن ليس أحد ترك بيتا أو والدين أو إخوة أو امرأة أو أولادا من أجل ملكوت الله، إلا ويأخذ في هذا الزمان أضعافا كثيرة، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية».[١٤]

إطاعة الأوامر

كان القس الروماني «بولس نجروت» يزور صديقا قديما له في رومانيا اسمه «تريان دورس» في منزله المتواضع. وحالما دخل بولس أدرك أن تريان كان ينزف من جروحه المفتوحة. فسأله: «ماذا حدث؟»

أجاب تريان: «لقد غادر البوليس السري منزلي للتو. قد أتوا وصادروا مخطوطاتي. وانهالوا علي ضربا».

يقول بولس: «فبدأت أشتكي من طريقة البوليس السري الهمجية، لكن تريان استوقفني بقوله: «يا أخ بولس، إن التألم من أجل يسوع شديد الحلاوة. إن الله لم يجمعنا الليلة لنشتكي، بل لنسبحه. دعنا نركع ونصلي».

ثم ركع وصلى من أجل البوليس السري. طلب من الله أن يباركهم ويخلص نفوسهم. وأخبر الله بمدى حبه لهم. وقال: «يا

[١٤] لوقا ١٨: ٢٩-٣٠.

ألله، إن أتوا في الأيـام القليلـة القادمـة، أرجـوك أن تجـهزني لأقـدم الخدمة لهم».

يستطرد بولس القول: «عندها شعرت بالخجل. إذ كنت أظن أني أحيا أصعب حياة في رومانيا من أجل الرب، وكنت أشعر بالمرارة».

ثم قص تريان دورس على بولس أن البوليـس السـري كـان يأتيـه بانتظام لعدة سنوات. كانوا يصادرون جميع أوراقه، وبعد أن يضربوه كان يخاطب الضابط المسؤول. كان ينظر في عينيه ويقول له: «حضـرة الضابط، إني أحبك. وأريد أن أخبرك أنه لو كـان لقاؤنـا التـالي أمـام عرش دينونة الله، فلن تذهب إلى الجحيـم لأنـي أكرهـك، بـل لأنـك رفضت الحب». دأب تريان على ترديد هذه الكلمات بعد كل مرة.

بعدها بسنوات، جـاء ذلـك الضـابط وحـده إلى بيـت تريـان ذات ليلة. فتأهّب تريان للضرب، لكن الضـابط حدّثـه بلطـف وقـال: «يـا سيد دورس، في المرة التالية التي سـنلتقي فيـها سـنكون أمـام عـرش دينونة الله. أنا جئت الليلة لأعتذر لك عن كل ما فعلته بك وأخـبرك بأن محبتك حركت أحاسيسي. لقد طلبتُ مـن المسـيح أن يخلصـني. لكن من يومين فقط اكتشف الطبيب أني مصاب بورم سـرطاني شـديد

وأني لن أعيش سوى بضعة أسابيع قبل أن أنطلق وأكون مع الله. لقد أتيت لأخبرك بأننا سنكون معا على الجانب الآخر». [15]

كتب أحد كتابي المفضلين «تشارلز كولسون» كتابا كاملا عن موضوع محبة الله لأنه شعر أن أكثرية من يقولون بأنهم مسيحيون لا يعرفون حقا كيف يحبون الله. كتب يقول:

> «إن كنا نحب الله فلابد أن نحب عدله ونتصرف بمقتضاه. وإذ نتخذ موقفا راديكاليا مقدسا –ضد العالم إذا لزم الأمر– نتخلى عن وهم السلطة، فنجده يستبدل بالسلطة الحقيقية». [16]

ما أن نقرر قرارا إراديا أن نحب الرب من كل كياننا، حتى نسمع كلمات يسوع: *«إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي»*. [17] وإحدى أصعب وصاياه تأمر بأن نحب حتى أعداءنا.

دخلت السيدة «تشين» السجن في الصين ثلاث مرات. ولكنها عقبت على ذلك بقولها: «ليست إلا طريقة واحدة للتجاوب من التعذيب والاستجواب. تلك الطريقة هي محبة الله». ثم تضيف

[15] Terry Brand, 'God's Love overcomes', *Newsbrief*, July-August 1990, p. 3.

[16] Charles Colson, *Loving God* (Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1983), p. 172.

[17] يوحنا ١٥: ١٤.

قائلة: «عندما تقابل وحشيتهم بمحبة يسوع يهرب منهم الكلام في أوقات كثيرة. بل إن ذلك يقودهم إلى طلب المسيح بأنفسهم».[١٨]

يحكي «أرماندو فالادارس» أيضا اختبارا مشابها. فهو أمضى ٢٢ سنة في غياهب سجون «فيدل كاسترو» الرهيبة. وتم إطلاق سراحه أخيرا بعد ضغوط سياسية كثيرة. حكى أرماندو بُعَيد الإفراج عنه في مقابلة شخصية من جريدة *Time* عن أحط نقطة وصلت إليها معنوياته:

> «كانت تلك الفترة أسوأ فترة. لكنني لم أشعر بالوحدة أو بالهجر، لأن الله كان معي في غياهب ذلك السجن. وكلما اشتدت كراهية السجانون لي، فاض قلبي أكثر بالمحبة المسيحية والإيمان. لم أشعر قط بكراهية تجاه السجانين؛ بل حتى اليوم، مع انقطاع الزمن، أرفع الصلوات من أجلهم علهم يتوبون».[١٩]

يحكي فالادارس في سيرته الذاتية المؤثرة في النفس *Against All Hope* (على خلاف الرجاء) عن سجين مسيحي آخر أثر فيه تأثيرا عميقا، خاصة كلما كانت تساء معاملتهم.

> «فجأة، رفع أحد المساجين ذراعيه ووجهه إلى السماء، فيما كان الحراس يكيلون الضربات على ظهره، وصاح: «اغفر لهم يا رب، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون!» لم يظهر في صوته أي

---

[١٨] من مقابلة شخصية في هونج كونج، مايو ١٩٨٠.

[19] Inside Castro's Prisons', *TIME*, August 15, 1983, p. 20.

أثر للألم أو الارتعاش، وكأنهم كانوا يمزقون ظهرا آخر بالمنجل غير ظهره. اتقـدت عينـا «أخـي الإيمـان» اللامعتـان، وذراعـاه المفتوحتان نحو السماء بدتا وكأنهما يستجلبان العفو لجلاديـه. كان في تلك اللحظة إنسانا عجيبا، فائقا للطبيعـة، فـوق كـل تصديق». [٢٠]

تشتمل محبة الله أيضا على الطاعة ... والمكافآت عظيمة.

مكافأة المحبة - الخير من الشر

كتب «كيفا سيمبانجي» كتابا ذا مغزى يقـص فيـه القصـة الأليمـة وراء استشهاد المسيحيين في أوغندا في عهد «عايدي أمين». وهو يختـم سرده بالكلمات التالية:

«إن قصة ما كان يصنعه الله في أوغندا لم تنته بعايدي أمين. ما قصده فرعون للشـر، كـان الله يستخدمه للخـير. فمقـابل كـل مانشيت في الجرائد، ومقابل كـل قصـة عـن الأعمـال الوحشـية والموت، كانت هناك قصة لم يتم نشرها أو ملاحظتها. إنـهـا قصـة أولئك الذين بالإيمان «نجـوا مـن حـد السـيف» وأولئك الذيـن بالإيمان «ماتوا قتلا بالسـيف». إنـهـا قصـة تحكـي عـن كيفيـة وصول شعب الله إلى فهم أعماق المحبة وسط المعانـاة القاسـية.

[20] Armando Valladares, *Against All Hope* (New York: Alfred A. Knopf, 1986), p. 199.

وهي قصة تحكي كيف قاد الله أبناءه –في عنايته– وسط البرية وأعد مائدة قدامهم ...

حتى وهذه الخواطر تدور بعقلي، أسمع صوت الدكتور ك. وهو يودعني في آخر أمسية قضيناها معاً. لقد ذكّرني قائلاً: قد ينقلب العالم أجمع عليك، لكن يسوع المسيح يقف بجوارك».

إن النتائج الإيجابية لمحبة الله من كل القلب كثيرة، وأهمها الإدراك المتزايد بأن الله سيخرج خيراً من كل حادثة شنيعة أو ظرف مريع، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي. في الواقع، إن هذا الإدراك ومبدأ محبة الله فوق كل شيء آخر يتعايشان معاً تعايشاً تكافلياً؛ فكل منها يعزز الآخر ويدعمه.

لفتت نظري ملحوظة في الحاشية السفلية على رومية ٨: ٢٨ في الترجمة الدولية الجديدة NIV. وهي تشير إلى أنه توجد قراءة صحيحة بديلة لفقرة «*كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ*» التي يكثر الاستشهاد بها. أما هذه القراءة فتقول:

«*ونحن نعلم أنه في كل الأشياء يعمل الله مع الذين يحبونه للخير*».

ياللروعة!

تحضرني مقابلات فردية مع قادة مسيحيين في الاتحاد السوفيتي السابق صرحوا فيها بأن الضغوط الآتية من الشيوعيين طهرت الكنيسة وقوتها بدلا من أن تقضي عليها. فالشبان المسيحيون لم يكن يسمح لهم بدخول الجامعات التي يديرها الشيوعيون، ولكنهم بالتالي لم يتلوثوا بالفلسفة الدنيوية.

كانت مذبحة تيانانمن في بكين بالصين في أواسط عام ١٩٨٩ عملا وحشيا ضد الطلبة المتظاهرين. ولكن من رماد تلك الكارثة أتى آلاف الطلبة والعقلانيين إلى المسيح، ليس في بكين فقط، بل في جميع أنحاء البلاد. قابلت مجموعة من الطلبة المسيحيين عقب المأساة مباشرة، وأخبروني بأنه لا يمكن السير في الحرم الجامعي في أي وقت من النهار دون رؤية مجموعة من الشباب المسيحي جالسين على العشب يعقدون درسا للكتاب المقدس معا.

ما أكرم أن نعمل للخير مع الإله الذي نحبه. هذا ما يشير إليه بولس لاحقا في (رومية ١٢: ٢١):

«لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير».

مكافأة المحبة - العناية الأبوية

«لوسيان عقاد» هو مدير دار الكتاب المقدس بلبنان. وهو يذكر رحلة قام بها إلى البلدة اصطحب فيها ابنه البالغ من العمر خمسة أعوام حينما اندلعت الحرب الأهلية في بلاده .

فجأة بدأ ضرب النار، وهرع الناس في ذعر إلى البحث عن مأوى. فصلى لوسيان من أجل حماية الله في حين حاول الحفاظ على هدوئه لكي لا يصاب ابنه بالذعر.

بعد أن هدأت الحال، سأل ابنه عن مخاوفه، فأجاب الصبي: «طبعا لم أخف. أبي، لقد كنت ممسكا بيدك».

استمرت الحرب سنوات عديدة، لكن لوسيان يقول: «لم أنس قط تلك الكلمات البسيطة التي قالها ابني الصغير. لقد ذكرتني على الدوام أنه لو كانت يدي في يد الآب فلن أصاب بالذعر». [٢١]

ومن النتائج الهامة لمحبة الله عمق العلاقة التي نقيمها مع أبينا السماوي الصالح الحنون. يشير موسى في (تثنية ١: ٣١) إلى اختبار البرية فيقول:

[21] Jan Pit, *Bound to Be Free: With The Suffering Church* (Tonbridge, Kent, UK: Sovereign World, 1995), p. 86.

«حيث رأيت كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها حتى جئتم إلى هذا المكان».

أمضى القائد المسيحي الإيراني «ديباج» تسعة أعوام و٢٧ يوما في السجن. كتب في مطلع عام ١٩٩٢ خطابا إلى ابنه الأصغر في عيد ميلاده. وهذا بعض ما جاء فيه:

«في المنتزه يترك الطفل يد أبيه ويذهب بفرحة وبهجة ليلعب ويمرح حوله. ولا يعير انتباهه لأبيه الذي يصيح: تعال، يا ابني، لابد أن نذهب. ولكن إن حدث هذا في شارع مزدحم، لن يترك هذا الولد اللعوب يد أبيه، بل يلتصق به وكأنهما لا ينفصلان ...

أحيانا تأتي رياح شديدة في شارع مزدحم مكتظ بالعربات المارة، مما يجعل العبور بين أنهار السيارات مخيفا، فتتجمد رجلا الصبي ويستعطف أباه قائلا: احملني يا أبي! احملني!

يالسعادة الولد الصغير حين يتربع على كتفي أبيه العريضتين المتينتين! من ذاك العلو يراقب الوقت وهو يمر والعالم وهو يضطرب. ياللمتعة! ينعم بالسلام والسعادة مثل رضيع شبعان راقد في ذراع أبيه!

وعلى الأرض، تتهشم الثعابين والعقارب والكلاب والذئاب تحت قدمي الأب القوية. ولا يملك الولد إلا أن يلتصق بأبيه

كل مرة يشعر فيها بالخوف، لأن عصا الأب وعكازه يعزيانه». [٢٢]

كتبت «مارجريت فِشبانك باورز» بقلمها هذه السطور في عيد الشكر الكندي سنة ١٩٦٤. كانت حينئذٍ فتاة في ريعان الشباب تبحث عن التوجيه بعد أن وصلت حياتها إلى مفترق طرق. وقد عُرِفت هذه السطور مُذاك باسم *Footprints* (آثار الأقدام)، وصارت موضع اعتزاز الملايين في أنحاء العالم:

«حلمت حلماً ذات ليلة.
كنت أسير على الشاطئ مع الرب.
وعبر السماوات القاتمة لمعت مناظر من ماضيّ.
ولكل منظر لاحظت مجموعتين
من آثار الأقدام مطبوعة في الرمال،
واحدة لي والأخرى للرب.
ولما انطلق آخر منظر من حياتي أمامي،
نظرت خلفي إلى آثار الأقدام في الرمال.
ولم يكن هناك إلاّ مجموعة واحدة من الآثار.
وأدركت أن هذه كانت أحط
وأحزن أوقات حياتي.

[٢٢] من ترجمة إنجليزية لخطاب كُتِب أصلاً بالفارسية.

ولطالما أزعجني هذا الأمر،

فشرعت أسأل الرب في حيرتي تلك.

«يا رب، لقد أخبرتني عندما قررت أن أتبعك

أنك ستسير وتتحدث معي طول الطريق.

ولكني أرى أنه في أعسر أوقات حياتي

كانت هناك مجموعة واحدة فقط من آثار الأقدام.

أنا لا أفهم لماذا تركتني

حينما كنت في أشد الاحتياج إليك».

فهمس إلي قائلا: «يا طفلتي العزيزة،

أنا أحبك ولن أتركك أبدا

في وقت المحن والاختبارات مهما كان.

حينما رأيت مجموعة واحدة فقط من آثار الأقدام،

كنت أحملك على منكبي».[٢٣]

✞✞✞✞

[23]Margaret Fishbank Powers, *Footprints* (Toronto, Canada: HarperCollins, 1993) p. 9.

أيها الآب، لقد طلبت مني أن أحبك من كل قلبي - أكثر من أي شيء أو أي شخص آخر. سامحني على عدم اكتمال قلبي. ساعدني أن أطيع كل وصاياك وأن أحب الآخرين حقا - حتى أعدائي.

أشكرك لأجل وعدك بأن تجعل كل الأشياء تعمل معا في النهاية للخير. كما أشكرك على عنايتك الأبوية - خصوصا عندما حملتني وأنا غير شاعر بذلك.

أن تحب الرب إلهك هو نبض قلب إرساليتنا.

جون موهر وراندل دنيس

سر رقم ٢-

التسليم لله من كل القلب

يسوع -الذي بذل كل شيء لأجلك ولأجلي- يطلب، لا بل يطالب، أن يتخلَّى تلاميذه عن كل شيء ويسلموا أنفسهم له تسليماً قلبياً لدرجة الموت ... فيكافئهم بإكليل المنتصرين.

الفصــــل الثاني

مخاطرون لا يبالون

أشاحت بيدها لإبعاد دخان العادم الأبيض الكـاوي المتصـاعد مـن كثرة الدراجات البخارية، وتابعتِ السير في الشارع العريـض بمدينـة «هو تشي منه»، بفيتنـام. كـان قلـب السـيدة «هـا» لم يـزل مُغتـمّاً؛ لأن زيارتها لزوجها السـجين هـذه المـرة كـانت أقصـر ممـا يجـب. لكـن البسمة ارتسـمت علـى وجهـها بمجـرد أن عاشـت في مخيلتـها تلـك الساعة التي مضت كالبرق.

استغرقت بالتفكير في زوجها الذي اعتُقل في العاشر مـن ديسـمبر ١٩٨٣ فقالت لنفسها: «لابد أن السلطات تـكِز علـى أسـنانها غضبـاً من زوجي». فبقيادته نمت كنيسة «تران كاوو فان» في «هو تشـي منـه» نمواً منقطع النظير. ورغم بقاء الكنيسـة مغلقـة، شـق معظـم المؤمنـين طريقهم إلى جماعات الشركة واجتماعات البيوت الأخرى. ومع كونـه

الآن في السجن، إلاّ أنه يقوم بخدمة فردية تضارع ما قام به في سني الحرية السالفة.

انعطفت عند ناصية الشارع وأسرعت خطاها لما تذكرت أولادها الذين ينتظرونها في البيت ليسمعوا أخبار والدهم. فجفّفت قطرات العرق من جبينها ثم شاهدتهم يراقبونها من الشُّرفة. كم شكرت الله على تلك الشرفة! ثم قالت لنفسها: «أليست هذه شيمة الرب، أن يحيل كل موقف سيئ إلى جيد؟»

لدى إلقاء القبض على زوجها، صودرت جميع أملاكهم وأجبرت هي والأولاد على مغادرة بيت الراعي في الكنيسة والبحث عن مأوى لهم. ومنذ شهرين فقط، أجبرتها سلطات المدينة على ترك الشقة التي اقتسمتها هي والأولاد مع أسرة أخرى من الكنيسة بحجة عدم امتلاكها أوراق رسمية للإقامة.

أما الآن فقد دبّر لها الرب أصدقاء مسيحيين آخرين تبرعوا باقتسام ما لديهم من مساحة إضافية في شقتهم الصغيرة – أي الشرفة.

هبط الأولاد السلم على عجل يسألون الأسئلة وفي نفس الوقت يلوِّحون بخطاب وصل لتوِّه من أصدقاء مسيحيين حميمين كانوا قد هاجروا إلى أوتاوا بكندا.

وبعد الرد على أسئلة الأولاد الكثيرة وتقديم تقرير وافٍ عن زيارتها القصيرة لأبيهم، قعدت لتقرأ الخطاب القادم من كندا. كانت ساعات ضوء النهار قد انقضت منذ وقت طويل، ولكن رغم إرهاقها الجسدي واستنزافها العاطفي، شعرت بإلحاح أن تخرج الورق والقلم وترد على الخطاب. وإليكم ما ورد في جزء من هذا الخطاب:

«أنتم تعلمون أننا هنا نقاسي المشقات. ولكن شكراً لله على تدعيمه لنا وتعزيتنا وعنايته بنا من كل وجه. حين نواجه محنة أو شدة أو كارثة أو مشقة، حينئذٍ فقط نقدر أن نرى بركة الرب تنهمر علينا أكثر من طاقتنا على الاستيعاب. هللويا!

اضطررنا مؤخراً لترك شقتنا المتواضعة ونحن الآن نعيش في شرفة منذ أكثر من شهرين. كانت الأمطار تهطل علينا وتغمرنا بالبلل. وأحياناً في منتصف الليل كنا نضطر إلى طي بطاطيننا في أذرعنا ثم نجري إلى أقرب بئر سلم طلباً للمأوى.

هل تفهموا ما أعنيه؟ أنا فرحانة، بل أضحك وأسبح الرب لأنه لا يزال باستطاعتنا اللجوء إلى بئر السلم. أفكر في كم من الناس يكابدون مشقات أكثر بكثير مني ...

... لا أجد كلمات مناسبة للتعبير عن المحبة التي أظهرها الرب نحو عائلتي. ولا يسعني إلا أن أحني ركبتي وقلبي

وأقدم للرب كلمات تعبر عن عميق امتناني وتسبيحي. ومع أننا
فقدنا منزلنا وممتلكاتنا، إلاّ أننا لم نفقد الرب – وهـذا يكفـي.
مع الرب أنا أملك كل شيء».[1]

في هـذه السـنوات الأخـيرة يسـتطيع سـكان أمريكـا الشـمالية أن يتعاطفوا مع السيدة «ها» فيما كابدته من خسائر متنوعـة. ففـي عصـر قطع الوظائف وإعادة التنظيم والتقاعد الجبري المبكر وسـوء الصحـة، يمكننا تفهُّم المشكلة. ولكن هل يمكننا تفهُّم الحل؟

كتب صديقـي العزيـز الدكتـور «جيـم كاننجـهام» ترجمـة حديثـة لحبقوق عام ١٩٩٤ وهو ينتظر الرب بصبر أن يوفر له عملاً ثابتاً:

«مع أنني لا أجد عروضاً للشغل
ولا تلوح الوظائف في الأفق.
مع أن استثمارات البورصة آخذة في الهبوط
ولا تُدِرّ مدخراتي أي دخل.
مع أن حسابي يخلو من الرصيد
ولا يوجد في جيوبي إلاّ أقل القليل.
إلاّ أنني أفرح بالرب.
وأبتهج بالله مخلّصي.

[1] من ترجمة إنجليزية لخطاب كُتِب أصلاً باللغة الفيتنامية بتاريخ ٥ يوليو ١٩٨٦.

الرب القدير هو قوتي.
هو يجعلني أمشي على الحافة بأقدام ثابتة
ويهدِّئني لأستمتع بالمنظر». [٢]

دعا يسوع تلاميذه الاثني عشر الأوائل مستعملاً أمراً موجزاً ولكنه مُلزِماً: «**اتبعني!**». فتركوا كل شيء ليتبعوه. واليوم دعوته لا تزال كما هي، ولكن معرفتنا هي التي ازدادت كثيراً. أولئك التلاميذ الأُوَّل تعلموا وهم يعملون، أما نحن فيمكننا الانتفاع بكل خبراتهم المسجلة، بالإضافة إلى سنين طويلة من الأمثلة التي نجدها في تاريخ الكنيسة.

لا تزال كلمات يسوع ترن عالياً في التسعينات:

«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي». [٣]

نطق الرب يسوع بهذا البيان بعد إعلان بطرس أن يسوع هو مسيح الله بدقائق معدودة. فأنذر يسوع تلاميذه بأن لا يخبروا أحدا بذلك. وتنبأ أيضا أنه سيقاسي أمورا كثيرة ويقتل - ثم يبعث حيا مرة أخرى. وفي هذا السياق ترد هذه الكلمات الخالدة التي وجهها

[2] Jim Cunnigham, 1994.

[٣] لوقا ٩: ٢٣.

ربنا يسوع لكل من سيصبحون تلاميذ له.[4]

تبدو كلمات التعهد في عصرنا الحديث غريبة جداً علينا لدرجة أنه يجب علينا تحليلها تحليلاً تاماً لنتمكن من تطبيقها على حالتنا المريحة والثرية. قال أحدهم: «**إن نار أنانيتنا التي نوقدها في الخلاء تتغذى على جازولين الوفرة والثراء**». ولسنا نقول إن الثراء عيب في جوهره. ولكن ثبت أنه يخدر إدراكنا لواقع التلمذة ومطاليبها.

كان «توني كومبولو» يتحدث إلى قادة شباب الكنائس في مِشَنفِست بفانكوفر، في كندا. فاستشهد بكلمات يسوع عن إنكار الذات والتضحية الواردة في لوقا ٩: ٢٣ ثم ألقى هذه الملاحظة الماهرة:

> «لا يمكنكم تبليغ هذه الرسالة وسط تسهيلات الكنيسة المحلية. فلا يمكن قبولها كاختيار قابل للتطبيق إلاّ حينما يناقشها شبابكم وسط قوم يتألمون!».[5]

[4] كلمة «تلميذ» هي أعم كلمة للإشارة إلى أتباع يسوع في العهد الجديد. وهي ترد ٢٦٩ مرة، بينما ترد كلمة «مسيحي» ثلاث مرات فقط.

[5] من عظة مسجلة على شريط كاسيت في مِشنفِست، فانكوفر، بكندا، يناير ١٩٩٢.

إنكار الذات

كان «ألكساندر» يقوم بمفرده برحلة تبشيرية لمساعدة الكنيسة التي كانت تتزايد باطراد في جزيرة كوبا. في المصيف الساحلي حيث كان أغلب السائحين يمكثون، كانت سائحة شابة شديدة الجاذبية تترقبه. وفي إحدى الأمسيات –حين ظنّت أن أحداً لا يراقبهما– عرضت عليه أن ينضم إليها في غرفتها تلك الليلة. فرفض عرضها بلطف.

لكن في كوبا يوجد دائماً مَن «يراقب». فإذ بهذا الثوري الكوبي المخمور يعترضه متحدياً.

«يا رجل. لمَ لم تقبل عرض تلك الفتاة الجميلة الليلة؟ إنها غادة حسناء! ماذا بك؟»

أجابه ألكساندر: «هي حقاً جميلة، ولكني متزوج».

فاحتج الثوري بقوله: «وما الضرر؟ أنت بعيد عن البيت. وزوجتك لن تعلم أبداً».

أشار ألكساندر إلى دبلة الزواج في يده اليسرى وتابع حديثه: «لكني قطعت عهداً مع زوجتي يوم زفافنا أن أحرِم نفسي ملذات أي امرأة أخرى. وأنا أرتدي هذه الدبلة كتذكار دائم وكعلامة على تعهدي».

تأثر الثوري تأثراً بالغاً، فمع أنه تعهد بتبعية «فيدل كاسترو» والثورة وكان مستعداً للموت من أجل الفقراء، لم يكن وفياً لزوجته.

وفي تلك اللحظة عينها كان يتمم إجراءات طلاق شديدة التعقيد والإشكال.

بسبب نزاهة ألكساندر أصغى الثوري بانتباه -رغم تأثير الكحول عليه- وهو يسمع لأول مرة أن «الله أرسل ابنه ليموت بنفس الطريقة التي أنت على استعداد أن تموت بها، مع الفارق أن موته له القدرة على تحريرك في شتى جوانب حياتك!»

قال يسوع: «أنكر ذاتك!» وهو هنا يعبر لتلاميذه عن النفقة التي يجب أن تُحسَب فيما يخص تبعيتنا له.

لقد ضرب الملك داود مثلاً يحتذى به عندما قال:

«لاَ أُصْعِدُ لِلرَّبِّ إِلهِي مُحْرَقَاتٍ مَجَّانِيَّةً».[6]

وأعلن بولس الرسول:

«ولكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي، حَتَّى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله».[7]

في عيد الميلاد المجيد سنة ١٩٧٨، أدرت أنا و«جاك باكر»

---

[6] ٢صموئيل ٢٤: ٢٤.

[7] أعمال ٢٠: ٢٤.

مسابقة في برنامجنا الإذاعي «قهوة الصباح» من مانيلا، عاصمة الفلبين. وطلبنا إلى مستمعينا الكثيرين على الموجات القصار أن يكتبوا في أقل من ٥٠ كلمة عن «أول شيء يخطر ببالك في عيد الميلاد المجيد».

ففوجئنا مفاجأة سارة إذ تلقّينا رسالة من مشترك من جمهورية منغوليا الشعبية قال فيها:

> «حين أفكر في عيد الميلاد أول شيء يخطر ببالي هو مغزاه، وخصوصاً أهميته بالنسبة لحياتي وحياة من حولي. وأفكر في الثمن الأصلي الذي دفع في عيد الميلاد، وفيما أدفعه أنا والآخرون من ثمن مقابل أهميته اليوم».[٨]

عِوَض أن يناقش المأكل والمشرب والهدايا والتقاليد، لم يستطع هذا المستمع أن يفكر سوى في التكلفة الأصلية التي **تكلّفها** الله الآب والابن، وما **تكلّفه** هو وغيره في الكنيسة المتألمة في هذا اليوم.

«دويان» قائد إرسالية يعمل في بلد شرق أوسطي. قال لأحد العاملين معه: «إننا في حاجة ماسة إلى عاملين جدد. ولكني أقول للمهتمين: **إذا كلّمك الله ودعاك إلى هذا البلد فستكون المكالمة على حسابك**».

FEBC SIGNAL, Vol. 21 No. 4, April 1979, p. 1.

إن نفقة خدمة المسيح نفقة فردية. وهي تنبع من موقف قوي ولكنه غير طبيعي: بدلاً من الإصرار على نوال حقوقي، أتبرع بالتنازل عنها لصالح الآخرين.

وهذا مسلك منضبط يأتي بالتعلم لأن كل شيء في مجتمعنا المعاصر يحاول تخفيفه وتلطيفه. إن العالم الذي نحيا فيه يتعارض تماماً مع أي فكرة أو ممارسة لإنكار الذات.

ومن يظنون من الغير أنهم يفهمون هذا المبدأ لديهم وجهة نظر خاطئة عنه. مثلاً، في كل موسم للصوم الكبير تطالعنا الصحف بقصص أشخاص ارتكبوا أشنع الموبقات الممكنة ثم استغفروا الله عليها وطلبوا عونه للتخلص منها أثناء مدة الصوم التي تمتد أربعين يوماً. قد يكون إنكار الذات أمراً محبباً عند البعض أثناء شهر الصوم، لكن يسوع دعانا إلى تسليم أنفسنا له يومياً في جميع جوانب حياتنا!

وبالتالي فإن تبعية يسوع اليوم تستلزم خطوات مدروسة قد تتعارض في كثير من الأحيان مع تيار البيئة. يعلق يسوع على هذا قائلاً:

«كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا».[٩]

[٩] لوقا ١٤: ٣٣.

يطلق الكاتب التأملي الشعبي «أوزوالد تشامبرز» على هذا معركة «التنازل». وهو يرى أن التنازل الحقيقي في سبيل يسوع يبدأ داخليا بالإرادة لا في العالم الخارجي. «أنا مصمم على أكون له وحده بالكامل وبدون أية تحفظات».[10]

إن تسليم الذات ليسوع والتنازل التام عنها إنما يعني حرمان ذاتك من الترف المتمثل في طرح أي أسئلة. وأن لا تكون لنا أغراض شخصية نسعى لتحقيقها. في الواقع، إن هذا التسليم يجعلنا غير مدركين للمجهودات التي نبذلها، لأن الحياة بأسرها تكون مشغولة بمن تنازلنا له عن ذواتنا ... وحينئذ يقدر أن يعمل من خلالنا طول الوقت.

يقول تشامبرز:

> «لا يوجد إلا شيء واحد يمكنك تكريسه لله، وهو حقك في امتلاك ذاتك (رومية ١٢: ١) ... قال بولس إنه عرف أن يكون ممسحة للأرجل دون أن يشعر بالاستياء، لأن الحافز الرئيسي لحياته كان حبه المتفاني ليسوع (٢كورنثوس١٢: ١٥)».[11]

---

[10] Oswald Chambers, p. 1.

[11] Oswald Chambers, pp. 56 and 165.

يقص «دافد وانج» العامل مع إرسالية أسيا قصة قوية عن سيدة مسيحية صينية أسماها «مارثا». كانت مارثا مخطوبة وتوشك أن تتزوج، لكنها قررت تأجيل زواجها مدة عامين لتلبي نداء الله بتوزيع الكتب المقدسة في الأماكن التي بها احتياج ماس لها. هاكم ما قاله دافد بفمه في سرد القصة:

«أذكر أني قابلتها مرةً في مدينة «جيان». كنا قد اتفقنا أن نلتقي في التاسعة مساءً، ولكنها لم تأتِ حتى الواحدة صباحاً. كان سبب تأخيرها أنها كانت توزع كتباً مقدسة في قرية مجاورة. ولكن قادة وحدة الأمن المحلية اكتشفوا ما كانت تفعله، فأوسعوها ضرباً وسرقوها وألقوا بها في طريق مهجور. كانت معجزة من عند الله أنها استطاعت الحضور إلى موعدنا.

لاحظت أن مارثا كانت على غير ما يُرام. كانت نحيفة كالفتلة وكان وجهها منتفخاً. فسألتها على الفور: ماذا بكِ؟ هل ضربوكِ إلى هذه الدرجة؟

فقالت: «لا، لا. إنني على هذا الحال منذ فترة». ثم رفعت بنطلونها لتريني ساقيها اللتين امتلأتا بلدغات ولسعات البعوض. فإذ كانت مسافرة في أرياف الصين النائية، كان عليها مراراً كثيرة أن تنام في أكواخ مهجورة أو حتى في العراء.

حتى أن الحشرات والناموس أكلت جسمها بمعنى الكلمة. فألححت عليها بقولي: غداً ينبغي أن نذهب إلى طبيب.

فقالت: «لا، لا. عليَّ اللحاق بقطار يقوم مبكراً صباح الغد متجه إلى منغوليا الداخلية. أين الكتب المقدسة؟» كان همها الوحيد توصيل الكتب المقدسة إلى منغوليا الداخلية!

اختفت مارثا سنة ١٩٨٣ – وكأنها تلاشت في الهواء. كان هذا في فترة «حملة مكافحة الجرائم» الصينية حينما كان يُلقى القبض على الأفراد ويُعدَمون في جميع أنحاء الصين، مما زاد قلقنا على مارثا.

ثم تسلمنا بعدها خطاباً من أصدقاء مارثا – عبارة عن قصاصة صغيرة من الورق– ورد فيه أنها اعتُقِلت واتهمت بتوزيع «منشورات خرافية» في جمهورية الصين الشعبية.

قالت في تلك القصاصة: «لا أعلم مبلغ العقوبة، لكني أرجوكم أن تصلوا لأجلي». ثم اقتبست كلمات بولس: «مُصَلِّينَ ... لأَجْلِي، لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي، لأُعْلِمَ جِهَارًا بِسِرِّ الإِنْجِيلِ، الَّذِي لأَجْلِهِ أَنَا سَفِيرٌ فِي سَلاَسِلَ» (أفسس ٦: ١٨–٢٠). وبعدها ببضعة أسابيع بلغنا خبر إعدام مارثا التي ما كادت تبلغ الخامسة والعشرين ربيعاً. لقد دفعت الثمن».[١٢]

[12] David Y.P. Wang, *8 Lessons We Learn from the Church in China* (Hong Kong: Asian Outreach Publication) pp. 5-7.

وضعت مارثا الرب **قبل** زواجها، **قبل** سلامتها الشخصية، **وقبل** اختياراتها الشخصية. لقد أنكرت ذاتها.

كان زميلانا السابقان دون وماريون روبرتس يقومان بأول زيارة لهما إلى جمهورية الصين الشعبية. وهناك قابلا راعي كنيسة عجوزاً حكيماً كان قد أمضى في السجن أكثر ٢١ عاماً في سبيل إيمانه. فلما ناقشا هذا الموضوع وموضوع الافتقار إلى إنكار الذات في الكثير من أنحاء العالم الغربي، علّق قائلاً: **«يجب أن تنكروا ذواتكم الآن حتى حينما يضطهدونكم ويجبرونكم على إنكار ذواتكم، تكونون مستعدين للتعامل مع ذلك بانتصار».**

احمل الصليب كل يوم

لما كان أولادنا في عمر الصبا، كنا نرنم لهم مرارا كثيرة قبل العشاء ترنيمة «تعال تعش – السيد يدعوك، تعال تعش ...» وفي ذات يوم سألت ابنتنا الصغرى «ميلندا»، وهي فتاة فلبينية تبنيناها: «يا أبي، لماذا يقول لنا يسوع إننا يجب أن نأتي ونموت؟» فضجت الأسرة كلها بالضحك من هذا السؤال، الذي أظهر لنا مقدار حاجتنا إلى تحسين أسلوب إلقائنا.[١٣]

---

[١٣] قد خلطت بين «تعش» dine، و«مت» die، لكونها أجنبية. (المترجم)

ولكن في دراستي لتعليم يسوع توصلت إلى أن ميلندا كـانت تـرنم الترنيمة الصحيحة طوال الوقـت. لأن يسـوع أيضا علمنـا أن التلمـذة معناها حمل الصليب.

يتحول الصليب مرارا كثيرة إلى مجرد رمز تـاريخي. في ذات يـوم كـان أحد القساوسة الأمريكان يفرج زائرا أجنبيـا علـى كنيسـته الجديـدة. فأشار بافتخار إلى المقاعد المستوردة وزخارف أخرى مؤنقة. وبالخـارج كان هناك شعاع ضوئي مسلط على صليب ضخم في برج الكنيسة.

فتبـاهى الراعـي قـائلا: «قـد كلفنـا الصليـب وحـده عشـرة آلاف دولارا».

فرمقه الزائر بنظرة ساخرة وقال له: «في بلادنا نحن نحصـل علـى الصلبان مجانا!»[١٤]

اغتم أحد المسيحيين الكنديين العـاملين في المعونـة مـن الاحتيـاج الهائل بين مؤمني جنوب السودان. وهو يذكر بعض الصبيـة في قريـة ما لا تكسوا أجسادهم العارية سوى صلبان من العظام المصنوعة بـاليد على هيئة قلائد حول أعناقهم. فأشار إلى الصليب الملتف حـول عنـق

[14] How much did it cost? *FEBC SIGNAL, Vol. 21 No. 4, April 1979,* p. 1.

إحدى البنات الهزيلات واستفسر منها عنه بإشارات يدوية. فما كان منها إلا أن ابتسمت ابتسامة عريضة وخلعت القلادة وسلمتها له.

وكان تحليله المدقق للأمر على هذا النحو:

«هذا العمل الصغير إنما يرمز إلى حالة الكنيسة المتألمة في السودان. فمع انعدام كل الممتلكات المادية، لا يزالون محافظين على صليب يسوع المسيح. وهم مستعدون أن يشاركوا الآخرين برجائه – حتى وإن كان معناه الموت». [١٥]

بالنسبة ليسوع كان الصليب معناه إنكار الذات طواعية من أجل الآخرين. وعلمنا قائلا:

«إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير». [١٦]

ثم يستأنف حديثه فيعلن عن التناقض الظاهري الذي يعقب ذلك في لوقا ٩: ٢٣. فالشخص الذي سيسعى إلى تخليص نفسه، يخسرها، بينما الشخص الذي يخسر حياته ليسوع، يخلصها.

كتب اللاهوتي الألماني «ديترش بونهفر» الذي بذل حياته في الوقوف أمام هتلر، يقول: «حينما يدعو المسيح إنسانا، فهو يأمره أن

[15] George Middleton, Orillia, Canada, Sudan Report Newsletter, p.

[١٦] يوحنا ١٢: ٢٤.

يأتي ويموت».[17] هذا هو المراد بخسران النفس من أجل تخليصها. يسوع نفسه كان مثالنا، إذ أخذ على عاتقه أن يذهب إلى الصليب نيابة عن الآخرين – حتى وإن كانوا مجموعة من البشر الهالكين.

صارع مرسل يعمل في بلد شمال إفريقي مع قضية الموت من أجل المسيح. وعقب على ذلك بقوله:

«هل الإيمان بالمسيح أمر يستحق الموت لأجله؟ سرعان ما رأيت أنه إذا لم يكن كذلك، فليس من شأني أبدا أن أحمل الإنجيل لغير المسيحيين. فإنه عندما يقبل أتباع الديانة الأخرى المسيح، يواجهون اضطهادات محقّقة واحتمال الموت. فكيف لي أن أطلب من واحد منهم أن يقبل المسيح رباً والشك يأكل قلبي. **إن كان المسيح لا يستحق الموت لأجله، فهو لا يستحق الحياة لأجله.** وعلى النقيض الآخر، إن كان المسيح يستحق الموت والحياة لأجله، فعندنا إذن إنجيل لا حد لقيمته بالنسبة لغير المسيحيين ...

جاء شاب لمقابلتي ذات يوم ليطلعني بصراحة على مخاوفه من تبعية المسيح. وسألني: «ماذا لو دخلت السجن؟» كان هذا السؤال دائماً يصيبني بالرهبة، ولم أكن على يقين من قدرتي أن أطلب من شخص ما أن يدخل إلى السجن بمحض إرادته

[17] Dietrich Bonhoeffer, *The Cost of Discipleship* (New York: Macmillan Publishing Company, 1949), p. 7.

وأنا نفسي لم أدخله قط. لكني الآن أدرك أن يسوع هو الذي كان يدعوه لحمل صليبه ويسير وراءه، لا أنا. كان هذا بين الشاب والرب».[18]

بلغني مؤخرا نبأ راعي كنيسة شاب في منطقة نائية، حيث اضطهاد المسيحيين على أشده. وهو يدير أيضا مركزا للرعاية اليومية وعيادة طبية وبرنامجا لمحو الأمية، هذا بالإضافة إلى إعالة أسر الساجين. ضرب مرتين على يد المتطرفين ويواجه تهديدات يومية بالقتل. وهو عالم بأنهم بيتوا النية لقتله – لكنه يستمر في حمل صليبه كل يوم.

ومن نفس القطر يحكي قس كبير عن عضوة في أبرشيته جاءته تبكي طالبة النصح. فإن شبابا تدربوا على أيديها نالوا ترقية وصاروا مشرفين عليها. لقد تخطوها في الترقية لا لشيء عدا أنها مسيحية. يعقب الراعي: «هذا هو الصليب الذي علينا حمله في بلادنا!».

خلاصة هذه الأمثلة هو أنه بدلا من تنفيذ مشيئتي وممارسة حقوقي، أتعلم أن أتعاون مع أمنيات الله وأمتثل لأوامره.

إن نسيت لن أنسى زيارتي إلى كنيسة القس «لام» المنزلية في

[18] *Dateline,* A Publication of Arab World Ministries, Cambridge on, Canada, January 1991, p. 2.

غوانغجو، بالصين، التي اصطحبت فيها زوجتي «ديان» عام ١٩٨٥.[١٩] في تلك الليلة تعرفنا على مساعدته البالغة من العمر أربع وعشرين سنة. وعرفنا أنها غير حاصلة على «دانويه» أي وحدة عمل. وهذه هي الطريقة التي يسجلون بها جميع الناس في الصين لتحديد هويتهم. حتى شراء بعض الحاجيات يستلزم «دانويه».

ولما سئلت: «أليس خطرا عليك أن تعملي في كنيسة منزلية دون حصولك على وحدة عمل؟»، ردت ببساطة: «**هذا طريق الصليب!**»

سأل أحد مراسلينا إلى كوبا قسا كبيرا كان قد حصل منا على كتبا مقدسة كثيرة باللغة الأسبانية لسد الاحتياج هناك: «إننا نعرضك لخطر كبير، أليس كذلك؟»

فأجاب ويده فوق قلبه: «خطر؟ أي خطر؟ لقد خاطرت لما قبلت الرب يسوع المسيح مخلصا لي وانخرطت في سلك الرعوية. وإن أرادوا إطلاق الرصاص علي، فهذا يكون أفضل بكثير. لأني سأذهب إلى المجد مبكرا».

«رينالدو هرناندز» قس ميثوديستي آخر في كوبا. أمضى والده خمس سنوات في السجن بتهمة انقلاب سياسي وأراد أن تهرب أسرته

---

[١٩] تحكى قصة هذا الراعي الحبيب وكنيسته المترلية الشهيرة في كتاب مشجع للقراءة عنوانه *Bold As A Lamb*، من تأليف Ken Anderson.

إلى ميامي. لكن رينالدو قرر أن بقاءه في كوبا صليب عليه حمله:

«يقول: «أذكر قول أبي إنني سأدفع ثمنا باهظا بسبب هذا القرار». أما الثمن فجاء لاحقا حينما توقفت دراسته اللاهوتية بسبب الخدمة العسكرية الإلزامية في معسكر للعمل. كانت الأوضاع هناك بدائية وكان أغلب الرجال من المجرمين العتاة.

لكنه دأب هو وسبعة مسيحيين آخرين على الالتقاء تحت جنح الليل في حقول قصب السكر للصلاة وقراءة الكتاب المقدس وتشجيع بعضهم البعض. ثم يعلق قائلا: «لقد صرت راعيا في ذلك المعسكر، لا في كلية اللاهوت»».[٢٠]

أدلى بروفيسور اللاهوت الذائع الصيت د. «توماس أودين» بعد زيارة إلى كوبا في مطلع عام ١٩٩٤ بما يلي:

«رغم تحسن الأوضاع، لا يزال وضع المسيحيين في كوبا محفوفا بالمخاطر. فما من أحد يشهد دون تعريض نفسه للخطر، ولذلك فإن أغلبية المسيحيين الكوبيين راغبون في الاستشهاد – بالمعنى الأصلي للكلمة. يشحن هذا كل قرار معمودية، لا بل كل خدمة كنسية، بجدية صارمة. تنتفع الكنيسة كثيرا إذا فهمت بدقة أهم مهمة ملقاة على عاتقها، وفحصت كل الاختيارات

---

[20] J. Lee Grady, January, 1994, p. 80.

الأخرى من هذا المنطلق. يتعلم المؤمنون الكوبيون دون معلم إلى من يجب تقديم حساب: إلى ربهم المقام».[٢١]

أبلغني بروفيسور لاهوت كوبي أنه:

«لكي تكون مسيحيا وسط نظام اشتراكي متطاحن لهي مغامرة عظيمة. هنا تستطيع أن تكتشف أن وعود الله هي لك. ولا تستوعب هذا إلا عندما تعتمد على تلك الوعود في ظل ظروف خطرة. وتثبت صحتها من جهة الأمناء في المواقف الحرجة والشاقة أفضل من غيرها. هنا يجب أن تكون الكنيسة كنيسة بحق وإلا فقدت هويتها سريعا».[٢٢]

أدلى المرحوم جامي باكنجهام بتصريحات كثيرة خالدة. كان من بينها:

«الحياة الخالية من المخاطرة خالية من النصرة. فهي تبدو كاستسلام مدى الحياة للأمور الاعتيادية وهذه أسوأ هزيمة يمكن أن نتمنى بها».[٢٣]

أفرج عن أخ مسيحي صيني في مقاطعة «جنجيانغ» في شمال غرب

---

[21] Thomas C. Oden Christianity Today, April 25, 1994, p. 19.

[٢٢] نفس المصدر السابق، ص ٢٢.

[23] , Charisma, August 1995, p. 51.

الصين بعد قضائه عشرين عاما في السجن. وهـو يلقي هـذه القصيدة التي ألفتها زوجته قبيل وفاتها في السجن:

«كرست حياتي كتلميذ حقيقي
وعزقت الحقول بهمة ونشاط،
مستجديا الطعام بلا خجل،
مرتديا الهلاهيل كما لو كانت زيا رسميا
أكاد أتجمد من الجليد عند المحطة من شدة الرياح
ومع ذلك لا أفوه بكلمة واحدة من الشكوى.
لو أمكن نشر الإنجيل في أنحاء البلاد
لكنت أرضى بأن أعلق على الصليب بالمقلوب
دون أي شعور بالندم».

اتبعني!

بدا الأمر وكأن تكرار إذاعة شريط الفيديو المثير للاشمئزاز في محطات تلفزيون لا نهاية له. ولكن ماذا يمكن إذاعته في ضوء الحادثة التي صدمت وأذهلت بلدا بأسرها - بل معظم بلدان العالم. حدث هذا في ٢١ أغسطس ١٩٨٣ إذ كان قائد المعارضة «بنينو أكينو» قد عاد لتوه إلى الفلبين حين أسقطته على أرض مطار مانيلا الدولي رصاصة المغتال.

أثناء نفيه إلى الولايات المتحدة حكى أكينو لـ «تشوك كولسون» عن إيمانه الجديد بيسوع المسيح. وكانت السيدة «ماركوس» قد أنذرته بألا يعود إلى الفلبين. لكنه لم يقبل التهديد واستعد للعودة. فضحى بحياته!

بعد ثورة الشعب عام ١٩٨٦، حلت السيدة أكينو محل السيدة ماركوس بعد انتخابها للرئاسة. وتم إصدار ورقة مالية من فئة الخمسمائة بيسو عليها صورة بنينو أكينو والعبارة الشهيرة: «الفلبيني الذي يستحق أن نموت لأجله».

نوه يسوع في (لوقا ٩: ٢٣) بأن التلمذة تعني أيضا وجود شخص نسير وراءه. والسير وراء يسوع بالكامل معناه التسليم ودفع الثمن في كل الظروف والأحوال.

وصف يسوع أسلوب حياته بأنه يخلو من فراش ثابت. ففي ذات مرة قال رجل ليسوع إنه سيتبعه أينما يذهب. فأجاب يسوع:

«للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه». [٢٤]

[٢٤] متى ٨: ٢٠.

لم تحمل هذه الآية أي معنى حقيقي بالنسبة لي حتى التقيت بفازيلي وجالينا باراتس في موسكو في إبريل ١٩٨٨. كان كلاهما قد أمضيا سنينا في سجون الجولاج سيئة السمعة من أجل إيمانهما الصريح بالمسيح ورغبتهما في الهجرة إلى بلد تحمي الحرية الدينية. ولكن لدى إطلاق سراحهما، لم يصدر لهما تصريح بالإقامة في موسكو حيث كانا يعيشان قبل اعتقالهما. وكان تصريح الإقامة آنذاك ضروريا للسكن، حتى في غرفة بالفندق. وكان الآخرون يعرضون أنفسهم للخطر إذا أسكنوا شخصا لا يحمل هذا التصريح.

وفي يوم السبت السابق لعيد القيامة قاموا بزيارة سرية لمجموعتنا في فندقنا بموسكو وصرحا بدموع ساخنة أنهما باتا ليلتهما في الطرقات لعدم وجود مكان للمبيت فيه. فبكينا كلنا معهما وصلينا سويا.

ولما أخبرناهما بحملة الصلاة التي ساهم فيها المسيحيون من أجلهما أثناء حبسهما واضطهادهما بعد ذلك، انفجرت جالينا في البكاء. ثم قالت من وراء دموعها: «صلواتكم هي الشيء الوحيد الذي شد من أزرنا وسط كل هذه المحن!»

تتسع دعوة يسوع فتشمل مبدأ حمل الصليب كل يوم طواعية والسير في طريقه خطوة خطوة بصرف النظر عن الظروف – حتى الموت. جاء يسوع المسيح إلى هذا العالم ليموت. لذا فإن أي إنسان

يريد أن يكـون تلميـذا حقيقيـا لـه، لابـد أن يسـتعد ويتـأهب لنفس المصير. لكنه وعد أن التضحية بالنفس في اسمه لن تضيع هدرا.

«ترتليان» من آباء الكنيسة الأولى الذين نســب إليـهم القـول: «إن **بذار الكنيسة هو دماء الشهداء**». وهو نفسه اهتدى من خلال شهادة المسيحيين الذي كانوا يذهبـون إلى المـوت مـترنمين. وبعدهـا نـسبت إليه عبارة: «كلما حصدتمونا، ازددنا نموا؛ فـإن دمـاء الشـهداء بـذار جديد».[٢٥]

يذخر سفر الأعمال بـهذا المفـهوم. ومـن الجديـر بـالذكر أن كلمـة «شهادة» في (أعمال ١: ٨) باليونانية تـشتـق من جـذر كلمـة شـهيد. وكأن الوحي يقول إن الاستشهاد ما هو إلا شـهادة بـالدم. فـإن بـذل الإنسان حياته يعد أسمى تضحية.

غير أن الاستشهاد ليس حكرا على المسيحية. إن لزيـارة متحـف «ياد فاشـم» في أورشـليم القـدس وقعـا مؤثـرا في النفـس. وهـو متحـف مخصص لملايين اليهود الذين فقدوا حياتهم في محاولة الإبادة الكاملة على أيدي النازيين. هناك لفت نظري ملصق كبير يقول:

تقديس الاسم القدس يتم بثلاث طرق:

---

[25] *12,000 quotes*, p. 300.

أ) بأن يضحي اليهودي بحياته عند إجباره على ترك دينه.

ب) بأن يعرض اليهودي نفسه للخطر لينجي نفسا من إسرائيل، وبالأكثر نفوسا كثيرة.

ج) بأن يسقط اليهودي في أرض المعركة دفاعا عن اليهود.

وقد نادى «موسى ابن ميمون» من قبل بأن: اليهودي الذي يقتل حتى لسبب غير مقاومة تغيير دينه، بل لمجرد كونه يهوديا، يدعى قديسا.

إبان المظاهرات الطلابية في ميدان تيانانمن صبيحة الرابع من يونيو ١٩٨٩، تخبرنا تقارير شهود العيان بتحرك الدبابات وحاملات الجنود المدرعة نحو تمثال الحرية الذي التف حوله الطلبة.

التفت أذرع مائتين من الطلبة حول التمثال لتشكيل حلقتين في كل حلقة مائة طالب، وطفقوا يصرخون: «إننا لسنا خائفين من الموت؛ ولسنا خائفين من بذل دمائنا الشابة لأجل مستقبل بلادنا. وسيمنحنا الخلود الديموقراطية التي ننشدها».[٢٦]

كانت «تشاي لنج» من أنشط القادة الطلابيين أثناء احتلال ميدان تيانانمن. قالت في مقابلة شخصية سجلت بالفيديو أثناء أحرج أيام المظاهرة:

Tiananmen *The Toronto Star,* Saturday, June 2, 1990, p. D-1.

«ما نرجوه حقا هو سفك الدماء ... فقـط حـين يغتسـل الميـدان بالدماء سيفتح شعب الصين أعينهم».[٢٧]

المجاهد الذي يموت في «الجهاد» يعتبر شهيدا ويدخل ضمن الفئة الوحيدة التي تضمن مكانا في الجنة. يقول أحد أصحاب فكر الجـهاد في غزة:

«تتدرب شبيبتنا منذ الصغر على عـدم الخـوف مـن الموت ... إنهم يعلمون علم اليقين أن الموت آت بعد ثلاثين عامـا أو بعـد خمس دقائق. والفرق لا يهم عندهم».[٢٨]

يعلن جورج أوتس الابن في كتابه الضخم *The Last Of The Giants* (آخر العمالقة) أن الأصوليين يزعمون أن ثورتهم الروحية تتغذى على دماء الشهداء. ثم يتساءل إذا كان فشل المسيحية في الازدهـار في تلك البلاد مرجعه غياب الشهداء المسيحيين غيابا بينا.[٢٩]

والاستشـهاد المسـيحي ليـس ظـاهرة خاصـة بالكنيسـة الأولى أو بسـكان البلـدان المغلقـة. يقـول الدكتـور دافيـد بـارت محـرر World Christian Encyclopedia إنـه قـد استشـهد أكـثر مـن أربعـين مليـون

---

[27] Emily Mitchel *TIME*, October 23, 1995, p. 77.

[28] *The Globe and Mail,* Friday, May 12, 1995. P. A-10.

[29] George Otis, Jr, *The Last Of The Giants,* (Tarrytown, NY: Fleming H. Revell Company, 1991), p. 261.

مسيحي منذ سنة ٣٣ م. وفي عام ١٩٩٦ قدر الدكتور «بارت» معدل الاستشهاد المسيحي السنوي في العالم بنحو ١٥٩ ألف شهيد.[٣٠]

أما الجزء المثير للاهتمام في تقدير بارت فهو أن احتمال استشهاد المبشر الأجنبي في التسعينات زاد بنسبة ٣ : ١. وهو يعرف الشهداء بأنهم «مؤمنون بالرب يسوع المسيح فقدوا حياتهم قبل الأوان في سبيل إيمانهم، في مواقف الشهادة، نتيجة لعدوان آدمي».[٣١] وهو يتوقع ارتفاع عدد الشهداء المسيحيين إلى ٥٠٠ ألف سنويا بنهاية عقد التسعينات.

ويمضي الدكتور بارت في قوله: إن قول الناس في البلدان الغنية: «آه، ما أفظع هذا»، إنما يدل على بعدهم الكبير عن أسلوب الحياة الرسولي. **الكنيسة العادية هي الكنيسة المتألمة**».[٣٢]

ثم يخلص إلى القول:

> «طبعا لا ينبغي أن يطلب المسيحيون الاستشهاد، ولا يمكنهم أيضا التحكم في وقت أو مكان حدوثه. لكن حيث يقع الاستشهاد تكون

---

[30] David B. Barrett On Global Mission: 1996 *International Bulletin of Missionary Research*, Vol. 20, No., January1996, p. 25.

[31] *Asian Report*, 191, Vol. 24, No. 5, Sept-Dec. 1991, p. 5.

[32] Dan Vooding 333,000 believers are martyred annually, reports researcher David Barrett *Christian News*, July 19, 1987, p. 17.

الكنيسة سائرة في إثر سيدها بحق». [٣٣]

يروي الأخ أندرو اختبارا من أوروبا الشرقية حينما كان يقدم النصح لجيرالد، وهو شاب مسيحي أمين وقعت عليه القرعة لأداء الخدمة العسكرية حيث كان عليه أن يقسم قسما إلحاديا ويقدم يمين الولاء للقوات التي كرست نفسها لمحو الكنيسة في بلاده. يقول أندرو:

> «كان هذا بالنسبة لجيرالد أمرا مستحيلا. وكان يحب الرب يسوع بما يكفي لأن يقول لا – أو هكذا كان يبدو. فناقشنا عدة اختيارات وقلت له في النهاية: «جيرالد، لم لا تموت شهيدا من أجل المسيح؟» فما كان منه حينئذ إلا أن هب وقال: «يا أندرو، كم أود أن يسمحوا لي بالموت شهيدا من أجل المسيح. ولكنهم لن يسمحوا لي. وإنما سيلفقون لي جريمة سياسية أو اقتصادية، ولكنهم لن يدعوني أموت في سبيل يسوع»». [٣٤]

كتبت «آمي كارمايكل» المرسلة الشهيرة إلى الهند في إحدى قصائدها الكثيرة: «هل يمكننا أن نسير بعيدا وراء من لا جرح فيهم أو ندب؟»

---

[٣٣] في نفس الكتاب المذكور، ص ٥.

[34] Myrna Grant, *Letters To Graduates,* (Nashville, TN: Abingdon Press, 1990), p. 17.

يروي «دك إيستمان» من هيئة «كـل بيـت للمسـيح» كلمـات شـاب إفريقي كتبها قبيل استشهاده في سبيل إيمانه:

«أنا عضو في شركة غير المخزيين.

لقد سبق السيف العَذَل.

وتخطيت الحد.

لقد اتخذت القرار.

أنا من أتباع المسيح.

لن أنظر للوراء أو أتخاذل أو أتباطأ أو أرجع أو أهدأ.

ماضي مفدي، حاضري له معنى، مستقبلي مضمون.

قد انتهيت وتخلصت من العيشة الذليلة، من السـير بالعيـان، من الركب الناعمة، من الأحلام الشاحبة، مـن الـرؤى المقيـدة وكـلام العالم والعيش الرخيص والأهداف الفاسدة.

وقد ثبت وجهي، وأسرعت خطاي، وهدفي السماء،

وطريقي ضيق، وسبيلي وعر، ورفقائي قليلون،

ودليلي أهل للثقة، ورسالتي واضحة.

فلن أستسلم أو أصمت أو أتهاون، حتى أسهر وأصلي

وأدفع الثمن مقابل سبب موت يسوع المسيح.

ولابد أن أكمل المسير إلى أن يأتي، وأعطي حتى أسقط،

وأكرز حتى يعرف الجميع، وأعمل حتى يوقفني هو.

وحين يأتي لخاصته، لن يصعب عليه التعرف علي

لأن رايتي ستكون واضحة!». [٣٥]

ميت من قبل

كان «سودمان» قسيسا كبيرا في كنيسة مجامع الله في بلد أسيوي. وكان القسيس الوحيد من خلفية غير مسيحية الذي اختار البقاء في بلده أثناء الثورة. بعد أن سجن مرات عديدة من أجل إيمانه، عرضت عليه السلطات الكنسية مساعدته لمغادرة البلاد للعمل في اليونان أو تركيا بين الإيرانيين العائشين هناك. لكنه رفض العرض قائلا: «**لا تكسروا قلبي. إني أحسبه امتيازا أن أبقى وأقاسي الشدائد والاضطهاد من أجل سيدي**». وكان أن أعدمته السلطات شنقا في ٣ ديسمبر ١٩٩٠.

حتى المسيحيون الآخرون ظنوا أن مؤمني كنيسته سيصيبهم الخوف من جراء هذا، لكن العكس حدث. فإن الكنيسة هناك ازدادت بنسبة ٥٠٠ ٪. وقدم أحد أبناء القس سودمان حياته للتدريب على الرعوية بدلا من أبيه.

وأثناء ذلك الوقت أمضى القائد المسيحي «ديباج» أكثر من تسع

---

35 *Every Home For Christ*, June 1993, p. 3.

سنوات في السجن في سبيل إيمانه. وكتب في مطلع عام ١٩٩٢ خطابا في عيد ميلاد ابنه جاء فيها ما يلي:

> «لا أخفي عنكم أني طالما حسدت أولئك المسيحيين الذين استشهدوا من أجل ربنا يسوع المسيح طوال تاريخ الكنيسة. لأنه بالنسبة للمسيحي يكون الموت الطبيعي خسارة. فياله من امتياز أن نحيا له ونموت له أيضا! وأنا مستعد من أجل اسم ربنا يسوع ليس فقط أن أظل سجينا بل أن أبذل حياتي في خدمته أيضا».

وبالفعل جاء دوره في أواخر سنة ١٩٩٣، إذ وجهت إليه عدة تهم بعد كونه مسيحيا لأكثر من أربعين عاما. قام هو بالدفاع عن نفسه واستخدم أقواله ببساطة ليحكي عن تمسكه بيسوع المسيح.

وفي مطلع ١٩٩٤ حكم عليه بالإعدام. ولما زاره ابنه (الذي كتب إليه الخطاب) قال له:

> «أرجوك أن تخبر كل من يصلون من أجلي أني أظن أن هذه هي ساعة امتحاني مثل إبراهيم ... فأنا لن أنحني أمام القوم المنشغلين بالعالم وأترجاهم أن يعفوا عني! أنا مستعد تماما للإعدام. هذا امتيازي الذي لن ينتزعه أحد مني». [٣٦]

---

[36] Barbara Baker, *News Network International,* News Service January 21, 1994, p. 5.

دوت صيحة دولية عالية حين تم الإعلان عن إعدام ديباج. ولكن حكومة بلاده أفرجت عنه فجأة وأنكرت حكمها عليه بالموت بسبب دينه.

عمت الفرحة مؤمني المدينة ذلك اليوم، وعندما التقى بهم ديباج لأول مرة كان رد فعلهم التلقائي ترديد ترنيمة «بيسوع الرب نحن منتصرون!». حتى جريدة التايم قدمت تقريرا عن إطلاق سراحه تحت عنوان «استجابة الصلوات». [٣٧]

لكن البهجة الدولية لم تدم إلا ثلاثة أيام، ففي ١٩ يناير اختفى رئيس مجامع الله «حايك هوفسيبيان» بطريقة غامضة وهو في طريقه إلى المطار. وقع ذلك عقب تحدث الأسقف حايك -وهو رئيس مجلس الخدام البروتستانت- بشجاعة ضد اضطهاد المسيحيين وإغلاق دار الكتاب المقدس، بالإضافة إلى عدد من الكنائس في أنحاءالبلاد. وكان أيضا قد شن حملة إعلامية شديدة لإطلاق سراح القس ديباج، وقام بواجبات الأبوة تجاه أولاد الأربعة أثناء حبسه، بالإضافة إلى أولاده الأربعة.

---

37 *TIME*, January 31, 1994, p. 9.

لم يتصل مسؤولو الحكومة بأسرته إلا في ٣٠ يناير ليطلبوا منهم التعرف على جثته عن طريق صورة. وادعوا أنهم وجدوا جثته وبها جروح ناجمة عن طعنات غائرة في التاسع عشر من الشهر، ولكنهم دفنوها بعد ذلك بعدة أيام بسبب عدم تعرفهم على هويته. غير أنهم لم يدرجوا صورته ضمن الضحايا المجهولين في الجرائد الرسمية كما هو متبع عادة.

روى المسيحيون الأسيويون أن الأسقف كان رجلا شجاعا ومتواضعا أحبه واحترمه كل من عرفه في كنيسته. وأضافوا أنه في الأسابيع الأخيرة من حياته، كان يكثر الحديث عن احتمال استشهاده وعن استعداده لملاقاة هذا المصير. وتم تشغيل شريط كاسيت له في خدمة تشييع جثمانه، وعظ فيه عن بذل النفس من أجل يسوع. ومن بين تصريحاته عن احتمال موته ما قاله للأخ أندرو قبل وفاته بأسابيع: «**لن أموت موتا صامتا!**»

حضر خدمة تشييع جثمانه ألفا شخص، وسمعوا ديباج يقول: «كان يجب أن أموت بدل الأخ حايك!»

في صبيحة اليوم الذي تلقيت فيه نبأ مقتل الأخ حايك المروع، كنت أقرأ في سفر إشعياء حتى بلغت الآيات الأولى من الإصحاح السابع والخمسين:

«باد الصديق وليس أحد يضع ذلك في قلبه. ورجال الإحسان يضمون، وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يضم الصديق. يدخل السلام. يستريحون في مضاجعهم. السالك بالاستقامة».[٣٨]

ثم وجدت جثة ديباج في مطلع يوليو ١٩٩٤ في إحدى الغابات. ويقول شهود العيان إنه كانت توجد آثار حبل حول رقبة ديباج، مما يدل على مقتله شنقا.

وبعد ذلك بأيام قليلة وجدت جثة القس «تاتيوس ميخائليان» الذي خلف الأسقف حايك في رئاسة مجلس الكنائس البروتستانتية. وكان قد لقي مصرعه بعد إصابته بأعيرة نارية في رأسه. والجدير بالذكر أنه شدد في عظته الأخيرة على ضرورة استعداد المسيحيين للاستشهاد من أجل يسوع المسيح.[٣٩]

أبلغ «روبك» —أخو الأسقف حايك— الحاضرين في مؤتمر الصلاة المنعقد في أكتوبر ١٩٩٤ أن كنيسة أخيه في إيران تضاعف عددها منذ وفاة الأسقف حايك في وقت مبكر من العام.

---

[٣٨] إشعياء ٥٧: ١-٢.

[39] *Newsbrief*, Vol. 9, issue 9, September, 1994, pp. 1-2.

يجد المسيحيون الذي يعتبرون أنفسهم أمواتا من قبل تحررا هائلا في الروح للقيام بعمل الرب دون خوف. وهم يعلنون مرارا وتكرارا أنه في هذه الحالة من الاستعداد فقط يستطيع التلميذ أن «يعيش للرب» باستسلام تام.

ألقى الدكتور «جيه. كريستي ولسون» محاضرة في مؤتمر لوزان الشهير عام ١٩٧٤ روى فيها قصة شخص مسيحي من بلد آخر أراد العودة وقتما كانت عقوبة الإيمان بالمسيح الموت. سئل هذا الشاب إذا كان يخشى العودة أم لا، فرد: «لقد مت من قبل في المسيح!»

يقول الزميل «هكتور تاميز» إن هذا المبدأ ينتشر على نطاق أوسع بين المسيحيين الذي يعيشون في مناطق الحروب بأمريكا اللاتينية. وأفضل مثال لدينا على ذلك المسيحيون المطحونون في الحرب الأهلية بين الحكومة والعصابات المتمردة في بيرو. إليكم بما قاله هكتور تعبيرا عن إخلاصهم وتبعيتهم للمسيح:

> «هم يعلمون أنهم سيقتلون. ومع ذلك يقولون: لكي تكون مسيحيا هنا يجب أن تدرك أنك **ميت بالفعل في المسيح**. وما أن تدرك هذا، حتى يكون كل يوم يمر عليك مكسبا.
>
> إذا بقيت حيا هناك لمدة سنة، يكون الله أهداك سنة كاملة لتشهد، ليس فقط بالكلام، بل بالأعمال أيضا».

يردد المؤمنون الصينيون ترنيمــة مـن سـتة مقـاطع كاملـة عنوانـها «الاستشهاد في سبيل الرب». أما القرار فـهو ترديـد للعنـوان وينتـهي بالقول: «أنا مستعد أن أموت ميتة المجد في سبيل الرب». [٤٠]

كان «ني تؤوشِـنج» –المعـروف أكـثر باسـم «واتشـمان نـي»– يـزور أصدقاء له في هونج كونج عام ١٩٥٢. فـألح عليـه الكثـيرون ألاّ يعـود إلى الصين بسـبب الإلحـاد الشـديد الـذي ينتهجـه النظـام الشـيوعي الحاكم. لكنه كان تلقّى دعوته من الله للعودة والتألم مع إخوته. كـان الطريق الذي عيَّنه الله له واضحـاً جـداً أمامـه. «**لـن تنتـهي حيـاتي بالاختطاف، بل بالاستشهاد**». [٤١]

بعدها بعشرين عاماً بـالضبط مـات بـالفعل مـن أجـل سَـيِّدَهُ بعـد معاناة شديدة في معسكرات الاعتقال سيئة السمعة في قرى الصين. ولم تنقض معاناته دون أن تترك تأثيراً لصالح يســوع في حيـاة الكثـيرين. وتشير التقارير الحديثة عن وفاته أن مسـاجين آخريـن تـأثروا للغايـة بشهادته ومحبته ليسوع، حتى أن بعضهم تبع المسيح بعد موته. [٤٢]

---

[40] Danyun, *Lilies Amongst Thorns* (Tonbridge, Kent, UK: Sovereign World, 199) p. 30.

[41] *Overseas Missionary Fellowship* April, 1993, p. 2.

[٤٢] نفس المصدر السابق، ص ٧.

غالبون منتصرون

يقول الدكتور بولس نجروت الروماني:

«أبطال رومانيا هم الذين ماتوا على إيمانهم، الذين واجهوا الاضطهاد الشيوعي والأهوال بعزة نفس، فماتوا إكراما للمسيح. إن سبب اختبارنا بركات الله ... إنما مرجعه أولئك الشهداء وشهاداتهم». [٤٣]

كان الدكتور «جوزيف تسون» -المرشد الروحي الخاص للدكتور نجروت- قد عانى من اضطهاد قاس حتى طرد أخيرا من البلاد. وبينما هو حر طليق صار يحكي كثيرا عن أهمية الاستعداد للاستشهاد:

«أثناء التحقيق معي سابقا في «بلوئيستي» أخبرت ضابطا آخر هدد بقتلي: «يا سيد، دعني أوضح لك وجهة نظري للموضوع. إن أشد سلاح لديك هو القتل، وأشد سلاح لدي هو الموت.

والأمر يجري على هذا النحو. أنت تعلم أن عظاتي المسجلة على شرائط قد انتشرت في جميع أنحاء البلاد. فإذا قتلتني سيكون دمي مرشوشا على تلك العظات. وسيعلم الجميع أني مت بسبب وعظي، وكل من لديه شريط سيلتقطه

43 News Network International, News Service September 23, 1992, p. 54.

ويقول: يجدر بي أن أعيد الاستماع إلى ما وعظ به هذا الرجل؛ لأنه كان جادا فيما قال. لقد صدق على أقواله بذل حياته.

من ثم، يا سيد، ستتحدث عظاتي بصوت أعلى عشر مرات من قبل. بل إني سأبتهج بهذا الانتصار الساحق إذا قتلتني».

فأرسلني إلى البيت.

ثم أن ضابطا آخر كان يستجوب قسا صديقا لي قال له: «نحن نعلم أن السيد تسون يتمنى أن يكون شهيدا، لكنا لسنا بهذا الغباء أن نلبي له أمنيته».

توقفت لأمعن التفكير في فحوى هذا التصريح. وتذكرت كيف كنت أخاف الموت لسنوات عديدة، وأتجنب إثارة الشبهات حولي. ومن أجل رغبتي الشديدة في الحياة، أضعت حياتي في الكسل وعدم النشاط.

ولكن حالما وضعت حياتي على المذبح وقررت أني مستعد لملاقاة الموت في سبيل الإنجيل، أخبروني أنهم لن يقدموا على قتلي! وصار باستطاعتي التجوال في البلاد طولها وعرضها والوعظ بما يحلو لي، عالما بأني في أمان.

مادمت أحاول تخليص حياتي، كنت أضيعها. ولكن حين صرت مستعدا لفقدانها، وجدتها.

كنت على حق في أول يوم استجوبوني فيه: لقد علمني الرب دروسا كثيرة خلال تلك الساعات المرهقة. وفي أثنائها

تمكن البوليس السري من سماع الإنجيل ورؤية محبة يسوع عمليا. فخرج كلانا من الموقف أحسن حالا.

علمنا يسوع منذ وقت طويل أنه: معه طريق الهاوية يصعد إلى أعلى. معه درب الآلام ينتهي بالنصرة. وطريق الجلجثة لا يتوقف إلا عند القيامة». [٤٤]

كان الدكتور «جون بت» مديرا لهيئة مسيحية بإفريقيا لعدة سنوات. وكثيرا ما يقص اختبار الكارز «بنجامين دوبيه» الذي كان يشهد في شوارع سويتو عن إيمانه بيسوع المسيح. وكانت رسالته تقول إنه بدلا من الكراهية المتبادلة بين البيض والسود، يجدر بهم أن يحبوا بعضهم بعضا. وكان ذلك سببا في تلقيه تهديدات كثيرة. وفي أحد الأيام دنا منه بعض السود وأمروه بألا يعظ عن محبة الآخرين بعد ذلك، وقالوا له: «إننا لا نريد أن نحب جيراننا؛ نحن نكرههم!»

واصل بنجامين السير، حتى حلم ذات ليلة أنه طعن حتى الموت بيد أهله السود. فأيقظ زوجته «جرايس» وقال لها: «أنا أعتقد أن هذا الحلم سيتحقق. وعلينا أن نقرر إما أن نكمل المسير ونتألم، أو نتوقف ونعصى الله».

[44]Joseph Tson ed from *Christian Herald*, April, 1988, pp. 3-4.

وفي اليوم التالي ناقشا مع أولادهما الحلم وأيضا التهديدات المتواصلة. فسألهم بنجامين: «هل يجب أن أواصل تبليغ رسالة الغفران هذه؟» فهز أولاده الأربعة رؤوس علامة الموافقة مع علمهم بالعواقب التي تترتب على ذلك.

ثم صلى بنيامين دوبيه مع زوجته وأولاده طالبا من الرب قوة للبقاء أمينا. ولم يطل الوقت حتى ذهب الكارز دوبيه ليعظ في أحد الاجتماعات، وكان أولاده معه. وبينما هو في وسط سويتو، استوقف سيارته عشرة رجال سود. ثم جروا هذا الواعظ الأمين خارج السيارة وطعنوه بالسكين في صدره ست عشرة مرة. أما الأولاد فولوا الأدبار، فيما عدا ابنه «بوناني» البالغ من العمر اثني عشر عاما، الذي اختبأ وراء صفيحة قمامة، وشهد أباه وهم يطعنوه المرة بعد الأخرى دون أن يقدر على مساعدته.

ثم أخذ القتلة كتاب بنجامين المقدس وغمسوه في دمه، وبعدها اختفوا في الظلام. فهرع بوناني الصغير إلى والده، ولكن المنية كانت وافته. فأسرع إلى البيت ليخبر أمه الخبر المروع. وذهب في الحال إلى مخدعه وصرخ إلى الله من شدة احتياجه وحزنه. وفتح الكتاب المقدس الموجود على مقربة من فراشه، فكانت أول كلمات وقعت عليها عيناه ما نطق به يسوع على الصليب: «*ياأبتاه، اغفر لهم، لأنهم*

لا يعلمون ماذا يفعلون». هناك في مخدعه تلقى تعزية من تلك الكلمات ووضع لحنا جديدا لها وصار يرنمها.

تم إلقاء القبض على الجناة بعد ذلك، وحكم على سبعة منهم بالسجن ثلاثة أشهر لأنهم ساعدوا في تخطيط الجريمة، لكنهم لم يكونوا ضالعين فيها بشكل مباشر. أما الثلاثة الباقون فحكم عليهم بالسجن خمسة عشر عاما.

بعد الجنازة اجتمعت جرايس وأولادها وقرروا أن لا يتوقفوا عن تبليغ رسالة المحبة والغفران. فاستمرت هي والأولاد تشهد بالوعظ والترنيم عن فداء المسيح.

وبعد مقتل زوجها بنحو عام، كانت جرايس والأولاد تقيم اجتماعا في الهواء الطلق. وكان شركاء الجريمة السبعة قد أفرج عنهم. فبعد أن رنمت جرايس والأولاد ترنيمة، قدمت اختبارها. وأنهت حديثها بدعوة للتوبة. «أيها الأحباء، ابدأوا حياة جديدة مع يسوع. إنه ينزع الكراهية كلها ويعطي محبة عوضا عنها. تعالوا وتحدثوا معي إذا كنتم تريدون اتباع يسوع».

حدثت حركة بين الجمهور، وأتى الكبار والصغار. وفجأة اندفع رجل وسط الزحام ووقف أمام جرايس دوبيه منكس الرأس. وقال بانكسار: «أنا أيضا أريد أن أبدأ حياة جديدة مع يسوع».

نظرت جرايس إلى الشاب وارتجفت أوصالها. فقد كان واحدا من السبعة الذي خططوا لمقتل زوجها. لم ينظر الشاب إليها، ولم تدر جرايس ماذا تقول برهة من الوقت. ثم لفت ذراعيها حوله وقالت والدموع تنحدر من عينيها: «أنت الآن أخ لي!»

صمت الجمهور وكأن على رؤوسهم الطير. فهم أيضا تعرفوا على الرجل، وكذلك تعرف عليه أولاد جرايس. وبينما الجميع ينظرون، طفق الأولاد ينشدون ترنيمة: «نخدم ربا قديرا».

يختتم جون بقوله إن بنجامين دوبيه لم يشأ أن يكون من المتفرجين، ولا أسرته أيضا. بل كانوا يفضلون اتباع يسوع والموت على مجرد التفرج والحياة.

«وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم، ولم يحبوا حياتهم حتى الموت» (رؤيا ١٢: ١١) [٤٥]

✞✞✞✞

[45] Jan Pit, *Persecution: It Will Never Happen Here?* (Orange, CA: 1981), pp. 118-119.

يا رب، طلبت مني أن أنكر ذاتي وأحمل الصليب كـــل يوم وأتبعك. سامحني على كل مرة استبدت بي الأنانيـــة فنسيت مطالبك ... أو لم أتبعك طول الطريق. ســـاعدني أن أحيا وكأنني ميت من قبل، لكي أكون مستعدا للمخاطرة بكل شيء في سبيل مجدك. أشكرك على أولئك الذين أثبتـــت حياتهم أنك تقدر أن تجعلني غالبا منتصرا.

إذا كان المسيح هو اللّه ومات

من أجلنا،

فلا تَعظُم أية تضحية

عن أن أقدمّها له.

سي. تي. ستود

سر رقم ٣–

خدمة الله من كل القلب

بسبب محبة يسوع ومثاله لنا، نثبت محبتنا له بأن نكون عبيدا مقيدين– في أي مكان يضعنا فيه ... ومكافأته هي حضوره الشخصي معنا على الدوام.

الفصـــل الثـــالث

أثمروا حيثما تـُغرَسـون

انحرفت عربة النقل العسـكرية مـراراً كثـيرة محاولـةً أن تتخطـى ازدحام الدراجات البخارية في شوارع مدينة «هو تشـي منـه». وكـانت بعض الدراجات الصغيرة تتسع لخمسة أفـراد - هـم أسـرة بأكملـها! شهق القس «هو هيئيؤو ها» ومسح جبينه من العرق مــن مجلسـه فـوق مقعد خشن في مؤخرة العربة حينما أوشك السـائق أن يقلـب «دراجـة عائلية» اعترضت طريقه المتعرّج.

فكّـر القـس «هـو» في أعضـاء كنيسـته الآخذيـن في الـتزايد. كـان الكثيرون منهم يسافرون بهذه الطريقـة ليصلـوا إلى الكنيسـة أو مراكـز العبادة المنزلية. لعبت الذكريات بمخيلته فرسمت البسمة على وجهه.

مضـت سـنة ونصـف الآن علـى إغـلاق كنيسـته المـتزايدة بـالقوة وحبسه هو شخصياً. حدث هــذا في موسـم عيـد الميـلاد المجيـد عـام

١٩٨٣. لكن البسمة امتزجت بالحزن لما فكّر في الطريق الذي أمامه. كان اليوم أول أيام محاكمته. فهل يا تُرى سيُسمَح لزوجته المحبوبة وأولاده بالحضور؟ لقد افتقدهم كثيراً.

مالت العربة عن الطريق لتتوقف أمام مبنى المحكمة. ولما خطا خارج العربة بجسمه النحيف، بهر الضوء نظره إلى حين، وسمع همهمة تعلو وتعلو بين جمهور الناس المتجمعين. ثم لما اتضحت معالم وجوههم ميّز بينهم كثيرين من أعضاء كنيسته السابقة. ما أخلصهم وأوفاهم من رعية!

ثم لمح زوجته. فملأه انفعال قوي، وكم تمنّى أن تزوره بانتظام بدلاً من تلك الجلسات القليلة المتقطّعة. ولكن ما أن تلاقت أعينهما حتى لاحظ أنها تبكي بكاءً رقيقاً. كم تمنّى أن يحضنها ويعزيها! كان يدرك أنها قلقة على ضعف بدنه الواضح ونقص وزنه.

فلما رأى أن عدداً كبيراً من رعيته السابقة حاضراً بين الجمهور وأنهم كانوا يحتاجون إلى تشجيعه، صاح القس «هو» مخاطباً إياها: يا عزيزتي، «أرجوكِ ألاّ تبكي! لا داعي للبكاء على الإطلاق! لقد منحني الرب خدمة في السجن مثل خدمتي السابقة في الكنيسة. وأنا

مستعد أن أبقى هناك وأخدمه!»[1]

في الفصول السابقة قابلنا أولئك الذين يحبون يسوع لدرجة أنهم كانوا مستعدين للموت لأجله. لكن يوجد وجه آخر للعملة: إننا مدعوون للحياة من أجله. الموت عن الذات هو العامل المحرر والمنشّط في الحياة من أجل يسوع. وهذا يصاحب إدراكاً قوياً بقدرة الله وجلاله.

وصلني للتو خطاب من خدمة تحمل عبء ورؤية الكرازة في كوريا الشمالية. وهو يحكي عن مواطن كوري كان في جولة سياحية في الشمال، واتصل بمجموعة من المسيحيين في السر. وكانت أعظم رغبة تحدوهم أن يتعمدوا بالماء، فطلبوا منه أن يمد يد العون لهم.

فتأكدوا من عدم وجود أي شهود عيان غير مرغوب فيهم بأن أسكروا المرشد حتى الثمالة ثم ذهبوا بعدها إلى النهر. ولم يكن الأخ الزائر قد عمّد أحداً من قبل. من ضمن الأسئلة التي لم يتدرب عليها سؤال ألقاه على المرشحين للمعمودية: «هل أنت مستعد أن تموت لأجل يسوع المسيح؟» فكانت إجابتهم: نعم، ونحن مستعدون أن نحيا لأجله».[2]

---

[1] تقرير شخصي من ريج رايمار من ترجمة لخطابي كتب أصلاً بالفيتنامية، ١٩٨٥.

[2] Cornerstone Ministries International letter, April 19, 1993.

استمع «ضياء» وهو شاب أعمــى إلى الإنجيـل عـن طريـق الراديـو. وكان قد حفظ كتابه عن ظهر قلب باللغة العربيــة، وهـو عمـل فـذ لا يضارعه سوى حفظ العهد الجديد كله باللغة اليونانية. ولما أعلن عــن إيمانه بيسوع المسيح علناً، سأله أصدقاؤه إذا كان يـدرك أن هـذا قـد يؤدي به إلى الموت.

فأجاب: «لقد حسبت النفقة وأنا مستعد للموت من أجل المسـيح، هذا لأنه قد مات هو من أجلي من قبل علــى الصليـب». بعدهـا صـار «ضياء» القائد الروحي للمسيحيين الجدد في بلاده.

وبعدمـا درس في معـهد المكفوفـين صـار أول طـالب أعمـى يحضر مدرسة عادية للمبصرين، فأكمل الدراسة الثانوية، وكــان ينـهي كـل سنتين دراسيتين في سنة واحدة. وأراد أن يدرس الشريعة ليدافع عــن المسيحيين الذين قد يضطَهدون في سبيل إيمانهم. فتخرّج من الجامعة بدرجة في القانون. وبجوار هذا درس اللغة الألمانية على نفسه وترجـم العهد الجديد إلى لهجته المحلية.

ثم سافر ضياء إلى بلد آخـر حيـث ربـح جـائزة في الحفـظ. وكـان الحكـام مندهشـين ومغتمّين لأن شـخصاً أجنبيـاً ربـح المقــام الأول، فسلموا جائزة أخرى لأفضل متسابق من بلادهم.

اعتُقِل هذا الشاب في عهد النظام الشيوعي بتهم مزيفة، وزُجَّ به إلى سجن بولي تشارخي السياسي خارج العاصمة حيث كان يتم إعدام الآلاف. لم يكن بالسجن تدفئة لحماية النزلاء من طقس الشتاء البارد. وتعيّن عليه النوم على أرض طينية متجمدة مرتدياً معطفاً واحداً. وكان المسجون الذي بجواره يرتعد من البرد لأنه لم يمتلك سترة. كان ضياء يعلم أن يوحنا المعمدان قال:

«مَنْ لَهُ ثَوْبَانِ فَلْيُعْطِ مَنْ لَيسَ لَهُ، وَمَنْ لَهُ طَعَامٌ فَلْيَفْعَلْ هكَذَا».

(لوقا ٣: ١١)

فنزع عنه معطفه الوحيد وأعطاه لجاره. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً حفظه الله دافئاً كل ليلة بطريقة معجزية. فنام وكأنه يتغطّى بلحاف دافئ.

أعطى الشيوعيون لضياء في السجن جلسات كهربائية ليغسلوا مخه. فتركت الحروق الكهربائية آثاراً على رأسه، لكنه لم يستسلم. ولما سنحت له الفرصة لدراسة الروسية، أتقن تلك اللغة أيضاً.

وعقب إطلاق سراحه من السجن، تعلم العبرانية والأوردو، وهي لغة بلد الجوار. واستمر يترجم الكتاب المقدس ويكتب ويعظ.

وفي الثالث والعشرين من مارس ١٩٨٨ اختطفته جماعة متطرفة واتهمته بأنه عميل للمباحث الأمريكية لأنه يعرف الإنجليزية، وعميل

للمخابرات الروسية لأنـه يعرف الروسية، ولأنـه يعتنق المسيحية. وأوسعوه ضرباً بالقضبان عدة ساعات ... ومعلوم أن الأعمى لا يرى العصا تنهال عليه فتُنزِل به أشد الضرر؛ مثل التعذيب الذي تلقّاه الرب يسوع حينما عصبوا عينيه وضربوه (لوقا ٢٢: ٦٤).

أما آخر ما ورد عن «ضياء نُضرت» فهو استشهاده بطريقة وحشية. ولكن ذكره لن يُخلَّد فقط من أجل استشهاده، بل أيضاً لأنه عاش حياته كلها في خدمة سيده.[٣]

عبيد مقيدون

يروي القس الروماني بولس نجروت صلاة كتبها سجين مسيحي قبيل إعدامه على يد الشيوعيين في رومانيا. فيما يلي ترجمة غير حرفية لصلاته:

«يا رب، كلي اشتياق إلى رؤياك في ذلك اليوم العظيم
أنت وعائلتك في السماء.
كلي اشتياق لرؤية الكارزين العظماء واقفين أمامك.
كلي اشتياق إلى يوم رؤياي المبشرين عائدين للوطن مبتهجين
مع حزمهم.

---

[3]Jonathan Goforth, 'The Story Of Zia Nodrat', Toronto, Canada: Fellowship of Faith.

كلي اشتياق إلى سماع كل مرنمي العالم العظام يسبحونك.

كلي اشتياق إلى رؤية كل وعاظ العصور واقفين أمامك.

لكن عندي ، يا رب، طلبة خاصة :

حين يحين ذاك اليوم، اسمح لي أن أكون هناك بلباس السجن.

أريد أن أسبحك مدى الأبدية في لباس السجن لأذكّر نفسي دائماً أني كنت سجيناً لأجلك». [4]

يزور المسيحيون في الكنيسة المتألمة إخوتهم في السجن بانتظام. أحد أسباب ذلك هو التشجيع الذي يجلبونه لهم، أما السبب الآخر فهو إحضار الطعام الذين يحتاجون إليه بشدة. وهناك أخبار عديدة عن وقوف هؤلاء الزائرين المسيحيين خارج مبنى السجن أو تخييمهم هناك عقب زيارتهم القصيرة والترنيم بملء حناجرهم. تشجّعت لما قرأت ترنيمة من هذا النوع مترجمة من الصينية على النحو التالي:

«أنا عصفور في قفص، بعيد عن الأشجار والأزهار والحقول.

كم أنا سعيد، يا رب، أن أكون مقيداً، فأغني وأسكب قلبي لك طوال اليوم.

أنت تحب الإمساك بجناحي اللذين يريدان الطيران.

استمع إلى الأغاني التي سأنشدها،

---

[4] بولس نجروت، من شريط كاسيت لعظة ألقيت في هولندا، إبريل ١٩٩٠.

محبتك العظيمة تحصرني، وسأكون عبدك المحب الذي لن
يهرب أبدا.
من يفهم مرارة حياة السجون؟
لكن محبة الرب تجعلها حلوة؛
آه، يا رب، إني أحب الطريق الذي أعددته لي.
لتسبح الخليقة بأسرها أعمالك العجيبة».

السجين المسيحي الذي أُنشِدَت هذه الترنيمة له «وقف على الشرفة وبكى، متأثرا دون حدود».

وصف كتبة الوحي من الرسل في العهد الجديد أنفسهم بأنهم عبيد المسيح أو خدامه المقيدون.

كان العبيد في زمن الكتاب المقدس بلا حقوق، أما الخادم المقيد فكان له الحق أن يترك سيده بعد أن يعمل عنده في مقابل دينه. ولكن إذا اختار بإرادته –بدافع الحب لسيده– أن يبقى ويصير فردا من أفراد الأسرة طول الحياة كان عليه أن يمارس طقسا غريبا ومؤلما. كان سيده يسمر شحمة (حلمة) أذنه في عتبة باب بيته بشاكوش ورزة (خازوق) معدنية صغيرة. ثم يبعد الرزة أو المثقب في الحال، لكن ثقب الأذن وأثر الجرح يبقيان علامة على التزامه. هذه كانت علامة تشبه دبلة الزفاف –ولكنها أكثر مطاليب– معناها: «أنا أحب

سيدي وقد منحته نفسي، لكي أمنح له حياتي». ومنذ ذلك الحين يكون معلما طول حياته باعتبار أنه ملك لذلك البيت (خروج ٢١: ٦).

في كاتدرائية «هيرميتاج» في بطرسبرج لوحة جميلة تصور معمودية يسوع. كتب الأخ أندرو عن خبرته هناك منذ ثلاثين عاما يقول:

«أشار مرشد المتحف إلى اللوحة الجميلة وقال: في الخلفية مجموعات من الناس الواقفين استعبدوا لذلك الرجل. لقد رأى هذا الشيوعي الأمر على حقيقته: إن يسوع لا يستعبد الناس لنظام، فهم ليسوا أعضاء في كنيسة أو أنصار ديانة أو أتباع فلسفة.

إنما قال لهم: اتبعوني. فصار أولئك التابعون عبيد شخص يسوع المسيح. بعدها جرؤوا –بل استطاعوا– أن يبذلوا حياتهم له. لقد أعطوا كل شيء، ومن ثم لم يمكنهم أن يخسروا أي شيء. والآن يستطيعون الذهاب أينما يرسلهم».

أنا أكتب هذا الفصل وأنا مقيم في بيت شباب مسيحي في لوزان، بسويسرا. يقوم بخدمة هذا البيت زوجان، يقتني الرجل سترة مفضلة لديه مكتوب عليها بأحرف كبيرة: **JESUS IS MY BOSS**، أي «يسوع هو رئيسي». وتوجد بداخل كلمة BOSS (التي تعني أيضا «نقش»)، أحرف صغيرة تقول: «يسوع المسيح هو الذي نقشني».

تتمتع الكنيسة المتألمة بفهم له مغزى لمبدإ الخادم المقيد الذي نقش يسوع ملكيته عليه. وهي تدرك أن التلمذة إنما هي أن تكون عبداً مقيداً متفانياً تدفعك المحبة للرب يسوع.

اخدموا حيثما توضعون

يضرب القس الفيتنامي «ها» مثالاً مدهشاً للاستعداد لخدمة يسوع حيثما يضعه، حتى وإن كان هذا الموضع عبارة عن زنزانة مبتلاة بالصراصير وكان الطعام المُقدَّم له متعفناً. إليكم بوصفه الشخصي لهذا الاختبار:

«لو أن الله دعاني للخدمة في السجون سنة ١٩٧٥، لكنت رفضت. لكنه أمضى سنوات في إعداد قلبي، ولما جاء الوقت قبلت. رأيت هذا كله جزءاً من خطة الله المدهشة.

أثناء السنوات الست والأيام الاثني وعشرين التي قضيتها في الأقفاص الحديدية، دعا الله ستة وتسعين نفساً للإيمان به. كانوا أعضاء في الحكومة السابقة، ومسؤولين من الحكومة الشيوعية الجديدة، ولاجئين، وصينيين، وكمبوديين - بل حتى قليلين من سجانينا.

لم يكن سجني مجهزاً بجهاز تلفاز كسجون الولايات المتحدة. كنا ننام على الأرض الباردة ونكافح البعوض والديدان مصاصة

الدماء والصراصير. كان النزلاء دائما جوعى، وكانوا دائما في صراع مع المرض ومع بعضهم البعض.

عزلوني ذات مرة وحدي في غرفة حالكة الظلام، ولم أبصر شيئا لمدة ستة عشر شهرا. كان الطعام متعفنا، ولكن الحمد لله أني لم أمرض مرة واحدة أثناء تلك الفترة.

وضعني الله في السجن لأخبر المنبوذين عن يسوع المسيح وعديمي الرجاء عن محبته العظيمة. فعرف مجده في ذلك السجن. ورغم محاولة السجانين منعنا من الاتصال بعضنا بالبعض، استمرت الشهادة في التقدم.

احتفر المساجين عبر السنين فتحات في الجدران السميكة لتمرير السجائر، لكني استعملتها لتوصيل كلمة الرب. ولما كنت معزولا، وجدت أن النزلاء الذين تحتي يمكنهم الاستماع من خلال فتحة المرحاض. فحفظوا آيات من الكتاب المقدس وتعلموا الترانيم وجاؤوا للمسيح - عن طريق تلك الفتحة».[5]

بعد ذلك التاريخ قضى القس «كيونج نجوين» أيضا أكثر من ستة أعوام في الحبس في فيتنام قبل ترحيله إلى الولايات المتحدة. قضى منها أكثر من عام في الحبس الانفرادي. أما الوقت الباقي فكان يتوزع بين فترات من الملل والاستجواب المضني ليل نهار. ويقول إن الدرس

[5]Ho Hieu Ha, from messages at Prayer Conference, October, 1991.

الذي تعلمه من حسبه هو: «حيثمـا يضعـك الله، يكـون هنـاك حقـل خدمتك». أثناء مدة حبسه قاد ستة وخمسين نفسا إلى الإيمان بـالرب يسوع، كثيرون منهم اليوم نشطون في خدمة مدارس الأحد. [6]

إني أجد التزام هؤلاء القسوس محررا للغاية. لكنهم لم يكونوا أول من أثـر في حياتي فيما يتعلق بخدمة السجون. فبينما كنـت أعمـل في سنغافورة في منتصف الثمانينات، قرأت اختبارا مدهشا لقائد مسيحي نيبـالي رفـض التوقـف عـن قيـادة الآخريـن للمسـيح في تلـك المملكـة الهندوسية وأبى أن يرهبه التهديد بالسجن. كان اسمه القس «نيكانور تامانغ». ولـن أنسـى أبـدا اندهاشـي لـدى قراءتـي طلبـة صلاتـه مـن المؤمنـين في الغـرب. فقـد قـال: «لا تصلـوا أن يطلـــق ســراحي مـــن السجن!»

إن تكيفي وفق ظروف البيئة الغربيـة لم يدعـني أفكـر إلا في هـذه الطريقة للصلاة من أجله. ولكن مع كونه رب أسرة اسـتطاع أن يـرى أن الله وضعـه في موقـع إسـتراتيجي. فيمـا بعـد سـنحت لي الفرصـة المفرحة لأراه هو وأسرته شخصيا في كندا وأتعلم المزيـد مـن التفـاصيل عن مسحة الله لهذا الأخ المميز في ذلك السجن. في الواقـع إن قـادة

[6]Cuong Nguyen, from messages at Prayer Conference, October, 1992.

الكنيسة في نيبال يخشون الآن أن تفقد الكنيسة إقدامها الجريء على الكرازة بدون التهديد بالسجن.

يحكي «ترثا ثابا» -السكرتير العام لشركة الكنائس الوطنية في نيبال- عن زيارة قام بها لبعض المسيحيين في السجن:

«عند دخولي ألفيت الضوء خافتاً وأن الرؤية صعبة. استطعت أن أميِّز أشكالاً في ركن الزنزانة، محتشدة معاً من البرد فوق الأرضية الخرسانية العارية. ولما تكيفت عيناي بدأت أتبين وجوه الرجال المضعضعة. كانوا مقيدين معا بسلك يخترق أياديهم ويلتف حول أعضائهم، مما سبب ألما مبرحا. كان البؤس مرتسما على هذه مخلوقات. كنت قد زرتهم من قبل لكني لم أكد أتعرف عليهم في هذه الحالة الراهنة، لكنهم تعرفوا علي. فهتفوا: يايا مسحي! (أي الغلبة للمسيح!) ... لا تقلق، إننا بخير، نرنم ترنيمة الرب. أخبر إخوتنا وأخواتنا أننا مسرورون هنا في المعتقل». [٧]

قوة في سلاسل

سئل بطريرك كنيسة الصين «وانج منج داوو» بعد قضاء أكثر من ثلاثة وعشرين عاما في السجن من أجل الرب. ووجه إليه أحد

[7] Jim Reapsome, 'Chains and Hershey's Kisses', *World Pulse*, Vol. 28 No. 18, September 24, 1993 p. 9.

الصحفيين الذي أجروا مقابلة معه هذا السؤال: «لو أنك لم تدخل السجن، أما كنت قمت بعمل أكثر من أجل الرب؟» فأجاب: «لا، إن العمل الذي قمت به ببقائي في السجن أعظم مما كان يمكنني القيام به إذا لم أسجن».[٨]

. في السلاسل قوة بطريقة أو بأخرى! لدرجة أن الرسول بولس عبَّر عن نفس هذا الشيء بوضوح تام في (فيلبي ١: ١٢-١٤) مشيراً إلى أن ما يعتبره أغلب المسيحيين الآخرين شيئاً فظيعاً -أي حبسه في السجن- حوله الله إلى خير. وبدلا من أن يعوق ذلك انتشار الإنجيل، دفعه إلى الأمام. ونتيجة لذلك عرف الجميع -بما فيهم حراس القصر- أن بولس كان مسجونا من أجل محبته للمسيح. والأهم من ذلك أنه قال:

> *«وأكثر الإخوة، وهم واثقون في الرب بوثقي، يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف».*[٩]

للسجون خارج الولايات المتحدة سمعة سيئة بخصوص الوحشية الجسدية والتعذيب الذهني والأوضاع غير الإنسانية. ومع ذلك تصل

---

[8] Carl Lawrence, *The Church in China* (Minneapolis, MN: Bethany House Publishers, 1985), p. 149.

[٩] فيلبي ١: ١٤.

تقارير من جميع أنحاء العـالم عـن مسـيحيين يـرون حبسـهم فرصـة لخدمة سيدهم. إن الوثائق الدالة على ذلك شـديدة الوقـع حتـى أنـه يمكن إفراد مجلد بأكمله لهذه النقطة وحدها.

واصل أربعة عشر مسيحيا في أديس أبابا بإثيوبيا شهادتهم وهم في السجن بقراءة الكتاب المقـدس بصـوت عـال. وبحلـول وقـت الإفـراج عنهم كانوا قد أكملوا قراءة العهد الجديد وأعلن أربعة وأربعون نزيـلا بإيمانهم بيسوع المسيح.[١٠]

كـان السـجين «بيـدرو بـابلو كاسـتيللو» يعـظ ويقـدم النصـح للسـجناء السياسيين في نيكاراجوا. وفي النهاية اعتنق المسيحية نصـف الأربعـة آلاف سجينا تقريبا في سجن جورج نافارو بالقرب مـن مانـاجوا. وفي عشـية إطـلاق سراحهم رنـم سـبعمائة سجين سياسـي وقـرأوا الكتـاب المقـدس احتفـالا بالعفو عنهم. وكان كاستيللو قد عـاد إلى رفقائـه السـابقين في الحبـس قبـل العفو عنهم ليحثهم على أن «يجعلوا المسيح يشـرق» في حياتـهم سـواء «في السجن أو خـارجه».[١١]

يروي أرماندو فالاداريس في كتابه المؤثر Against All Hope (علـى

[10]'Ethiopia's Believers Continue Witness Despite Imprisonment', *Decision,* December 1987, p. 19.

[11]'Prisoners Released', *Christianity Today,* May 12, 1989, p. 58.

خلاف الرجاء) عن سجين مسيحي في كوبا أثر في حياته وإيمانه تأثيراً عميقاً:

«سقطت قبعته عن رأسه وشعّث الريح شعره الأشيب. لم يعرف اسمه الحقيقي إلاّ نفر قليل من الرجال، ولكن الجميع كانوا يعلمون برصيد إيمانه الذي لا يُستنفذ. وقد أفلح بطريقه ما في نقل هذا الإيمان إلى رفقائه، حتى في أصعب الظروف وأشدها.

كان يردد على الدوام: «الإيمان يا إخوة»، فكان يترك وراءه فيضا من التفاؤل والرجاء والسلام. أطلقنا على جيراردو جميعا «أخو الإيمان». كان قسيسا أوقف حياته على نشر كلمة الله. كان هو نفسه أقوى عظة وعظ بها».[١٢]

جازت السيدة تشين الصينية اختبارا مماثلا أثناء أول فترة حبس لها:

«وهي تجلس في هدوء ترنم ترنيمة أعطاها الله رسالة: «هذه ستكون خدمتك».

لكنها اعترضت فقالت: «الكني بمفردي. إلى من يمكنني الكرازة؟» غير أن استمرت تصلي من أجل أنة تتحقق خدمتها. وفجأة خطر على بالها خاطر. فوقفت وطلبت الحارس وسألته:

---

[12] Armando Valladares, *Against All Hope* (New York: Alfred A. Knopf, 1986) p. 199.

«يا سيد، هل يمكنني أن أقوم بأشغال شاقة لك؟»

فنظر إليها الحارس بنوع من الاحتقار الممزوج بالدهشة، هذا لأن أحدا لم يطلب مثل هذا الطلب من قبل.

ثم وجدت نفسها -كما توقعت- منكبة على التنظيف والكرازة على يديها وركبتيها. كانت تنظر إلى وجوه أناس لا يمكن تمييزها على أنها وجوه بشرية. فمن خلال التعذيب المتواصل فقدوا الأمل إلى الأبد في أن يزورهم أي مخلوق بشري دون أن ينهال عليه ضربا.

«لما كانوا يدركون أن لهم حياة أبدية كانت أساريرهم تتهلل وينفعلون. وكانوا يخرون على الأرضية القذرة ويتوبون على خطاياهم. كان طبيعيا أن يؤمن كل المساجين بالرب يسوع»[١٣].

أمضى القس «متى بش» أكثر من سبع سنوات في السجن من ضمن ثلاثين سنة حكم عليه بها في السودان. تمكن أحد الزملاء من زيارته مؤخرا بعد الإفراج عنه بمعجزة. وقد تم هذا الإفراج بعد تخفيف العقوبة لعشر سنوات وترحيله إلى سجن مختلف.

كان يشع سكينة وفرحة إذ عقب بقوله:

[13] Carl Lawrence, pp. 44-45.

«أرادني الله في السجن لغرض خاص. الكثيرون يخلصون في السجن ... نال السجناء في الأبيض الخلاص حقا وبدأوا رحلتهم الجديدة مع الله. حتى الحراس نالوا الخلاص، لذلك رحلوني إلى هنا في سجن الخبار».[١٤]

عرف فيما بعد أن القس «متى بش» كان له بين ثلاثين وأربعين شخصا في فصل للتلمذة في سجنه السابق. يقول في ذلك: «لأن الله يحبني وأنا أحبه، أعطاني الحرية للتحدث والكرازة في السجن. نظرا لعدم وجود أي شخص آخر، استخدمني أنا لأقوم بالعمل».

ويقص أيضا أنه في سجنه الجديد خلال السنتين الماضيتين جاء إلى الرب يسوع مائتان نفس من خلال درس للكتاب المقدس سمحت له السلطات بقيادته. بل إن سلطات السجن صرحت لهم ببناء كنيسة صغيرة فوق أرض معسكر الاعتقال.

أخبرت سلطات السجن متى بش قبل إطلاقه بقليل أنه لا يصح له الوجود في السجن، فهو رجل صالح يخشى الله. وعرضت عليه الخروج من السجن أثناء النهار، على أن يعود إلى السجن في الليل. فقبل العرض في الأول وخرج لمقابلة بعض الأصدقاء المسيحيين في الخرطوم. ثم أدرك بعدها أن هذه ليست إرادة الله. فكيف يشهد

[14]Interview, June 1993.

لرفقائه السجناء الذين لا يتمتعون بنفس حرية الخروج مثله؟ فقال إنه من الواضح له أن المشيئة الإلهية لم تأت بعد.

لاحقا عرضوا على متى امتيازا آخر ... أن ينام في غرفة مكيفة الهواء. فرفض أيضا لأن هذا كان سيعني عدم تمكنه فيما بعد من تقديم الشهادة إلى نزلاء السجن أثناء الليل - وهو أكثر الأوقات إثمارا. وصف متى نفسه هاتين الفرصتين بأنهما كانتا أكبر تجربتين له.[١٥]

حتى الأولاد الصغار في الأسر المسيحية يظهرون فهما مدهشا لهذا المبدأ. فقد سئل الأولاد في أسرة من الصين: «ألستم حزانى لأن أباكم في السجن منذ مدة طويلة؟»

فأجابوا: «كيف كان نزلاء السجون سيسمعون إنجيل يسوع إذن؟»[١٦]

عهد إلى أحد زملائنا الأفارقة واسمه «سولومون» بمهمة الكشف عن عدد المسيحيين في السجون ومعسكرات الأشغال الشاقة في موزمبيق. وأثناء بحثه ألقي القبض عليه هو نفسه:

«في السجن أخذت مني كل ممتلكاتي، حتى كتابي المقدس. ثم أخذوا يستجوبونني لمدة ست ساعات، ألقوا بي بعدها في

[15] Report, November, 1993.

[16] Ross Paterson, *Heartcry For China* (Chichester, UK: Sovereign World Ltd, 1989, p. 186.

زنزانة بعد أن استبد بي التعب. كان علي أن أنام على أرضية خرسانية، ولم يكن لدي بطانية ...

ولعلمي بأن أبي السماوي لن يتركني أبدا، وجهت كل انتباهي إلى رفقائي المساجين. ومع أني ظللت أنام على الأرض وكنت فريسة للملاريا والحشرات والجوع، حاولت التحدث عن إيماني بقدر المستطاع.

وبعد أن أفلح مسيحي في تهريب كتاب مقدس صغير إلى زنزانتي –من الأرجح أنه واحد من الكتب المقدسة التي أدخلتها أنا إلى البلاد– أتيحت لي الفرصة لأكرز لرفقائي. فصليت للمرضى وسمع الله صلواتي وشفاهم. كان هذا تعضيداً كبيراً لهم. وأثناء إقامتي في السجن اقتدت خمسة عشر شخصاً للرب.

وعلى غير توقع وجدت أن هناك مسيحيين أكثر في السجن. فاتضح أمامي لماذا لزم أن يُقبَض عليَّ. أولاً، لأبلّغ رسالة الخلاص للضالين داخل السجن؛ وثانياً، لتعضيد إخوتي المسيحيين». [١٧]

يروي قس فيتنامي آخر خرج مؤخراً من الحبس كيف أن المسيحيين يضطرون إلى ارتداء زي مكتوب عليه حرفي «ك ت» من

[17] Report, December, 1987.

الأمام. والسجناء المسيحيون يفتخرون بلبس هذا الزي. ففي اللغة الفيتنامية يرمز الحرفان إلى «كاؤو تاؤو»، أي يعاد تثقيفهم. أما بالنسبة للمسيحيين فهما يرمزان إلى «كون تروي» أي ابن الله. [١٨]

من أقوال «إغناطيوس اللويولي» الخالدة صلاته التي تقول:

«علمنا، يا ربنا الصالح، أن نخدمك كما تستحق؛
أن نعطي ولا نحسب النفقة؛
أن نجاهد ولا نأبه للجروح؛
أن نكد ولا نطلب الراحة؛
أن نشقى ولا نسأل مكافأة
سوى أن نعرف أننا نصنع مشيئتك».

دائما أنا معكم

«ارتعد [أيفان] وهو يعيش في خياله كابوس تتابع الأحداث في الزنزانات: موضع النوم الذي تقطر من سقفه مياه مثلجة، بعد ذلك الزنزانة المجمدة، ثم عذاب بدلة الضغط. «يسوع المسيح خارج للحرب». كلما دارت الكلمات أكثر وأكثر في ذهنه انتابه إحساس بحضور غامر ففاق من غفلته. وتغلغلت الفرحة برقة من

[18]'Sons of God' *Asian Report*, p. 17.

داخله، فأدفأته وأوقدته حتى أنـه خـر علـى ركبتيـه في الميـاه.
«عليك أن تصنع حربا من أجلي. لكن ثق؛ فأنا معك. أنا قد غلبت العالم» ... غمرت الدموع وجه أيفان، فـانحنى بقـدر المسـتطاع في تلك المساحة الضيقة، وبكى وسجد».[١٩]

هذه الكلمات التي كتبتها «ميرنا جرانت» في ترجمة حياة الشـهيد الروسي «أيفان مويسـيف» المؤثـرة، ترسـم موضوعـا مشـتركا لخـبرات مماثلة لاحظتها في بحثي:

يقول فرانسيسكو بروفيسور اللاهوت الكوبي المتقدم في العمر-:

«إن رواية إرميا مفيدة لنا بشكل خاص في كوبا. فالرب يخاطب إرميا وهو في السجن قائلا: *«ادعني فـأجيبك وأخـبرك بعظـائم وعوائص لم تعرفها»* [إرميا ٣٣: ٣]. لا يقول الوحي: «ادعـني فأحررك». بل يقول الكتاب في اللغة العبرانيـة إنـي لـن أريـك فقـط أشياء عظيمة، بل أشياء صعبة عويصة لا سـبيل إلى الوصـول إليـها، أشياء يصعب على خيالك الضيـق أن يسـتوعبها. سـاعد إرميـا الكوبيين أن يختاروا البقاء على قيد الحياة في هذا الموقف».[٢٠]

---

[19]Myrna Grant, *Vanya* (Alamonte Springs, Florida: Creation House, 1974), p. 137.

[20]Thomas C. Oden, 'The Church Castro Couldn't Kill', *Christianity Today*, April 25, 1994, p. 22.

كم أذكر بوضوح جلوسي حول مائدة مطبخ صغيرة في موسكو مع رفيق سفري «كارل لورنس» في مطلع عام ١٩٨٨. كنا وجها لوجه مع أحد أشهر المنشقين على حكومة الاتحاد السوفيتي فور إطلاق سراحه بعد فترة قاسية من الحبس امتدت أكثر من ثمانية أعوام. دهشت من نعومة صوت «ألكساندر أورودنيكوف» وموقفه وهي يقص علينا خبراته الأخيرة بالتفصيل.

لم تبد عليه المرارة أو الانتقام. قال بلغة إنجليزية بطيئة متعثرة:

> «قضيت ١٧٦ ليلة في زنزانات العقاب والعزلة. كانت الأرض مغطاة بالماء. وكانوا يسدون الصرف الصحي عن عمد فيطفو البراز الآدمي إلى داخل الزنزانة. والطريقة الوحيدة لتجنب هذا كانت بالجلوس على عامود قصير من الخرسانة. وفي الشتاء لم تكن درجة حرارة الزنزانة ترتفع عن درجة التجمد. فكنت أجلس على الأرض الخرسانية بدون ملابس داخلية. كان الموقف فظيعاً». [٢١]

كتب كارل لورنس التكملة ببراعة:

[21] Carl Lawrence, *Glasnost and the Believers in the Soviet Union* (Hollywood, CA: Haven of Rest Ministries, 1988), p. 18.

«ثم لم يقوَ على الحديث بعد ذلك. امتلأت عيناه بالدموع ونكّس رأسه وهو يقول: «بعض الأيام كانت طويلة». ثم تمهّل وجذب لحيته قليلاً واستأنف قوله: «أحياناً كانت الساعات طويلة جداً ... » مزيداً من الدموع. «أحياناً كانت الدقائق طويلة جداً». وقفة طويلة. «أحياناً كانت الثواني طويلة جداً». وحينئذٍ رفع بصره إلى السماء وقال: «لكن كل شيء كان على ما يرام ... نعم، على ما يرام»». [٢٢]

كان كل شيء على ما يرام لأن ألكساندر شعر مرة بعد مرة بحضور يسوع المسيح نفسه في الزنزانة. ومع كونه من الروس الأرثوذكس الذين لا يستعملون إكلشيهات إنجيلية، إلاّ أنه نسب هذه البركة إلى أولئك الذين انهمكوا في الصلاة الشفاعية نيابةً عنه. كتب بعد إطلاق سراحه يقول:

«لكن أثناء تلك اللحظات المرعبة في الزنزانات المجمّدة أحسست جسدياً بدفء صلواتكم ومواساتكم، وهي القوة التي تربطنا بنهر من الطاقة الروحية يتولد عن طريق اختبار الإيمان المشترك والأواصر السرية للوحدة الأخوية.

---

[٢٢] نفس المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.

وكأن لمسة دافئة من يد أخوية أزاحت جدائل الأسلاك الشائكة واخترقت الجدران الكئيبة. حولت قوة محبتكم ومواساتكم يأسي إلى رجاء غير قابل للتخريب، وصرخاتي إلى صلوات، وحافة الجنون إلى استنارة». [٢٣]

هناك آخرون أكثر دقة في التعبير عن ذلك «الحضور الدافئ». دخل السجن حديثا مسيحي في باكستان اسمه «جول مسيح» من أجل إيمانه. وحكم عليه بالإعدام بتهمة تحقير أحد الأنبياء. كتب وهو في الحبس خطابا طويلا لمن كانوا يصلون من أجله. وهذا بعض ما جاء فيه:

«أصدقائي الأعزاء، حضر إلي ربي مرتين في زنزانة سجني. في يوما ما كنت جالسا في سجني أفكر في هذا الظلم وكنت يائسا مكتئبا. وفجأة امتلأت زنزانتي بنور وكان جسمي يرتعش. رأيت ربي. وبعدها بأربعة أيام أتاني يسوع وظللني برفع يديه ومباركتي. ومنذ ذلك اليوم فصاعدا وأنا سعيد وأحيا في سلام. ربي معي في السجن. إنه لا يتركني وحدي ...» [٢٤]

«أوزوالدو ماجدانجال» مسيحي فلبيني كان يعمل في عاصمة

---

[٢٣] نفس المصدر السابق، ص ٢٥.

[24] Gul Masih, translation of a letter written in Urdu from Sagodha jail, March 8, 1993.

إحدى بلاد الجزيرة وكان يرعى كنيسة منزلية سرية. فلم توجد أية كنيسة رسمية في تلك البلاد لأكثر من أربعة عشر قرنا.

لكن في نهاية عام ١٩٩٢ قبض على أوزوالدو هو وزميل له بعد أن أغار المطوعون على مكان اجتماعهم. وتم تعذيبه جسمانيا وذهنيا لمدة ثلاثة ساعات ونصف.

لطموه ولكموه وركلوه في وجهه. وأتوا بعصا طويلة وجلدوا ظهره وظاهر يده، ثم باطن قدميه. فلم يقدر على الوقوف دون أن يقفز من الألم. وهو يصف الكدمات والرضوض في جسده بأنها كانت تشبه الباذنجان في الكبر.

وحالما عاد إلى الزنزانة، صلى أوزوالدو لله لمدة خمس ساعات يشكره على أنه سمح له أن يشترك في آلام يسوع. فيما يلي نص أقواله:

> «أضاء نور بغتة، وامتلأت الزنزانة بسحابة مجد الله. كان حضورا محسوسا. فركع على ركبته ولمس جبيني، وقال لي: «يا بني، قد رأيت كل شيء، لذلك أنا هنا. اطمئن لأني لن أتركك أو أهملك إلى أبد الآبدين». [٢٥]

أفاق بعد ساعتين وأحس وكأنه شخص جديد. واندهش لما أبصر

---

[25] Oswaldo Magdanal, *Arrested In The Kingdom* (Witney, Oxon, UK: 1993), p. 22.

كيف عاد جسده سليما بلا كدمات أو رضوض أو جروح أو نزيف أو بقع من الدم. يضيف قائلا: «قد أبرأني الله تماما».

وقد نجا هو ورفيقه بمعجزة من الإعدام في يوم عيد الميلاد المجيد. ففي آخر لحظة تم ترحيلهم إلى بلادهم الفلبين. واليوم هو يجوب البلدان يروي عن محبة الله ورحمته.

الرابع في الأتون

هذه الصورة المستوحاة من الكتاب المقدس تعود إلى زمن نبوخذنصر حينما ألقى بالفتية الثلاثة في أتون النار. لكن الفتاة الصينية المسيحية «دنغ جيانجاو» تقول إنها قابلت شخصا رابعا في أتونها وقت الحبس:

> «تقول دنغ: ليس دخول السجن أمرا مخيفا، لأن الرب معنا. نحن نعلم أن أتون النار مكان مخيف، لكن لا داعي للخوف. فإن «الرابع» يظهر دائما ويمنحنا فرحة لا توصف». [٢٦]

روى ديباج ما يلي بعد خروجه من السجن في مستهل عام ١٩٩٤ لأحد العاملين معنا:

[26] Dennis Balcombe, 'A Heroine Of Faith Risks Death In China', *Charisma*, January, 1994 p. 33.

«كانت تلك الأيام أفضل أيام حياتي – كنت أسير بالقرب من الرب جداً في وقت الشدائد ... ما أمجد أن تكون في النيران عالماً أنك لست وحدك. أنك مع ابن الله كما كان رفقاء دانيال ... حين يكون الرب معنا يتحوّل السجن سماءً. يكون جنّة غنّاء. لذلك أنا أحمد الرب كثيراً من أجل تلك الفرص. كانت أفضل أوقات حياتي عن حق الأوقات التي قضيتها في السجن لأني كنت مع الرب – قريباً جداً منه! ... حيثما يكون الرب معنا، يكون ذلك المكان جنّة. مجداً للرب!». [٢٧]

بذلت جماعة المسيحيين الخمسينيين في تشوجويفكا بسيبيريا جهوداً كبيرة في تشجيع إخوتهم الذين في السجن. في إحدى المناسبات رنّموا ترانيم وأناشيد في الميكروفونات ليسمعهم جميع السجناء في الداخل. هذه ترجمة النشيد الروسي الذي أنشدوه:

«أينما تهب عاصفة عدم الإيمان،
يحطّم الإعصار المَقدِس،
فأنصتي يا كنيسة فإن ربك يدعو،
وصوته كالبرق يشق السماء.

يا أيها الشقي الذي يستقر عليك هذا الفيضان،

[27] Interview, January, 1994.

ما هذه العواصف والصراعات إلا امتحانات لك.
لكن المحبة المكتسبة في المنفى،
ستقهر بقوة فائقة.

يا فرحة نفسي،
قد تمسكت بدعوة العروس.
لذا نحن نسافر على هذا الدرب معا،
هذا الدرب الذي بدأ بالجلجثة.

وحين تنفصل عن أحبائك،
بسبب حكم حكموه عليك،
أنا ما زلت معك في الغراب الأسحم،
وأيضا من وراء الأسلاك الشائكة.

لم يناد اسمي في دفتر الغياب والحضور،
لا الأمس ولا اليوم.
لكني قريب منك في آلامك،
كقرب الأمواج المتكسرة من الشاطئ.

أنا أيضا أعمل في المحجر، مثلك،
أنا أيضا أعمل في ورشة نشر الأخشاب، مثلك،
لكني أبتهج: لم تنسحق نفسك،
وأنت تدعم كلامك بأفعالك.

حين تضطجع في سريرك للمبيت،
أجثو عند رأسك وأرى وجهك.
حبي يحيط بك الليل كله،
ونحيي الصبح معا.

يا أيها الحبيب، احتمل قليلا،
ولا تبكي من الحزن والألم.
أنا آت، بل أنا واقف عند الباب،
أرحب بك منتصرا في ملكوتي».

إن حضور يسوع المستمر حقيقة لا يشهد لها السجناء المسيحيون فقط. ولكن يبدو أنه في الأوقات العصيبة يحس المؤمن بحقيقة هذا الوعد الإلهي.

عائلة «أولزون» هي عائلة مرسلين لوثريين في مزار الشريف بأفغانستان – ولا شك أن هذا أبعد وأغرب مكان يمكن أن تكون فيه أسرة مسيحية. لكنهم هناك ليخدموا سيدهم!

بعد عيد الميلاد المجيد عام ١٩٩٣ احتجزوا في قبو منزلهم لمدة أسبوعين من جراء القتال الدائر في المدينة. وكرد فعل للقتال والاحتجاز كتبت ابنتهم «لوئيس» هذه القصيدة المعبرة:

«في الثاني من يناير،
تطايرت أعيرة نارية لا حصر لها.

الأخبار تذاع من هيئة الإذاعة البريطانية،

والقتال دائر في اليوم الثالث.

هل هذا الدخان الكثيف يتصاعد من بيت الجيران؟

يا ترى كم يكون الأمر مؤلما!

ونحن هنا جالسون في أمان تام،

في حين تبكي زوجه على رجلها.

لقد بكى الكثيرون والكثيرون بحزن

على عزيز قد مات.

لكننا في أمان: الله يحمينا

وهو قال إنه لن يتركنا أبدا». [٢٨]

✠✠✠✠

يا رب، أنت طلبت مني أن أكون خادمك المقيد وأن أخدمك حيثما تضعني. اغفر لي لأني أريد دائما أن أكون في المكان الذي أظنه «آمنا». ساعدني أن أرى الفرص التي أتحتها لي في الظروف الصعبة والعصيبة. وأحمدك لأنك وعدت أن تكون معي أينما نخدم معا.

---

[28] Dan Wooding, '330,000 believers are martyred annually, reporters research David Barrett', *Christian News*, July 19, 1987, p. 17.

الفرحة هي سر المسيحي الهائل

ج. ك. تشيسترتون

سر رقم ٤-

تمتع بالرحلة

حين نخضع لله خضوعا مطلقا ونمتلئ بالروح حتى نفيض، نستطيع -نحن الحجاج المغتربين- أن نصيب الآخرين بعدوى الفرحة ... بصرف النظر عن صراعات هذه الرحلة الأرضية الطويلة أو ضغوط الاضطهاد التي تنقينا ... فتكون مكافأتنا حماية الله لنا.

الفصل الرابع

التمتع بالرحلة

كان مُجهَداً. وكان يصبو للعودة إلى غرفته بالفندق في مقاطعة جيجيانغ الصينية. لكن الروح القدس ألّح على هذا الزميل أن يقوم بزيارة واحدة أخيرة. وصل متأخراً جداً عند الأخ «وانج»، وهو زميل صيني خرج من السجن حديثاً. وأصر «وانج» أن يحدثه عن الامتحانات والتحديات التي واجهها بعد أن قُبض عليه وفي حوزته كتب مقدسة ومطبوعات مسيحية أثناء المرور عبر نقطة تفتيش روتينية.

قال «وانج»: «حاولت الحفاظ على هدوئي حينما أشار الضابط إلى حقائبي السبع المتلئة. وقبض علي لما فحص محتويتها وتم ترحيلي إلى السجن للتحقيق معي لمدة ثلاثة أشهر.

كانت زنزانة السجن عبارة عن ٤٥ مترا مربعا يشاركني فيها

شقوق في الجدران.

مرضت من الأوضاع المتردية، لكن الاستجوابات اليومية استمرت مع ازدياد التهديدات صرامة. فكانوا يقولون لي إني لن أرى زوجتي ثانية.

كدت أفقد الأمل، إلى أن رأيت رؤيا من الله في أحد الأيام وأنا أصلي. **قال لي إن هذا العالم ليس وطني وإن يسوع أعد لي مكانا بالفعل في السماء. حينئذ غمر كياني سلام تام، فرنمت وحمدت الله.**

فجأة سمعت أحدهم ينادي اسمي. كان هذا حارس السجن. قال لي: «التقط حقيبتك – أنت حر طليق!» فخرجت من الحجز بدون توجيه أية تهمة لي».

اتسعت عينا زميلنا الآن ونسي تعبه تماما. وسأل «وانج» عما ينوي عمله الآن، فأدهشه «وانج» بأنه يعد العدة لرحلة أخرى لتسليم كتب مقدسة – بعد إطلاق سراحه بأيام معدودات.[١]

يصلني هذا التقرير أثناء زيارتي إلى بلاد فرنسا البديعة الجمال. ويرافقني في السفر زميلي «جيليه بيسون» الذي يعلمني الفرنسية أثناء الساعات الطويلة التي نقضيها في قيادة السيارة كل يوم من منطقة إلى أخرى ضمن جولة الزيارة والوعظ في الكنائس. حين يصفو الجو وتلوح

---

[1] *Asian Development Brief* (Hong Kong: No. 32, October-November 1992) p. 2.

لنا جبال الألب في الأفق، ينقطع الكلام فلا ننبس ببنت شفة -فيما عدا هتافات الانبهار. أما في الأيام الأخرى المطرة أو الملبدة بالغيوم، التي لا يبين فيها سوى خط الأشجار على جانبي الطريق السريع ساعة بعد ساعة، يتعين علينا الاجتهاد «للتمتع بالرحلة».

إن السؤال العصري التقليدي هو: «هل بدأنا اللهو بعد؟»

إحدى الخواص المميزة لشعب الفليبين -الذين عشت وسطهم اثني عشر عاما- هي قدرتهم الخارقة للطبيعة على إيجاد طرق إلى تحويل أي عمل شاق إلى فرصة للهو. وهم فعلا علموني كيف أتمتع بأية رحلة.

تحب ابنتا «ميلندا» الفليبينية التي تبنيناها أن تكرر مواقف من حياة عائلة السمافر. فأثناء السفر بالسيارة يردد الأولاد سؤالا اشتهرت به عائلة السمافر: «كم بقي من المسافة أيها الأب سمفر؟» فيرد الأب بصبر: «إن ما تبقى من المسافة ليس طويلا يا أولاد!»

لطالما أعرب البشر المحدودون بالوقت عن بواعث قلقهم بشأن إدراكهم الحسي لتوقيت الله أيضا. وهو ما يعبر عنه سؤالهم الدائم: «إلى متى يا رب؟»

يعبر كتبة المزامير كثيرا عن هذا القلق بسؤالهم عن مدة انتظارهم

الرب ليعلن لهم ذاته،[٢] وعن مدة انتظارهم لاستجابة الصلاة[٣]، أو عن مدة انتظارهم لرؤية عدل الله في الأرض - خصوصا ضد الظالمين.[٤]

صرخ كثيرون من أنبياء العهد القديم إلى الله قائلين: «**إلى متى يا رب؟**» وكان أشهرهم إرميا وحبقوق الذين عاشا في أزمنة عصيبة جدا على الصعيد الشخصي والقومي.

لكن أكثر الصيحات حزنا هي المرة الأخيرة التي سيسأل الله فيها هذا السؤال. إذ يصرخ شهداء الإيمان إلى الله في رؤيا ٦: ١٠ بصوت عال سائلين كم سيطول انتظارهم لله حتى ينتقم لموتهم. فتأتي الإجابة لتكشف الحقيقة:

> *«فأعطوا كل واحد ثيابا بيضا، وقيل لهم أن يستريحوا زمانا يسيرا أيضا حتى يكمل العبيد رفقاؤهم، وإخوتهم أيضا، العتيدون أن يقتلوا مثلهم»*[٥]

الله وحده هو الذي يعلم النهاية من البداية. أما خلائقه فيطلب منهم في أثناء ذلك أن يتذرعوا بالصبر في انتظار الوقت الموعود.[٦]

---

[٢] مزمور ١٣: ١ ومزمور ٨٩: ٤٦.

[٣] مزمور ٨٠: ٤.

[٤] مزمور ٨٢: ٢.

[٥] رؤيا ٦: ١١.

التذرع بالصبر في الانتظار ليس من خصائص الغربيين. في أول زيارة لي إلى كوبا قال لي أحد الإخوة: «أنتم أيها الأمريكيون الشماليون تثيرون الضحك. فعند جميعكم ساعات يد لكن ليس عندكم وقت. أما نحن فليس عندنا ساعات يد ولكن عندنا متسع من الوقت!»

محفور على ساعة الحائط في حجرة تجمعنا في البيت كلمات المزمور:

«إحصاء أيامنا هكذا علمنا فنؤتى قلب حكمة».[٧]

طرحت «جوني إريكسون تادا» في سياق حديث لها في مشنفست بفانكوفر هذا السؤال: «ما معنى أن تحصي أيامك؟» ثم تابعت قولها:

> «أنا أرى أن معنى ذلك هو أن تتحرك في إطار يومك بخطوات محسوبة. أنت لست في سباق ماراثون! الرب يأمرنا بأن نسير خطوة بخطوة مع روحه القدوس .. أن نتحرك في إطار اليوم بدقائق محسوبة ...
>
> لديك فرصة مكونة من أربع وعشرين ساعة لأن تعيش يوما كما لم تعشه من قبل – يوما فريدا ومنفصلا ومميزا تماما عن سائر الأيام، مشحون بالإمكانيات والقدرات. والله يمنحك هذه

---

[٦] أعمال ١: ١٨أ.

[٧] مزمور ٩٠: ١٢.

الأربع والعشرين ساعة لتستثمرها في فرصة أبدية تبلغ قيمتها آلاف السنين».[8]

بعد كتابة الجزء السابق من هذا الفصل البارحة، أنا اليوم أنظر من النافذة لأول مرة إلى السكون المهول للبحر الميت في إسرائيل. لكن ذهني وعواطفي يعتريهما الهياج لأنهم أضاعوا حقيبة سفري ومحفظتي الجلدية في الطريق من باريس إلى هنا (حملت جهاز الكمبيوتر الصغير معي لأتمكن من الكتابة على الأقل!).

الحياة مشحونة بمثل هذه التناقضات الصارخة بالنسبة لكل واحد، وبخاصة الكنيسة المتألمة. أنا لم أقابل مسيحيين يتمتعون بروح الدعابة –رغم بلاياهم– بقدر المسيحيين المتواجدين في الأقطار المحظورة في عالمنا.

حجاج مغتربون

قالت أم مسيحية في روسيا إلى ولدها:

«إن المشقات التي واجهتها في الحياة خلّفت وراءها ذكريات مفرحة حقاً، لأن الله يساعدنا دائماً في معاناتنا. إن السائح

[8]Joni Earickson Tada, message at Vancouver, Missionfest February 13, 1994.

المغترب الـذي يبلـغ مـراده لا ينـوء بحمـل ذكريـات الأوقـات الصعبة الماضية». [9]

إن أكثر صورة خيالية يتكرر استعمالها لوصف رحلـة الحيـاة هـي أيضا صورة مسـتوحاة مـن الكتـاب المقـدس - أي التغـرب. أخـبرني المؤمنون في روسيا في رحلاتي المبكرة أنه كان يسهل عليهم الاسـتهانة بالأمور الأرضية عندما اعتبروا أنفسـهم سـائحين مغـتربين في الأرض. قالوا: «نحن سائحون مغتربون وينبغي علينا دائما التـأمل في انتمائنـا إلى وطننا السماوي».

في الكتاب المقدس إشارات متكررة على ذلك. فالوحي يذكـر كلمـة «غرباء» مرارا عديدة في وصف حالتنا هنا على الأرض.

أمـا أفضـل تعريـف وجدتـه للاغـتراب فـهو «**تضييـق حـاد لكـل اهتماماتنـا هنـا علـى الأرض، وتوسـيع هـائل لجميـع اهتماماتنـا بالله**». [10]

أغلـب سـكان أمريكـا الشـمالية ليـس لديـهم أي فـهم لمفـهوم الاغتراب. ربما كان وقت عيد الشكر هو أقرب وقـت نفـهم فيـه هـذا

[9]Mikhail Khorev, *Letters From A Soviet Prison Camp* (Eastabourne, UK: Monarch Publications, 1986), p. 190.

[10]Oswald Chambers, *My Utmost For His Highest* (Westwood, NJ: Dodd Mead & Company, 1935) p. 39.

المصطلح، إذ نتذكر أولئك الذين ضحوا وتغربوا إلى قارة أمريكا الشمالية من أوروبا قبل قرون عديدة.

عند زيارتي إلى إسرائيل، تعجبت من مرشدنا الإسرائيلي عندما كنا نهبط تلال القدس لأول مرة، إذ قال: «إن المجيء إلى القدس – حتى بالنسبة لمن يعيشون هنا– يشعرنا بأننا حجاج مغتربون!» في الحقيقة إني بدأت أستوعب هذا المفهوم أكثر في تلك المدينة التاريخية، كما في مدن تاريخية كثيرة أخرى.

يكتب «ب. و. بورهام» عن حياة «أبراهام لنكولن» وموته في مؤلفة الأصيل: *A Temple of Topaz* (أي هيكل من العقيق)، فيقول إن الرئيس في تلك الليلة المشؤومة في مسرح فورد بمدينة واشنطن

> «مال إلى الأمام وتحدث بصوت غير مسموع إلى قرينته، وقال لها إنه مادامت الحرب قد انتهت فسيأخذها إلى جولة في بلاد الشرق. وسيزوران فلسطين فيتفقدان جثسيماني والجلجثة، ويسيران معا في شوارع القد...!
>
> وقبل أن يكمل جملته انطلق عيار ناري –«أجن عيار ناري في التاريخ»– فدوى في أجواء المسرح. فأدار الحاج ... قدميه ناحية أقدس القمم جميعا».[11]

---

[11]F.W. Boreham, 'Abraham Lincoln's Text', *Just Thinking*, Winter 1993, p. 6.

يقول الدكتور «ستيفان أولفورد» في أعظم عظاته عن القداسة:

«إننا حجاج مغتربون، علينا التأمل في انتمائنا لوطننا السماوي ... وعلينا أن نتقدس كالحجاج ... وكحجاج علينا تقديم ذواتنا إلى أبينا السماوي الذي يحفظنا أنقياء».[12]

تقول ترجمة Living Bible في (عبرانيين ١١: ١٣-١٦):

«رجال الإيمان هؤلاء الذين ذكرتهم ماتوا دون الحصول على الأشياء التي وعدهم الله بها، لكنهم أبصروها كلها تنتظرهم في المستقبل وابتهجوا جدا، فوافقوا على أن هذه الأرض ليست موطنهم الحقيقي، وأنهم ليسوا إلا أغرابا يزورون هذه الدنيا. ومن الواضح جدا أنهم لما تحدثوا هكذا، كانوا يتطلعون إلى وطنهم الحقيقي في السماء. وكان يمكنهم الرجوع إلى متاع هذه الدنيا، لو شاؤوا. لكنهم لم يشاؤوا، بل كانوا يعيشون حياتهم من أجل السماء. لذلك فإن الله لا يخجل من أن يدعى إلها لهم، لأنه أعد لهم مدينة سماوية».

يعبر «مالكولم موغريدج» عن هذا المبدإ تعبيرا قويا فيقول:

«نحن نعلم كمسيحيين أنه لا يوجد لنا مدينة دائمة هنا، وأن الجموع الغفيرة تتمرغ في التراب وأن كل مملكة أرضية لا

[12] Stephen Olford, message at National Religious Broadcasters Convention, Los Angeles, February, 1993.

محالة زائلة. في حين نعترف بملك لم يتوجه البشر ولا يمكنهم خلعه عن العرش، إذ أننا مواطنو مدينة الله التي لم يشيدوها ولا يمكنهم أن ينقضوها. وعلى هذا النحو كتب الرسول بولس إلى المسيحيين في روما الذين كانوا يعيشون في مجتمع منحرف ومنحل مثل مجتمعنا. كانت مبارياتهم -الشبيهة بجهاز التلفزيون عندنا- تتخصص في مناظر العنف والإثارة الجنسية. من ثم حضهم بولس على الثبات والرسوخ، والإكثار من عمل الله، والاهتمام بغير المنظور من الأمور، لأن الأشياء المنظورة زمنية أما غير المنظورة فأبدية. إن انهيار روما كان هو مولد المسيحية. **أما الآن في عصر انهيار العالم المسيحي، فتوجد نفس المتطلبات ونفس الإمكانيات، أي تجنب أهواء العالم المتفسخ والسعي وراء الحق غير المنظور والأبدي، أي المسيح».** [١٣]

حين كنت أنا وإخوتي الثلاثة الأصاغر في سن المراهقة كنا نرنم رباعيات غنائية دون مصاحبة. وكانت كلمات إحدى الترانيم الكرازية المشهورة تقول: «لا أقدر أن أشعر بأني في وطني هنا في العالم». أما مطلع هذه الترنيمة فمنقوش في ذاكرتي حتى الآن:

«هذا العالم ليس وطني .. أنا لست إلا عابر سبيل.

---

[13] Malcolm Muggeridge, *The End Of Christendom,* quoted by Ravi Zacharius in 'Reflections on Elections', *Just Thinking,* Winter 1993, p. 3.

كنوزي مخبأة في مكان ما وراء السحب،
وأنا أعلم أنه سيأخذني إلى وطني رغم ضعفي وفقري.
وأنا لا أقدر أن أشعر بأني في وطني هنا في العالم بعد».

إن الحجاج الذين يمرون بمكان في طريقهم إلى وطنهم الدائم لا يعمقون أوتاد خيامهم. فهم عالمون بأنهم راحلون في الغد.

بالتالي لا ينبغي للمسيحي أن يشعر بديمومة هنا على الأرض. فالمسيح أشار علينا أن نحيا في العالم دون أن نكون منه (يوحنا ١٧: ١٤-١٧). حتى الخالق نفسه لم يشعر بأنه في وطنه وسط خلائقه. فنقرأ في (يوحنا ١: ١٠) أنه:

«كان في العالم، وكون العالم به، ولم يعرفه العالم».

ولكن مع الأسف عوض أن نغترب ونحن متمسكين برؤية واضحة لمصيرنا النهائي، صار يطلق علينا «سياح طوافون في الأرض يبحثون عن آخر مخدر روحي يتعاطونه».[١٤]

أعرب أحد المسيحيين الصينيين عن ذلك بقوله: «نحن الحجاج المغتربين نحمل حقائب ظهرية صغيرة».[١٥] وهذا يرجع إلى إيمانهم

---

[14]Gordon Fee, message at Vancouver Missionfest, January 31, 1993.

[15]Carl Lawrence, *The Church in China* (Minneapolis MN: Bethany House Publishers, 1985), p. 144.

الراسخ بأن يسوع عائد سريعا ليجازي أولئك الذين سيجدهم أمناء.

لم يتقاعد القس الصيني «ألن يوان» رغم بلوغه الثانية والثمانين – مثل كثيرين غيره– لأنه لم يجد في الكتاب المقدس أية إشارة إلى التقاعد. يقول:

> **«يسوع عائد سريعا! ينبغي أن نجتهد مادام نهارا، لأن الليل آت حين لن يستطيع أحد أن يعمل».**

يلخص «رتشارد هالفرسون» هذا المبدأ ببلاغة فيقول:

> «شعب الله سياح ونزلاء على عالم يحكمه إله الغش والخداع والقتل الجشع – الشيطان ... **قد يكون التشبه المريح بالعالم الذي نحيا فيه أمكر شكل من أشكال إنكار المسيح».**[16]

فيض الروح

تضيف الكنيسة المتألمة بعدا هاما إلى هذا المبدإ .. أي الإدراك بالحاجة إلى الامتلاء بروح الله. يصف أعضاؤها هذا الأمر كما هو في الكتاب المقدس بأنه اختبار «فيضان».

[16] F. Kefa Sempangi, *A Distant Grief* (Glendale, Ca: Regal Books, 1979), p. 11.

يتحمس القس الصيني «ألن يوان» كثيرا عنـد ذكـر موضـوع محبـة الإخوة والأخوات في كنيسة الصـين. يقـول: «إنـه فيـض مـن حضـور الروح القدس في حياتك – نتاج طبيعي للحياة في الروح».

لا أزال أذكر إحدى مدرسـاتي في مـدار س الأحـد وأنـا صبي لما سألت الفصل إذا كان كوب الماء الذي تحمله مليئا بالفعل أم لا. وكنا مقتنعين تماما بأنه كذلك. لكنها –لدهشتنا– أضافت قطرات من الماء. وبذلك علمتنا بطريقة أكيدة أن الدليل الوحيد على امتلاء الكوب فعلا بالماء هو فيضان القطرات الأولى من الكوب إلى خارجه.

إن أعضاء الكنيسة المتألمة الذين تحدثت إليهم على اقتناع تام بأن أعظم دليل على ملء روح الله لحياة المؤمن أو المؤمنة هـو «فيضـان» القوة وثمر الروح من حياته أو حياتها.

هؤلاء هم القديسون المعاصرون الذين يفهمون أيضـا معنـى القـول: «*... أكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي...*».[١٧] هم يفهمون المغزى الحقيقي للملء وإدراك وجود المزيد من الأشياء التي ينبغي عملها.

حتى الرحلة الشاقة يمكن أن تكون ممتعة حين تفيض الفرحة من حضور الـروح القـدس. الـترنيم أحـد علامـات الحيـاة الفائضـة. إنـه

---

[١٧] كولوسي ١: ٢٤.

يخفف حدة التوتر الذي تنطوي عليه الرحلة، ويمهد مناطق وعرة كثيرة في الطريق - لاسيما حين نرنم تسبيحات لله خالقنا وخالق العالم الذي نحيا فيه، الذي يهتم بنا في كل ميل نقطعه من الرحلة.

رنم الحجاج العبرانيون مزمور ١٢١ أثناء سيرهم إلى أورشليم كل عام احتفالا بالأعياد. وكان هذا المزمور يعينهم على تمضية الوقت وهم مسافرون، كما أنه ذكرهم بالطرق الكثيرة التي انتهجها الله في العناية بهم. في المزمور أربع صور كلامية تساعد شعب الله على رؤيته وهو يحافظ عليهم مطمئنين في رحلة الحياة.

وفي تثنية ٣٢ علَّم موسى جيلاً جديداً من الإسرائيليين ترنيمة طويلة كتبها خصيصاً لهم. كان الغرض منها أن يريهم استحقاق الله لمحبتهم. وكانت الترنيمة تدعوهم إلى الرجوع إليه عند فناء قوتهم الشخصية.

لفيضان التسابيح الترتيلية وسط الشدائد الكبيرة قوة روحية هائلة تساعدنا أن نستمتع بالرحلة. وقد ضرب بولس وسيلا المثال الكتابي وهما مسجونان في فيلبي (أعمال ١٦).

يستمع القس «جاك هايفورد» بسرد قصة رواها له راعي كنيسته الأسود. بلغ ترنيم بولس وسيلا في زنزانة السجن موضع عرش الله في السماء، فبدأ ينقر بقدميه على أنغام الموسيقى. وحيث أن السماء عرشه والأرض موطأ قدميه، سبب هذا النقر بالأرجل زلزالاً أرضياً!

أمضى «أيفان أنتونوف» أربعة وعشرين سنة في معسكرات الاعتقال الروسية بتهمة الكرازة بالإنجيل. ثم سرد فيما بعد كيف بقي حيا:

> «كنت أرنم. وسررت جدا لأني كنت أعرف ترانيم كثيرة بلغ عددها حوالي ١٧٠ ترنيمة. ولكي لا أنساها كنت أراجع بعضها كل يوم. وهكذا كنت أرنمها جميعا أثناء فترة محدودة من الزمن. وأنا أريد التأكيد على أصدقائي الشباب أنه يجب أن يعبدوا الله بالترانيم والأناشيد وأن يحفظوها ... كنت أرنم كل صباح وكل مساء قبل أن آوي إلى الفراش ... في تلك الساعات [الصباحية] الهادئة كنت أخرج في الهواء الطلق وأرنم ترانيم تسبيحية لله وأصلي. ثم كنت أدخل لتناول الفطور مع الباقين».[١٨]

حكى قسيس الصين البارز «وانج منج-داوو» عقب خروجه من السجن أنه كان يكثر من ترنيم التسبيحات لله ليرفع روحه المعنوية. أما الترانيم التي كان تعني الكثير عنده فهي: «مخلصي يقودني طول الطريق» و«مطمئنا في حضن يسوع».

[18]Ivan Antonov, 'Survival 101: How to prepare for imprisonment', *Prisoner Bulletin,* 1989, p. 13.

أخبرني معاصره القس «ألن يوان» بترنيمتين كان يكثر ترديدهما بصوت عال أثناء سني حبسه الطوال: إحداهما كانت «صليب ربي الأقدم»، والأخرى «مزمور ٢٧». ولابد أن تتحرك مشاعرك إذا سمعته يرنم هاتين الترنيمتين اليوم.

جلس القس «أونج سوفال» مضروبا بشدة في سجن كمبودي قذر. وقيدت يداه ورجلاه بالسلاسل لمدة خمسة أشهر. يقول: «فمي فقط كان غير مقيد. فكنت أرنم لله في السجن طول الوقت. ولما سمعني سجين آخر أرنم من خلال فتحة صغيرة في الجدار، علمته الترنيمة – على مراحل. فمررها إلى الآخرين حتى صرنا نحن الثمانية نرنم».[١٩]

أمضى رئيس الأساقفة «دومينيك تانج» ٢٢ سنة في السجن في الصين في سبيل إيمانه. وهذا ما يرويه:

> «بجانب صلاتي وتأملي، كنت أرنم بعض الترانيم كل يوم بصوت خفيض: «يا يسوع، أنا أعيش لك؛ يا يسوع، أنا أموت لك؛ يا يسوع، أنا لك. سواء عشت أو مت، أنا لك!» علمني هذه الترنيمة سجين آخر نزل في زنزانتي».[٢٠]

[19] Asian Report, Asian Outreach, pp. 17-18.

[20] Tony Lambert, *The Resurrection of the Chinese Church* (London: Hodder & Stoughton, 1991), p. 179.

يحكي «بل هاردنج الرابع» خبرات شخصية من أثيوبيا حيث تألم المؤمنون بشدة:

«تسربت «البيروسترويكا» سنة ١٩٩٠ إلى أثيوبيا بعد أن انتشرت في أنحاء أوروبا الشرقية، وأعادت الحكومة الإثيوبية حرية العبادة. فظهرت الكنيسة السرية على السطح!

اقترح قادة الكنيسة أن نستخدم المرج المقابل لمنزلنا لعقد أول مؤتمر كنسي لنا منذ ثمانية أعوام، فوافقنا. توقعنا حضور ألف شخص من الكنائس السرية، فحضر أكثر من عشرة آلاف رجل وامرأة وطفل –سار بعضهم لمدة يومين أو ثلاثة– من جنوب أثيوبيا للمشاركة في الحمد على الحرية الجديدة. ولن ننسى أبدا الترنيم والوعظ في تلك الأيام الأربعة – الذي صاحبه مطر غامر.

صحوت أنا و«جرايس» ذات ليلة على قصف الرعد وقرع المطر المنهمر على سقف بيتنا الصفيح. لكننا بدأنا نسمع حسا آخر – حس أصواتهم تحمد الله بالترنيم! فنظر أحدنا إلى الآخر والدموع تملأ عينينا. فلم توجد كلمات نعبر بها عن المشاعر التي جاشت في صدورنا حين فكرنا في هؤلاء الجنود المخلصين الأعزاء على المسيح الذين اجتاز أكثرهم اضطهادا وآلاما، وهم يسبحون الله في فرحة على اجتماعهم معا على

اسمه في العلانية. سبحوا الله على الأمطار، سبحوه على الرغم من مشقتهم!». [٢١]

تعكس عناصر في مجتمعنا أحيانا مشاعر مشابهة لتلك. كتب «ستيوارت هامبلن» ترنيمة كرازية شعبية تعبر عن أن الحياة ما هي إلا رحلة قصيرة، وأن الأحزان التي تقابلنا في الطريق ما هي إلا أحجار نخطو فوقها في الدرب الذي يرتقي صعدا. والقرار يردد هذه الفكرة:

«حتى ذلك الحين سيستمر قلبي في الترنيم
حتى ذلك الحين أواصل المسير بفرح
حتى اليوم الذي تنظر فيه عيناي المدينة
حتى اليوم الذي يدعوني فيه الله إلى وطني».

الألم - الطريق للفرح

كان ألكساندر يقوم برحلته البحثية الأولى إلى كوبا لصالح هيئتنا. وسأل قسا كوبيا عن احتياجاته، وتوقع أن تضع الإجابة قائمة بالاحتياجات المادية الكثيرة التي كانت كنائس كوبا تفتقر إليها.

[21]Bill Harding IV, 'Hearing the Songs of Praise in Ethiopia', *Decision*, November 1991, p. 18.

لكنه أجاب: «إن أول احتياج لنا هو صلواتكم .. أن نعلم أن جسد المسيح معنا». ثم ذكر حاجتهم الماسة للكتب المقدسة ووسائل الإيضاح ومواد تعليمية لمدارس الأحد وأدوات كتابية. ثم ختم قوله بأنه يمكنهم الانتفاع بأي شيء وكل شيء.

وأقر قائلا: «حتى إذا أرسلتم لنا قطعة صابون فسنكون شاكرين. وسنحمد الله عليها!»

يقول ألكساندر: «أحسست بغصة في حلقي إذ فكرت في كل الكتب المقدسة والمطبوعات الأخرى التي أتمتع أنا بها. ولكن رغم كل هذه البركات لم يكن اختباري بهذه القوة. فجاهدت لأعبر عن مشاعري وقلت: يصعب علي أن أشعر أو أتخيل المشقات التي اجتزتموها».

امتلأت عينا القس بالدموع وأجاب بلطف: «نعم يا أخ، لقد اجتزنا ٢٥ عاما هي من أصعب الفترات التي مرت علينا. لكننا لا نخشى الاضطهاد. في الواقع، إننا نرحب به لأنه ينقينا!».[٢٢]

هذا أيضا اختبار المؤمنين الذي تألموا بشدة في الصين. «الرب يعلم. التألم والامتحان والاضطهاد والهرب من الخطر والاعتقال – كلها

[٢٢] من لقاء شخصي مع ألكساندر، يونيو ١٩٨٩.

تنقـينا. يجب أن نكون دائما مستعدين لتلقي تأديب الله».[٢٣]

قضى «فريدي صون» سنوات في الحبس في الصين من أجل إيمانه. كان السجن بالنسبة له عبارة عن امتحان بالنار. كان يعمل في مصنـع لصنع مفصلات ربط على شكل حرف T من الكتل المعدنية. وكان يعبـئ الفرن كل يوم ويفرغه، بينما بلغت درجة حرارته ١٤٨٢ درجة مئوية.

في وسط هذا الجحيم الأرضـي قـال لـه الله: «قـد وضعتـك في هـذا الفرن العالي الحرارة، فلا تقلق! لن تذوب، لكـن شـوائبك هـي الـتي ستزول حتى تصبح مفصلة ربط جيدة!»[٢٤]

يقول القس «لام» راعي كنيسة جوانغجو في الصين:

«المسيحي الذي بدون تألم هو كالطفل الذي بدون تأديب».[٢٥]

هذه واحدة أخرى مـن التناقضـات الظاهريـة في ملكـوت الله. أنـا أذكر جيدا قصة الولـد الصغـير الـذي حـاول مسـاعدة الفراشـة الـتي كانت تجاهد للخروج من الشـرنقة. لكنـهـا لم تقـدر أن تطـير ومـاتت

---

[23]'The Lord Knows', *China And The Church Today*, Vol. 7:3 June 1985, p. 7.

[24]Dorothy Ai Chung, 'How God Taught Me Brokenness', *Christian Aid*, Charlottesville, VA.

[25]Dale McClain, 'Schooling In Suffering', *Outreach*, January/March 1992, p. 7.

سريعا. فعلم الولد بعدها أن مجـاهدة الفراشـة لتخليـص نفسـها هـي جزء ضروري من تطور جناحيها.

«إن أفضل مثال على كيفية التعامل مـع الاضطـهاد يرجـع إلى القـرن الأول حـين صـودرت ممتلكـات المسـيحيين وزج بـهم في غيـاهب السجون بسبب إيمانهم ... كـانوا يعرفـون بحـق معنـى كلمـة *غرباء ونزلاء*».[٢٦]

يقول كاتب العبرانيين عنهم:

«لأنكم رثيتم لقيودي أيضـا، وقبلتـم سلب أموالكـم بفـرح، عالمين في أنفسكم أن لكم مالا أفضـل فـي السـماوات وباقيـا»

(عبرانيين ١٠: ٣٤).

يقول شارح الكتاب المقدس الذائع الصيت «كيث برايس»:

«إن قدرتنا على التـألم، لا قدرتنـا علـى الفـرح، هـي المقيـاس الأدق لقربنـا مـن الـرب يسـوع. ولكـن من غريـب الأقـدار أن السبيل إلى الفرح يمر أحيانا كثيرة بالتألم ... فنحن لا نسلك سبيل الفرح مباشرة. وهو دائما نتاج فرعي للقداسـة. ويبـدو أن القداسة تجذب التألم».[٢٧]

---

[26]Erwin Lutzer, *Where Do We Go From Here?* pp. 43-44.

[27]Keith Price, *Frontline Christian,* Aug/Sept 1992, p. 6.

يعلق لاهوتي معاصر آخر هو «كورنيليوس بلانتنج» الابن فيقول:

«إننا لا نبغي التألم، بل النجاح. ولا نتشارك وجدانيا مع الأذلاء المجروحين، بل مع الشرفاء الأثرياء. إننا لا نحب المجذومين والخاسرين كثيرا، بل نفضل المتسلقين والغالبين. بالنسبة للمسيحيين تشتد حلاوة الإغراء للتشبه بالعالم وتزداد قوة. لكن الرسول بولس يقول إننا أولاد الله إذا تألمنا مع المسيح ... الله لا يعطي أصعب مهامه لأضعف أولاده».[٢٨]

يتحمس الكثيرون بسبب اختبارات المسيحيين من أمريكا الشمالية الذين يتألمون بموقف قلبي إيجابي. مثلا «تشارلي ويديميئير» مشلول شللا كليا فيما عدا عضلات وجهه. وهو لا يستطيع التحدث. ولكن من خلال قراءة زوجته الوفية لشفتيه يقول: «المشقات تأتي للجميع، لكن الاختيار دائما لنا. **الألم والمعاناة لا مفر منهما، لكن البؤس أمر اختياري!»**

أرسل أخ صيني يتألم في السجن من أجل إيمانه رسالة إلى بيته ليشجع أهله. فنظم ما يلي من الشعر على قطعة رقيقة من ورق المرحاض:

[28]Cornelius Plantinga, Jr, 'Hard Assignments', *Christianity Today,* June 20, 1994, p. 42.

«كثيرا ما يجلب التألم فرحا،

فدانيال امتحن بجب الأسود والأتون.

منذ أيام القدم يوجد نظام في التألم والفرح:

فبعد أن تجرع كأس التألم، تأتي كأس البركة.

كيف للابن أن لا يتلقى التأديب من والده؟

فتقليم البستاني للأغصان لا يحمل نية سيئة.

إنما هو يضمن أن الشجرة ستطرح أثمارا جيدة.

بدون النار كيف تُفصَل الشوائب عن الذهب؟

بدون ضرب الحديد كيف يمكن أن يصير إناءً؟

بدون النحت بالإزميل كيف يصبح الحجر الكريم تحفة فنية؟

وبدون العصر كيف يصبح العنب خمراً؟»

الألم - الطريق للشهادة

أُرغِم مهندس مسيحي كهل في مصنع بنانجنغ على كنس الأرضيات وتنظيف المباصق والمراحيض أثناء ثورة الصين الثقافية. وقلما وُجِد اجتماع للاتهامات إلاّ وكان هذا العجوز الأشيب الحقير هدفاً له.

لكنه قاسى الاضطهاد طوعاً، ولم يستسلم البتة. تعجّب الآخرون لأنهم كانوا يعلمون بأنه لو تنكّر لإيمانه مرة واحدة سيعود إلى منصبه بل وربما ينال ترقية. ومع ذلك لم يمتثل.

وكانت هناك مهندسة شابة في نفس المصنع -ابنه كادر عالي الرتبة- تراقبه. وفي يوم من الأيام عادت إلى البيت وقالت لأخيها: «لابد أن يكون هناك إله في هذا العالم». فآمن أخوها بالرب بعدها ببضع سنوات.

جرى هذا في جميع أنحاء الصين. إذ وقعت حبات الحنطة في الأرض وماتت ... ولكنها أتت بعد ذلك بحصاد وفير.[٢٩]

حكى أحد المسيحيين الصينيين عن النهضة التي تجتاح مقاطعته والتي جاءت كرد فعل للاضطهاد الشديد للمؤمنين. وكان هذا تعليقه:

> «الحياة الغنية لا توجد في بيئة مريحة. حيث لا يوجد صليب لا يوجد إكليل. إذا لم تُدَقّ الأطياب لتصير زيتاً، لا يمكن لشذى العطر أن يفوح، وإذا لم يُسحَق العنب في المعصرة، لا يمكنه أن يصير خمراً. إخوتي الأعزاء، إن هؤلاء القديسين الذين دخلوا الأتون لم يصابوا بأذى، بل بالعكس، تمجّدت وجوههم وامتلأت أرواحهم بالقوة والقدرة الفائقة على الكرازة بالكلمة وبحياة أكثر وفرة...».[٣٠]

---

[29] CCRC, May/June, 1985.

[30] Tony Lambert, p. 164.

أفضى رجل الكنيسة الرومانيــة العجـوز التقـي «تريـان دورس» إلى زميل لنا بهذا القول: «أنا لا أطلب منك الصلاة لتجنب الاضطـهادات. بـل على العكس، إن هذا نصيبنا. إنما صـل أن نحتمـل ونستغل الفـرص لتقديم الشهادة التي لا تتيحها إلا الاضطهادات الشديدة».

يحب زميلنا «هكتور تاميز» أن يروي اختبار الأخـت «باسـكواليتا» التي تحدثت في اجتماع «أنا أحب المكسيك» لعام ١٩٩٣. لقيـت تلـك الأخـت نفيـا بـدون محاكمـة في بلدتـها الصغـيرة في أقصـى جنــوب المكسيك لأنــها أصبحـت مؤمنـة. وقـد أجـبر مسـيحيون قبلـها علـى مغادرة بلدتهم.

وفي إحدى الليالي أحاطت جماعة من مضطهديها ببيتها المسـقوف بالحشائش وأوقدوا فيه النار. وحالما فتحت الباب أطلق أحدهم عيـارا ناريا عليها. يقول «هكتور»:

> «كانت تبكي وهي تحكي اختبارها. قالت: «أشكر الرب أنه لم يمسسني إلا شظيات من عيار واحد وعشرين». أطلقوا النار على جسمها كله بل حتى علـى رقبتـها، رغـم ذلـك اسـتطاعت أن تواصـل الجـري حتـى سـقطت في حفـرة، فـاحتجبت عــن مطارديها بسبب الظلام. كانت تفقد الدم بسرعة، لكـن بعـض أهل بلدتها الذين أعجبوا باختبارهـا أفلحـوا في إخراجـها مـن

وسط الجمهور وأخذوها إلى عيادة في إحـدى البلـدات القريبـة. فنجت في حين قتل ثلاثة من أفراد أسرتها في البيت.

شكت إلى الـرب قائلـة: «لـماذا، يـا رب، بعـد أن سـلمتك حياتي وأسرتي، أتألم بهذه الطريقة؟» فذكرهـا الـرب بترنيمـة اعتـادت أن ترنمـها كثـيرا: «**لقـد قـررت أن أتبـع يسـوع بــلا رجوع**».

ثم تابعت سردها قائلة: «فهمت حينئـذ أنـه لـما قـررت أن أتبـع يسـوع، كـان ذلـك يعـني في جميــع المواقـف وفي كــل الاضطهادات. صارت حياتي الآن ملكا له. فاستمددت قوة مـن تلك الترنيمة، وعدت أكرز ثانية وأشجع بقية المؤمنين بأنــه لا رجوع حــين نقـرر أن نتبـع يسـوع». لـما سمعنـا هـذا الاختبـار انخرطنا جميعا في البكاء».[٣١]

يحلو للمسيحيين الكوبيــين ترديـد ترنيمـة فرحـة مفضلـة عندهـم عنوانها «وسط التجارب تتقدم الكنيسة للأمام».

سررت مؤخرا بمقابلة القس «دنه ثيين تو» الراعــي الأكـبر لأضخـم حركة كنسية منزلية في فيتنام. أثناء فترة حبسه الــتي دامـت سنتين في أوائل السبعينات ازدادت حركته الكنسية المنزلية من ٣٠٠٠ عضـو

[31] Interview on cassette, UK, 1993.

إلى ١٢٠٠٠ عضو منتظم، زائد ١٣٠٠٠ آخرين ينتظرون التدريب والمعمودية.

يقول القس «تو»: «الاضطهاد ليس مسألة كبيرة بالنسبة لمعظم القسس الفيتناميين. إنه جزء من نطاق الخدمة. ولا تخلو حياتنا الكنسية العادية منه». [32]

وصل المسيحيون في شرق أوروبا الذي عاشوا في ظل اضطهاد هائل إلى الاستنتاج التالي: «**نحن المسيحيين مثل المسامير، كلما قرعتنا بشدة، ازددنا عمقا في الرب!**»

أما المسيحيون الصينيون فيعبرون عن ذلك على النحو التالي:

> «المسيحيون مثل أعواد الخيزران. لا تهم شدة العاصفة في شيء أو برودة الشتاء القارس. ولا يهم كم مرة يقطعوننا. فنحن دائما ننبت ثانية ونعود إلى الحياة؛ ليس كأفراد بل كجسد. وفي كل مرة يقوم فيها هذا الجسد، يكون قيامه أقوى وأقدر على منح الحياة من ذي قبل». [33]

---

[32] Andrew Wark, 'Vietnam At The Crossroads', *Network International,* Special Report, February 23, 1994, p. 4.

[33] David Porter, *Bamboo in Winter* (London: Marshal Pickering, 1992), p. 97.

قال القس ديباج: «**نحن المسيحيين مثل الأزهار. كلما سحقتنا، اشتد شذانا**». وقال أيضا: «**نحن المسيحيين مثل كرات المطاط. كلما قسوت في قذفنا إلى أسفل، كان ارتدادنا إلى أعلى أكثر علوا!**».

الخضوع - الطريق إلى الحرية

استمر التحقيق بلا هوادة لمدة عشرة أيام. وحين دلف «تيموثاوس» إلى مكتب الأمن العام الصيني من أجل جلسة مكثفة مدتها ثمانية ساعات، شعر بحضور غامر للظلمة. فاستولى الخوف على قلبه وتجمدت يداه وقدماه.

طلب منه مرارا وتكرارا أن يبوح بأسماء زملائه الذين اشتركوا في توزيع الكتب المقدسة في شنغهاي. ولخوفه من أن يهين الرب أو يؤذي أخا أو أختا له في المسيح، صرخ بصوت عال: «يا رب، أنا أستسلم لك. أضع نفسي وكلي على المذبح، مستعدا أن أمزق إربا إربا وأحرق». حينئذ فقط حصل تيموثاوس على سلام في قلبه، وانصرف خوفه بقوة روح الله. [٣٤]

إننا لا نحصل على حريتنا إلا حينما نخضع لربوبيته.

---

[34]Timothy Wang and Doug Wicks, 'A Citizen Without Right', *Alliance Witness,* January 15, 1986, p. 11.

التلمـذة الحقيقيـة هـي تسليم حيـاة الإنسـان بالكـامل للسـيد في خضـوع مطلـق لسيادته. دعـا المتطـهرون (البيورتـانيون) هـذا المبـدأ «التنازل». قال أحـد الوعـاظ الذيـن استمعت إليـهم حديثـا: «إننـا لا نحتاج إلى مزيد من الالتزام، بل إلى مزيد من الاستسلام».

لعل هـذا أعمـق مبدإ روحـي علـى الإطـلاق. إنـه يشـمل جميـع جوانـب الحيـاة الروحيـة الأخـرى. مثـلا، أفضـل وصـف صادفتـه للشخص الممتلئ بالروح القدس هو: «**شخص بينه وبين يسوع تشـابه أسري شديد، وخلو من كل شيء لا يشبهـه**». [٣٥]

يحكي القس الروسي «هرمان هـارتفلد»: «كـان أحـد خـدام الـرب الكبار في السـن سجينا معـي. سـألته ذات مـرة: مـا هـي الصلاة في رأيك؟ فأجابني مندهشا من طرحي سؤالا كهذا: **الصلاة هي أن تسلم كل كيانك لله وأن لا تريد أي شيء سوى إرادته**».

صلى القس ميخائيل خوريف على النحو التالي وهـو في طريقـه إلى السجن في الاتحاد السوفيتي السابق:

[35] Oswald Chambers, p. 39.

«يا سيدي الرب، هدف حياتي هو تمجيدك في العالم. لذلك تحكم أنت في وافعل من خلالي ما تراه أصلح لكنيستك ولاسمك المجيد.

يا رب، إذا كان سجني سيعود بالمجد عليك أكثر من حياة أقضيها في الحرية، فلماذا إذا أختار الحرية؟ ... وإذا كنت، يا رب، عينتني لتمجيدك في دار القضاء في الاتحاد السوفيتي، فلماذا ترسلني إلى منابر الغرب؟ حتى وإن كان موتي سيعود بالمجد عليك أكثر من حياتي في الحرية، فلماذا إذا أختار الحرية؟» ٣٦

من سخريات القدر أن القس خوريف تمتع بقدر من الحرية في المسيح أزيد منا نحن الذين نعيش فيما يسمى بالعالم الحر.

يحضرني الآن ما قاله راعي كنيستنا عن ركوب البغال في دروب الوادي الأعظم الوعرة في الغرب الأمريكي. الطريق هناك شديد الانحدار غير مأمون. لكن البغال مطمئنة لمعرفتها الطريق جيدا. وهكذا يكون الاختيار الأسلم هو إبعاد يديك عن اللجام.

«اسبني يا رب، فأصير حرا.

أجبرني على تسليم سيفي، فأكون منتصرا.

[36] Mikhail Khorev, p. 101.

أغوص في مخاوف الحياة، حين أقف وحدي.

احبسني في ذراعيك، فيشتد ساعدي». [٣٧]

حماية العناية الإلهية

ذهب ديباج للتبشير في بلد مجاورة. وهناك توطدت عرى الصداقة بينه وبين مؤمن أعمى اسمه «ضياء نضرت». كان كلاهما نشيطين في الإخبار بإيمانهما الفياض.

في ذات ليلة بعد أن طلبا بركة الرب على الطعام، تطرقت صلاتهما إلى اهتمام مشترك. وفيما هما يصليان أتى القط على وجبة عشائهما ولم يترك شيئاً في الأطباق. ولما فتح عينيه كان القط يتلوّى من الألم على الأرض. فعلم أن اللحم كان مسمماً. [٣٨]

استُشهد كلا الرجلان فيما بعد من أجل إيمانهما ولكن ذلك لم يحدث إلاّ في توقيت الله. وحتى ذلك الحين كان أبوهما السماوي يسهر على حمايتهما بطريقة معجزية.

في السودان اهتدت فتاة شابة إلى المسيحية من ديانة أخرى فوقعت تحت ضغوط شديدة من إخوتها وأخواتها. وكانوا في الحقيقة

[٣٧] قصيدة من تأليف جورج ماثيسون.

[38] J. Christy Wilson, *More to be Desired than Gold* (South Hamilton, MA: Gordon-Cornwell Theological Seminary, 1992), p. 172.

قد بيّتوا النية لقتلها ودفنها في الحوش خلف البيت حتى لا يعلم بها أحد.

وفي اليوم الذي خططوا لقتلها فيه، خرت على ركبتيها وطلبت الحماية من الله. ولكنها قالت لأهلها: «اقتلوني إذا شئتم. ولكني أعلم أني ذاهبة إلى السماء!».

ولسبب مجهول لم ينفذوا الخطة، بل كتبوا خطاباً لوالدهم يخبرونه بما جرى لابنته. فكانت نصيحته أن لا يقتلوها، بل يزوجوها إلى رجل من دينها القديم فيقوم بحبسها في البيت.

فجهّزوا الترتيبات اللازمة، ولكن في اليوم المحدد للزواج لم يحضر الرجل وأُلغِيت كل التجهيزات. وبلغهم بعد ذلك أن الرجل قد أُمسِك وهو يسرق وأنه زُجّ به في السجن.

أما الرجل التالي فمات فجأةً قبل موعد الزفاف. ألقى هذا بالرعب في قلوب إخوتها وأخواتها، خِشية أن تنقلب عليهم أي محاولة تالية لتزويجها، فتركوها وشأنها وسمحوا لها بالذهاب إلى الكنيسة. وهي تُرجِع الفضل لله في بقائها على قيد الحياة. [٣٩]

[39] Development Brief, Vol. No. 30, September 1994, pp. 8-9.

يروي القس «دينس روتيجِروا» راعي الكنيسة المعمدانية في كيجالي برواندا كيف نجى هو وعائلته من المذبحة البشرية عام ١٩٩٤ :

«قبيل المذابح بقليل بدأ الحزب الحاكم يسلّح الشباب في رواندا (الإنتِراهامويه) وتلقينهم تدريبات عسكرية.

ثم بعد مقتل الرئيس بخمس ساعات، حذّرونا في المذياع أن نظل داخل بيوتنا، وعلمنا بوجود حواجز في جميع الطرق. بدا أنهم خطّطوا لكل شيء تخطيطاً جيداً.

ثم شرع الإنتِراهامويه يقتلون من بيت لبيت - كنا نسمع النـاس يصرخون. وكل من فر من بيته كان مصيره القتل أيضاً.

فمكثنا في البيت وصلينا. أرادت زوجتي الفرار، لكنني قلت لها أن تظل معي: **إذا كان وقت موتها قد حـان، فلن نـهرب. وإذا لم يكن هذا وقت موتنا، فإن الرب سيحمينا.**

اقتحم البيت أكثر من عشرين رجـلاً مـن الميليشـيا، ورفـع أحدهم منجلاً نحو صدري. ثم أخذوا زوجـتي جانبـاً ووضعـوا سكيناً على رقبتها.

فما كان مني إلاّ أن دفعت مـهاجمي بعيـداً عـني وسـترت زوجتي بجسمي. ثم صحت: في اسم يسوع المسيح، لـن أسمـح لكم أن تقتلوا زوجتي.

فسأل كم عدد الأطفال بالبيت، فأخبرته بأنهما اثنان. ثم صحت مرة ثانية: في اسم يسوع، إننا لسنا أعداءً!.

فقال لفرقته وهو يرتعد: لا تقتلوا هؤلاء الناس. يمكننا أن نعود فيما بعد.

أمرونا أن نبقى بالداخل، ثم انطلقوا إلى نهب البيوت الأخرى. فأرسلت زوجتي وولديَّ إلى المخدع وجلست في غرفة المعيشة أقرأ الكتاب المقدس.

فقرأت هذا الوعد في سفر الأعمال الذي مفاده: قد نجّيتك لتشهد للآخرين عما صنعت لك، فلا تخف. فلما قرأت هذا الكلام امتلأت بالشجاعة.

عاد رجال الميليشيا لاحقاً، متعقبين شخصاً أفلت منهم عن طريق حوش بيتنا. فاتهموني بمحاولة إخفاء الناس وجروني إلى البيت ليفتشوه. ولم يجدوا أحداً سوى أسرتي.

سمعنا طلقات النار طوال الليل، وفي الصباح التالي جاء الجنود لإنقاذنا». [٤٠]

يعقّب القس روتيجيروا برسالة إلى الكنيسة حول العالم:

---

[40] 'Apocalypse in Rwanda', *Newsbrief*, Vol. 9 Issue 10, October, 1994, pp. 2-3.

«اصحـوا واسـهروا حتـى لا تفاجَـأوا كمـا فوجئنـا نحـن. إذا باغتكم يسوع، كما باغتتنا المعركة، سيكون ذلك اليوم حزيناً بالنسبة للكنيسة ككل». [٤١]

✠✠✠✠

يا رب، أنت قد قلت لي أن أستخدم وقتي بحكمـة، وأن أستسلم لمشيئتك وأستخف بمتاع هذه الدنيا الباطلـة - أن أكون حاجاً مغترباً في طريقي إلـى المدينـة المقدسـة. سامحني على اهتمامي بالأرضيات وتركيزي على الحيـاة الدنيا وهمومها. املأني بروحك القدوس وهبنـي حيـاةً فائضة - لاسيما بفرحك. أشكرك على وعدك بأن تـهتم باحتياجاتي كلها - بل حياتي كلها - حتـى يحـل يـوم دعوتك لي لأكون معك إلى الأبد.

[٤١] نفس المصدر السابق، ص ٣.

سنقضي الأبدية بطولها

في الاحتفال بالانتصارات؛

ولكن ليس أمامنا إلاّ ساعات

قصار

قبل الغروب

نحقق فيها هذه الانتصارات

آمي كارمايكل

سر رقم ٥-

قوة روحية للمعركة

نحتاج إلى سلاح الله الكامل للثبات في وجه مكايد إبليس ... ولكن كلمة الله التي اندمجت مع نفوسنا والصلاة بحسب إرشاد الروح تُمكِّن المؤمن من توجيه ضربة هجومية ... ومع المثابرة يظل المؤمن منتصراً حتى في مواجهة أقسى الهجمات.

الفصـــل الخامـــــس

قوة للمعارك

اغتمّ القس الأوكراني «ستيبان جرمانيوك» غماً شديداً وهــو جـالس في زنزانة السجن. واستمر عقله يعيـد مشـهد بكـاء ابنـه البـالغ الثالثـة من العمر (أصغر أبنائه الخمسة) في وقت مبكر من ذلك اليوم. فقد انزعـج الصبي لما انتزعوا منه أباه بخشونة ليذهبوا به إلى قسم الشرطة.

وعاش ثانية في مخيلته مشهد التحقيق معه الذي أراه فيه المحقق ثلاثة ملفات سميكة خاصة بقضيته وقال له بلهجة آمـرة: «فقـط نـدِّد بكـل نشاطاتك الدينية فأرمي بهذه الملفات في النار وتذهب أنت حراً طليقاً».

لكن ستيبان تبسّم حينما تذكر الرد الذي وضعه روح الله في فمــه: «لا يمكنني أن أعدك بهذا. لا يمكنني التوقف عن خدمة الرب».

وبحلول المساء أُخرِج سبعة رجال من التسعة الذين كـانوا يـنزلون

في زنزانته. وتُرِك وحده في الزنزانة مع رجل تبدو عليه أمارات الجنون. إليكم بوصف ستيبان نفسه للرعب الذي استولى عليه:

«استولى عليَّ قلق شديد. فحالما خرج الآخرون كلهم من الزنزانة، خلع الرجل الآخر ملابسه وشرع يتقدم نحوي. كان في حالة هياج تام، وكان واضحاً لي أنه نوى الاعتداء عليَّ بطريقة قذرة. فبدأت أصلي وقلت له بصوت عالٍ: باسم يسوع المسيح آمرك بالابتعاد عني!

كان الرجل قوياً فارع الطول، لكنه تقهقر في الحال. وبعد برهة عاود الإطباق عليَّ من جديد، وأمرته مرة أخرى باسم يسوع أن يبتعد.

استمر الحال هكذا ساعات. كنت متوتراً ويقظاً وكنت أصلي بأقصى قوتي. لم أقدر أن أتوقف عن مراقبته ولو للحظة، لأنه كان سيهجم عليَّ.

علمت لاحقاً أن المسؤولين عن السجن كانوا ينظرون من خلال ثقب في الباب. وبات واضحاً أنهم عقدوا صفقة مع ذلك الرجل ليصنع هذا بي. ولكن بعد أن دعوت باسم الرب يسوع مراراً كثيرة وأمره بالابتعاد، وانسحابه العاجز إلى الركن كل مرة، جاءت السلطات وأبعدته كما هو بدون ملابسه».[١]

[1]Georgi Vins, *Let the Waters Roar: Evangelists In The Gulag* (Grand Rapids, MI: Baker Book House, 1989), p. 163.

طوال سنوات اعتقاله الطوال وسنوات نفيه بعد ذلك امتُحن وجُرِّب القس جرمانيوك مراراً كثيرة ليتنازل عن مبادئه. لكنه يقول في تعقيبه الانتصاري: «بما أن الرب معنا، نعلم أن النصرة أكيدة».

بواقع خبراتي الشخصية مع الكنيسة المتألمة أقول إن الحرب الروحية تُفهَم فهماً عميقاً وتُقبَل على أنها جزء يومي من حياة المؤمن. لكن من دراستي للملحوظات واليوميات التي دوّنتها بدأت أدرك أنهم نادراً ما يناقشون هذا الموضوع خارج إطار المبادئ الإيجابية التي تجلب النصرة – أي ما يطلق عليه الرسول بولس في أفسس ٦ «سلاح الله».

فائدة السلاح (الدرع الواقي) هو تمكين المؤمن من الثبات على أرض المعركة بمثابرة – فيكون قويا ومحميا ومجهزا. إذا فأكثر أجزاء السلاح تخدم أغراضا دفاعية، لكن يوجد جزءان يخدمان أغراضا هجومية: كلمة الله والصلاة بحسب إرشاد روح. [٢]

دمج كلمة الله في أنفسنا

صرح قسيس الصين الأشهر «وانج منج–داوو» لدى إطلاق سراحه النهائي: «لم تكن معي في هذه العشرين سنة الأخيرة نسخة من

[٢] أفسس ٦: ١٧–١٩.

الكتاب المقدس. وكم أنا مسرور أنني بين عمر الواحدة والعشرين والرابعة والعشرين استثمرت وقتي في البيت في تأدية الواجب ودراسة الكتاب المقدس. حفظت مقاطع كثيرة عن ظهر قلب، وتلك المقاطع التي انغرست في صدري خرجت مقطعاً مقطعاً لتقويني وتشد من أزري. ولولا كلام الله كنت انهزمت أنا وكثيرون غيري أيضاً».

أمضى القس «لام» سنوات عديدة في السجون في جنوب الصين في نفس تلك الفترة. وهو يقول: «فهمت وقتئذٍ لماذا حفظت جزءاً كبيراً من كلمة الله وأنا في مدرسة الكتاب المقدس. إن ما حفظ لي عقلي من الجنون هو ترديدي آيات الكتاب المقدس بدءاً على عَوْد». [٣]

تتعرض سياحة المسيحي في مؤلف «يوحنا بونيان» الرائع إلى هجمات متكررة من القوى الشيطانية والعمالقة الآدميين والنفوذ الدنيوي. لكن المسيحي يقدر على استعمال كلمة الله وتشجيع إخوته من المؤمنين ليحقق النصرة.

إن العمل بنصيحة المرنم وتخبئة كلمة الله في قلوبنا هو السلاح الهجومي الرئيسي لنا في هذه المعركة الروحية. ويبدو أن المسيحيين في المناطق المغلقة أكثر إدراكاً لهذا المبدإ. يترك المسيحيون الذين

---

[3]Dale McLain, 'Schooled In Suffering', *Outreach,* January/March 1992, p. 7.

أمضوا سنيناً عديدة في السجون بدون كتاب مقدس انطباعاً لا يُمحَى عن أهمية استظهار كلمة الله.

في الاتحاد السوفيتي السابق قضى القس «أيفان أنطونوف» فترة إجمالية قدرها ٢٤ سنة في السلاسل من أجل الكرازة بالإنجيل. وتم الإفراج عنه من منفاه في سيبريا في نوفمبر ١٩٨٨. يقول وهو يستعيد ذكرياته:

> «أهم شيء هو أن تدرس الكتاب المقدس وتستظهر كلمة الله. لم يكن معي كتاب مقدس لما كنت في السجن والمعتقل، لكنني استطعت أن أراجع ما خزّنته في قلبي. كنت أستعرض إصحاحين من العهد القديم وإصحاحين من الجديد كل يوم.
>
> ذكّرني هذا الاختبار بيوسف لما كان في مصر. في أثناء وقت الوفرة كان يخزّن مؤونة من الحبوب، فلما حلّت المجاعة نجى القوم من الموت جوعاً ...
>
> كانت هذه الآيات غذاء لنفسي ... دأب الله على إيقاظي مبكراً كل صباح مما أتاح لي الوقت لأصلي وأتأمل في سلام». [٤]

أدلى أخ روسي آخر اسمه «بنيامين ماركفيتش» لدى إطلاق سراحه من المعتقل بالآتي:

[4]Ivan Antonov, 'Survival 101: How to prepare for imprisonment' *Prisoner Bulletin,* 1989, p. 13.

«استمددت تعزيتي وتشجيعي الرئيسي [في السجن] من إصحاحات الكتاب المقدس التي حفظتها. أمدت هذه الآيات روحي الغذاء وأعانتني في صراعي مع القوى الشيطانية ... كانت تلك أيام شريرة احتجت فيها إلى قوة خاصة لكي «بعد أن أتمم كل شي، أن أثبت»». [5]

لما خضعت لاوس للحكم الشيوعي عام ١٩٧٥، اعتُقِل كبير الرعاة القس «صالي» لمدة ثلاثة أعوام بحجة «إعادة التثقيف». فوصف تلك المدة بعد ذلك بأنها كانت فترة تعليمه الجامعي. فلما لم يكن معه كتاب مقدس، عمد إلى تلمذة المؤمنين الجدد بواسطة آيات كتابية حفظها من قبل ودمجها في نفسه. فصار هؤلاء الرجال فيما بعد قادة في الكنيسة.

يوجّهنا الكتاب المقدس مرة بعد مرة إلى التأمل (اللهج) بكلمة الله. ويتطلب عمل هذا وقتاً وانضباطاً. لكن مكافآته كثيرة – حتى بالنسبة لأولئك الذين يقضون حياتهم خارج أسوار السجن.

أطلعني زميل سنغافوري على المعلومات التي حصل عليها بعد رحلته الأولى إلى الصين. وكان قد انبهر جداً بمجموعة من مؤمني كنائس البيوت واظبوا على حفظ إصحاح واحد من الكتاب المقدس

[5] Georgi Vins, p. 102.

كل أسبوع. بدأت هذه العمليـة نتيجـةً لنـدرة الكتـب المقـدس لكنـهم داوموا عليها لما أدركوا البركة التي جلبتها إلى حياتهم.

هذا أيضاً أسلوب رائع لتأهيل المؤمنين في الظروف التي يقل فيـها عدد الكتب المقدسة. ففي معظم البلدان المغلقة توجد نـدرة في الكتـب المقدسة. وحين يسلم مرسال من هيئتنا بعض الكتـب المقدسـة يحتـار راعي الكنيسة عند تقريره إلى أي من المحتاجين روحيـاً يعطـي هـذه الكتب الثمينة.

قررت جماعـة في كنيسـة منزليـة في فيتنـام منـح الكتـب المقدسـة للمؤمنـين الأشـد تصميمـاً علـى اسـتعمالها. وكـان المقيـاس المسـتعمل لتحديدهم هو قدرتهم على الحفظ. فتـم توزيـع الكتـب المقدسـة فقـط على من قاموا بتسميع مزمور ١١٩ بدون أي غلطة!

فلا عجب إذاً أن هيئتنا متعهدة بتوصيل كلمة الله لأولئـك الذيـن يفتقرون إليها. فهي قوة الله للخلاص!

إبان فترة عملي مع هيئة إذاعة الشـرق الأقصـى في السـبعينيات، تسـلمنا خطابـاً مـن مسـتمع فيتنـامي بعـد اسـتيلاء الشـيوعيين علـى الحكم. وكان هذا نصه: «أيها الأخ، سـبِّح الـرب علـى قـدرة كلمتـه. فكلما اشتد هياج العاصفة، ازدادت مواظبة الناس على تفتيـش كلمـة الله».

كان الصينيون في جنوب الصين تواقين إلى كلمة الله، وهم الذين طلبوا من هيئة الأبواب المفتوحة مليون كتاب مقدس (فيما يعرف باسم مشروع اللؤلؤة)، حتى أنهم ألفوا صلاة ترتيلية وصاروا يرددونها كل يوم على حد ما بلغنا:

«يا رب، أرسل كتابا مقدسا، فهو نورك الكريم،
والحب الحقيقي، والتعليم، وخبز الحياة.
أنا أعلم علم اليقين أن كلمتك سترشدني إلى الأمام،
فتنير طريقي طوال رحلتي إلى وطني». [٦]

الصلاة الشفاعية

يحكي كيفا سمبانجي الأوغندي مثلا مؤلما جدا ولكنه قويا أيضا عن كيفية تعلمه درسا هاما:

«في إحدى الأمسيات بعد انتهائنا من اجتماع طويل للصلاة، جاءني واعظ طاعن في السن من شركة النهضة ليحدثني. كان الرجل طويلاً ورفيعاً من قبيلة بانيامكوليه الغربية، وكان قد انخرط في سلك الوعظ منذ سنوات عديدة. قال لي بلهجة رصينة للغاية: يا كيفا، عندي شيء أقوله لك. قد استمعت إليك

[6] Paul Eastabrooks, unpublished manuscripts, *Songs of Deliverance,* from cassette recorded testimonies of Mrs Chen from China.

للغاية: يا كيفا، عندي شيء أقوله لك. قد استمعت إليك وأنت تصلي ووجدت أن صلواتك ليست كما يجب أن تكون. أنت تصلي لإشباع رغباتك الخاصة. وتركز إما على احتياجاتك أو على احتياجات الإخوة، ولكنك لا تركز على المسيح.

جرح كبريائي هذا الكلام الخشن من الواعظ، فحاولت أن أشرح له الدافع وراء صلواتي. قلت له: إن المسيح هو مركز احتياجاتنا، وقد أوصانا الله أن نحضر كل أحمالنا إليه.

لكن الواعظ هز رأسه وقال: صحيح أن المسيح هو مركز احتياجاتنا، لكنه أولاً مركز حياتنا. وقبل أن نصلي بخصوص رغباتنا، ينبغي أن نفهم رغبات الله ونسمح لها أن تشكّل رغباتنا. وإلاّ نكون بصلواتنا نقوي تهافتنا على الذات.

كانت الرسالة التي أبلغني بها هذا الأخ قاسية، لكن لما بدأت أعي مضمونها انضممت مع إخوتي وأخواتي في نظام جديد للصلاة. فقد صممنا معاً أن نجعل المسيح البداية والنهاية لكل توقعاتنا. وقررنا أن لا يكون لنا رجاء إلاّ في ما يمنحه لنا الكتاب المقدس. تعلمنا أن الصلاة ليست منصة للتعبير عن الذات، وإنما عملية تفريغ للذات».[٧]

---

[7]F. Kefa Sempangi, *A Distant Grief* (Glendale, CA: Regal Books, 1979), pp. 43-44.

تدرك الكنيسة المتألمة بشدة قوة الصلاة في الحرب الروحية التي نواجهها يومياً. يعرف الدكتور «بيتر واجنر» الصلاة بأنها العمل المركزي التأسيسي للحرب الروحية.

«تعتبر الصلاة سلاح حربي من ناحية، ومن ناحية أخرى الوسيط الذي يتم الانتفاع بالأسلحة الأخرى عن طريقه... بدون الصلاة نقف عاجزين في صراعنا مع العدو».[٨]

نمت كنيسة القس «ها» في فيتنام من تسعة وعشرين عضواً إلى أكثر من ٥٠٠٠ عضواً في غضون سنوات معدودات أثناء الحكم الشيوعي في أواخر السبعينات. زاره رئيس الأبواب المفتوحة والمبشر السابق إلى فيتنام «يوهان كوبانين» في أوائل الثمانينات وسأله عن سر نمو كنيسته غير العادي.

أجابه القس «ها»: «إن معتقدي اللاهوتي بسيط جداً. كلما تقع في مشكلة، صلِّ! وإذا وقعت في مشاكل أكثر، فصلِّ أكثر!» تعقد هذه الكنيسة اجتماعاً للصلاة في الساعة السادسة صباحاً يحضره عدد كبير. كان هذا هو سبب نمو الكنيسة المطرد. ومع أن شعب الكنيسة كان يجتاز ضغوطاً كثيرة، اختاروا نصاً كتابياً ليعلقوه على حائط

[8] C. Peter Wagner, 'Our Weapons of Spiritual Warfare', *Asian Report*, Report 197, Vol. 26 No. 5, October/November 1992, p. 2.

الكنيسة: «اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ».

ومع ذلك، قال القس «ها» بعد كل سني الحبس تلك:

«لما كنت حراً كنت أعمل والصلاة أحياناً في الخلفية. أما في السجن فاكتشف أن الصلاة هي كل شيء. إنها مثل استعمال الطيار قائمة المراجعة قبل الإقلاع. إذا أغفل البند الأول قد تتعرض حياة الكثيرين للخطر. والبند الأول في قائمة مراجعتنا يجب أن يكون دائماً الصلاة. وإذا أغفلناها تتعرض المهمة كلها للخطر». [٩]

قضى القس الفيتنامي «كيونج» أيضاً أكثر من ست سنوات في السجن. وهو يقول ما يلي عن الصلاة:

«أثناء عملي كنت دائم الانشغال ولم يكن لدي الوقت للصلاة. ولكن في السجن كنت أحمد الله على الوقت الذي وهبه لي للصلاة. كنت أصلي كل يوم قرابة الست ساعات.

أتيح لي الوقت لاستدعاء كل أعضاء الكنيسة في ذاكرتي للصلاة من أجلهم. (كنت أخدم في الكنيسة قبل ذلك دون أن يتاح لي الوقت للصلاة من أجلهم.)

[9]Ho Hieu Ha, cassette recorded message at Prayer Conference, October 1991.

> تعلمت هناك عن حضور الله الملموس في الصلاة. عندما تركع وتصلي من كل قلبك مع الرب، تشعر بحضوره في التو واللحظة». [١٠]

الشاعرة الروسية «إيرينا راتوشِنسكايا» مقتنعة بأن اختبارها واختبار آخرين غيرها لحضور الله الأشبه بـ «بالإحساس بالدفء الشهي في أرض متجمدة» سببه صلاة المسيحيين حول العالم من أجلها في سجن الجولاج.[١١] بعد الإفراج عنها كتبت قصيدة لتعبر عن امتنانها لله وإخوتها المؤمنين. وقد ورد ضمن القصيدة هذه الكلمات: «أعزّائي، أشكركم جميعا». [١٢]

عقّب الشهيد ديباج بقوله بعد الإفراج عنه عام ١٩٩٤:

> «أشكر الله لأنه حفظني سالماً في السجن تسع سنوات وسبعة وعشرين يوماً. وأشكر الله من أجل إخوتي وأخواتي حول العالم الذين صلوا وصاموا وساعدوني حتى خرجت». [١٣]

---

[10] Cuong Nguyen, cassette recording of message at Prayer Conference, October 1992.

[11] Irina Tarushinskaya, *Grey Is The Colour Of Hope* (London: Hodder & Stoughton, 1988).

[12] Dick Rodgers, *Irina* (Keston College, UK: Lion Publishing, 1987). p. 175.

[13] Personal interview in Iran.

أوقات الصلاة الجماعية هامة أيضاً لمسيحيي الكنيسة المتألمة كعامل للشركة. دوَّن «بيتر دي بروييني» في كتابه الرائع *Siberian Miracle* (المعجزة السيبيرية) حياة جماعة هامة من المؤمنين في تشوجيفكا بسيبيريا. وهي جماعة تطالب بالحرية الدينية وفي نفس الوقت منخرطة في تنمية مجموعات خلوية ورحلات تبشيرية. يقول ما يلي عنهم:

«حددت الجماعة تدريجياً أوقاتاً ثابتة للصلاة. تقع أول صلاة داخل الأسرة الساعة السادسة صباحاً، ثم في العاشرة صباحاً والواحدة ظهراً يصلي الأعضاء أينما يكونون، وأخيراً في السابعة مساءً تقام الصلوات العائلية مرة أخرى. لم تتحول أوقات الصلاة الثابتة تلك إلى قانوناً جامداً، لكن تلك المدرسة السوفيتية التي خرَّجت جيلاً شديد التدين أظهرت حكمة تنمية عادات وتقاليد مفيدة كلما أتيحت فرصة لمارستها. قالوا لأنفسهم: إذا داهمنا الاضطهاد فقد لا يتسنَّى لك الوقت للتفكير في كيفية الوقوف بثبات. ولكن كل ما يمكنك الركون إليه هو عادات الاحتمال والأمانة». [١٤]

يحكي الدكتور «جوناثان تشاؤو» العامل في مركز البحث الكنسي

[14] Peter de Bruijne, *Siberian Miracle* (London: Marshal Pickering, 1990), p. 118.

الصيني في هونج كونج عن اجتماع كنيسة منزلية حضره في الصين، فيقول إن المؤمنين التأموا من أجل اجتماع خاص في مغارة على عمق سبعة أمتار ونصف في باطن الأرض. وبعد عظة دامت ثلاث ساعات «صلوا بدموع تسيل من عيونهم، واختلط سيل الدموع مع مخاط أنوفهم فتقاطر على الأرض مثل الشعرية الصينية الشفافة، وما كان منهم إلاّ أن تجاهلوه. هذا لأن قلوبهم كانت موجَّهة نحو وجه المسيح حتى أنهم كانوا غافلين عن حالتهم الجسمانية المهملة. صلّت إحدى الأخوات لمدة خمس وأربعين دقيقة في وضع الوقوف وتضرعّت إلى الرب أن يطلق سراح رفيقها الكارز وخطيبها الذي لم يطعم الأكل لعدة أيام ورفض الإباحة بأي معلومات عن نشاطات الكنائس الكرازية».[١٥]

لن أنسى أبداً أول زيارة لي إلى كنيسة القس الصيني «الام» المنزلية عام ١٩٨٥. في تلك العلِّية الخافتة الضوء اجتمع المؤمنون قبل ميعاد الخدمة بساعة من أجل الصلاة. ركع هؤلاء المسيحيون الصينيون على الخرسانة المكشوفة، بدون وسائد الركوع المزركشة التي عندنا نحن الغربيين، وصلوا بحرارة لم أعهدها من قبل. ولما كان الواحد ينتهي كان عدد من الآخرين يبدأ في الحال وفي نفس الوقت، وكان صاحب الصوت الأعلى

[15]Ross Paterson, *Heart Cry For China* (Chichester, UK: Sovereign World, 1989), p. 118.

هو الذي يستمر، وهكذا دواليْك. رغم أنـي لم أفـهم الكـلام الصيـني، كنت أفهم النبرات والتعبيرات. فمرت الساعات وكأنها دقائق.

أخبر واعظ متجول في الصين الدكتور «دافيد وانج» العامل في حقـل الكـرازة الأسـيوي: «إن طـول صلواتنـا مـا هـو إلاّ نتيجـة منطقيـة لاضطهادنا ... لعدة سنوات لم يكـن لدينـا رعـاة أو كتـب مقدسـة أو حتى كتب ترنيم. لذلك حينما كنا نجتمع معـاً لم يسـعنا إلاّ الصـلاة. فصار الأمر نقطة ارتكاز اجتماعاتنا».[١٦] قد جاء هذا التعقيب إثـر خدمـة تعميد مسائية احتوت على أكثر من خمس ساعات من الصلاة!

يحكي مبشر دولي عن نيتـه للرجـوع إلى أثيوبيـا كعـامل في مجـال التنمية المائية أثناء الحكم الشيوعي في الثمانينيات. وقد نمـت نـهضة كبيرة يفسرها في تصريحه التالي:

> «كانت الصلاة مفتاحاً للنهضة. لما كانت الكنيسة مستترة، كان المؤمنون يصلون في الساعة الرابعة من كل صباح. أنـا أومـن أن الصـلاة هـي الـتي حركـت الله وجـاءت بالنهضـة إلى أثيوبيـا. وحتى في ظل حريتهم التي استردوها حديثاً يستمر المسـيحيون

[16] David Wang, 'And They Continued Steadfastly...', *How The Chinese Christians Pray* (Hong Kong: Asian Outreach Publication, 1993), p. 5.

في الصلاة. وأنا أثق أنــهم لـن يفقـدوا الاعتقـاد بوجـود قـوة في الصلاة». [١٧]

الصلاة هي أيضاً وقت استماع لله مثلمـا هـي وقـت تحـدث إليـه. هذا هو دور الروح القدس. وأما دورنا فهو إرهاف السمع لإرشاده.

جاء إلى المسيح أختان في جنوبي الصين في اجتماع منزلي. وزارهمـا صديق مــن هونـج كونـج بعدهـا بعشـرين شـهراً وسـألهما عمّـا كانتـا تفعلانه من بعد تجديدهما.

فأجابتا بخجل: «كنا نؤسس اجتماعات منزلية».

«كم اجتماع منزلي؟»

فأجابتاه بحرج: «ثلاثين فقط».

فسألهما بنوع من عدم الاهتمام: «وكم من الناس يحضرون اجتماعاتكما؟»

«يحضر أصغر اجتماع لنا حوالي مائتان وثمانون!».

فـاندمج السـائل في الحديـث وتـابع أسـئلته بسـرعة: «وكـم عـدد الحاضرين في أكبر اجتماع لكما؟»

«فقط أربعة آلاف وتسعمائة!»

[17] Bill Harding IV, 'Hearing The Songs Of Praise in Ethiopia', *Decision,* November 1991, p. 18.

صُعِق المسيحي القادم من هونج كونج، وسأله بسرعة من شدة انفعاله: «كيف تأتّى لكما -وأنتما شابتان حديثتا الإيمان- أن تعلما ما يجب عمله؟»

فأجابتا ببساطة: **«إننا نصلي. وبعد الصلاة يخبرنا الروح القدس بما علينا أن نفعله!»** [١٨]

إليكم بمثل رائع آخر وهو عبارة عن تقرير من الصين عن سيدة مسيحية مسؤولة عن الأمن في منجم للفحم. يروي هذا المثل «روس باترسون» في كتابه الممتاز *Heartcry for China* (صرخة قلب من أجل الصين):

> «شعرت السيدة بالروح القدس يلح عليها بأن تجذب يد الإنذار، على الرغم من عدم وجود أي سبب ظاهر لذلك. ومع أن كل شيء بدا هادئاً وطبيعياً، أطاعت الحث الداخلي.
>
> فتم إخلاء المنجم كله نتيجة لصفارة الإنذار، ولكن حالما تجمّع جميع الرجال على السطح، لاح لهم أن أحداً ارتكب خطأً فاحشاً. ولكن بعدها ببضع دقائق ارتعدت الأرض تحت أقدامهم وانهار قسم كبير من المنجم.

[18] David Wang, cassette recorded message at Vancouver, Missionfest, February, 1995.

بفضل حساسية هذه الأخت واستعدادها لطاعة الله، أمكن إنقاذ كل نفس في المكان. فضلاً على ذلك، سلم ٤٠٠ شخص حياتهم للمسيح بعد تمييزهم أن الله نجاهم بأعجوبة من موت محقق». [١٩]

يتصف المؤمنون الصينيون بهذا الشعار الذي يرددون كثيراً: «صلاة كثيرة – قوة كثيرة؛ صلاة قليلة – قوة قليلة». كانت الكنيسة الأولى في سفر الأعمال كنيسة مصلية. كانوا أهل صلاة وعُرفوا بأنهم «مَن يدعون باسم الرب».

يؤكد القس الكوري «دافد تشو» –راعي أكبر كنيسة في العالم– أن هذه الحقيقة البديهية تسري أيضاً على العالم الحر حينما يلتزم شعب الله بالصلاة. يبلغ عدد أعضاء كنيسته الآن حوالي ٧٠٠ ألف، وهو يرجع الفضل لذلك النمو إلى ثلاثة عوامل: الصلاة ثم الصلاة ثم الصلاة!

حكي الدكتور «تشو» في مؤتمر قومي ديني للمذيعين انعقد في لوس أنجولس أن الناس يتبعون قائدهم. لذلك فهو ينهض في الثالثة والنصف صباحاً ليصلي. وتطول صلاته إلى خمس ساعات في اليوم. يضيف قوله: «مع هذا العدد الكبير من أعضاء الكنيسة لا أقدر أن أصلي أقل من ذلك».

---

[19]Ross Paterson, p. 193.

يقول الدكتور «تشو»: «الصلاة هي المصدر الوحيد للقوة. ففي الصلاة أستأنس بالله وبعشرته، فأقبل مسحته وأتمكن من مجابهة أزمات الحياة، بل وأنتهر القوى الشريرة». ويضف قائلا: «إن انحدار أمريكا إلى النجاسة لا يمكن إيقافه إلا بالصلاة!»

وهو يروي أنه كان في غرفة صلاته لمدة ساعة بعد ظهر أحد الأيام حينما اتصل به هاتفيا رئيس كوريا الجنوبية طلبا للنصح. فرفضت سكرتيرته أن تزعجه وأصر الرئيس فيما بعد على الدكتور «تشو» أن يرفتها.

لكنه رد: «أنا لن أرفتها. إنها كانت تنفذ أوامري. فقد كنت أتحدث مع رئيس الكون، فمن يكون رئيس كوريا الجنوبية؟»

أرسلت هذه الكنيسة ودعمت أربعمائة مبشر لبلدان من بيئات أخرى.

ونحن نرى في أعمال ١٣ أن حركة التبشير لشعوب من حضارات أخرى بدأت بخمسة رجال أتقياء مسؤولين في كنيسة أنطاكيا ركعوا على ركبهم في الصلاة (والصوم) وأتاحوا لله أن يستخدمهم. فكلمهم الله ونفذوا أوامرهم فانطلقت حركة الإرساليات بقوة روح الله.

قوة في المثابرة

في الصيف الماضي وأنا أقوم برحلة أخرى إلى الصين قابلت سيدة مسيحية صينية محببة إلى النفس سأدعوها الأخت «أليس». وقد قضى زوجها القس «ألن يوان» أكثر من ٢١ عاماً في السجن. فتُركت وحدها لترعى أولادهما الستة وحماتها. وأثَّر فيَّ اختبارها تأثيراً عميقاً:

«لما سُجِن زوجي الذي كان قسيساً في إبريل ١٩٥٨ قيل لي إني لن أراه ثانيةً. كان الحمل ثقيلاً، فعندي ستة أولاد أعولهم بالإضافة إلى حماتي. كان قلبي مفعما بالإحباط. فرحت أجادل الله بخصوص حالتي، إذ بدا المستقبل شديد الظلام.

وفي ذات ليلة تحدث معي الله قائلا: «إن هذه الأشياء من عندي!» فقلت له: «إذا كانت من عندك فأرجوك أن تحميني أنا وأسرتي. لا تسمح لي أن أجلب العار على اسمك. أريد أن أتبعك وأمجدك!» فحصلت على سلام في قلبي.

خذلني البشر أما الله لم يتخل عني طوال تلك السنوات الطوال. لكنه امتحني. كان أول امتحان لي في ضغوط الحياة. كنت أتقاضي ٨٠ سنتا فقط في اليوم، فكيف لي ولأسرتي أن نعيش على هذا الدخل الصغير؟ لكن الله أمدنا بما نحتاج كما صنع مع إيليا. لأنه وعد أن يكون راعي ومسدد أعوازي.

لكن حماتي أعلنت في إحدى الليالي أنه لا يوجد طعام في البيت للإفطار. وقررت أن تزور ابنتها في الصباح التالي لتطلب

منها طعاما. سألت الرب في تلك الليلة لماذا لم يدبر طعاما لليوم التالي. فسمعته يقول: «إذا كنت أقدر أن أطعم الطيور فأنا أقدر على إطعامك». نمت ليلتها بسلام.

في الساعة الخامسة وخمس وخمسين دقيقة في صباح اليوم التالي دق الباب. ولما فتحته ألفيت سيدة تقارب الستين لم أكن أعرفها. قالت لي: «هل أنت الأخت أليس؟ لقد كان العثور عليك مهمة شاقة. الروح دفعني إلى أن أعطيك هذه». ثم وضعت لفة على المنضدة وهمت بالرحيل.

سألتها عن اسمها فأجابت: «ليس لي اسم. اشكري الرب فقط!»

دلفت إلى خارج واختفت، ففتحت اللفافة. وكانت هذه تحتوي –بالإضافة إلى بعض أصناف الطعام– على مظروف به ٥٠ دولارا. الله لا يتأخر أبدا. لم تفتنا ولا وجبة واحدة. قالت حماتي: «ليس علي الآن زيارة ابنتي».

وبتتابع الشهور جرت لي اختبارات كثيرة مشابهة، إذ أرسل الناس أموالاً بالبريد بدون كتابة عنوانهم.

أما الامتحان الثاني فكان الضغط السياسي من الحزب. فبسبب القبض على زوجي لرفضه الخضوع لسياسات الحكومة

الصينية الدينية، أعتبرت أنا نفسي مناهضة للثورة، وقيل لي إني لن أرى زوجي مرة ثانية. وانتظمت السلطات على الضغط عليّ لانتقاد معتقداتي الدينية وتطليق زوجي.

كانوا يُخضعوني لست ساعات يومياً من الضغط في جلسات الصراع هذه. إذا لم أكن أعرف الرب، كنت سأهيم بالانتحار. أنا أعرف امرأتين أخريين فقدا عقلهما وانتحرتا تحت وطأة هذه الظروف. أما أنا فحافظت على عقلي بمعونة الرب. كانت خطتي تقوم على إغماض عينيّ والصلاة لأتحمل جلسات الصراع.

وكان الامتحان الثالث في مجال العمل. فبسبب الاتهامات الموجَّهة ضدي لم يُسمَح لي بالعمل في مصنع أو مكتب. فكان يُطلَب مني بعد ست ساعات في جلسات الصراع أن أعمل ثمانية ساعات في الأشغال الشاقة. كنت أجر عربات محمَّلة بطوب البناء والزلط والإسمنت مقابل ٨٠ سنتاً في اليوم. وكانت كل نقلة ثقيلة للغاية.

أرهقني هذا العمل أيّما إرهاق. كنت أصاب بالإجهاد حتى من قبل البدء في العمل. وكان جسدي كله ينضح عرقاً. وكان جر العربات أشق في الشتاء في البرد وفوق الطين المتجمد. وتعيَّن عليّ أحياناً أن أغرف الإسمنت على رأسي وأرفعه في

القصعة إلى الطابق الثاني. بقيت على قيد الحياة بفضل الصلاة المستديمة وطلب العون من الله. وقد رحمني وأيدني بالقوة.

وأما رابع امتحان فكان شهوة الجسد. كان عمري ٣٩ سنة حين أخذ مني زوجي. وحاول مسؤولو الحكومة إقناعي بالتزوج من رجل آخر. وإذا خضعتُ للمسؤولين كانوا سيسمحون لي بالانتقال إلى حي سكني جديد. وكانوا سيغيرون صحيفتي سوابقي ويعطونني سجلاً جديداً ولا أعود إلى نقل الأحمال الثقيلة.

كان الرجال يأتوني بنقود وملبوسات، وأعد أحدهم عريضة طلاق من أجلي. كانوا يدقون بابي بهدوء في منتصف الليل.

كنت أقول لهم: أنا مسيحية. «لا يمكنني الطلاق أو الزواج مرة ثانية». كان الله يحبني كثيراً فمنحني القوة للتغلب على كل هذه الإغراءات بحياة مريحة. كلما صليت كان يدبر ما أحتاجه ... بل وأوفر مما أحتاجه.

أطلِق سراح زوجي بعد ٢١ سنة وثمانية أشهر. إن ٢١ سنة مدة انفصال طويلة، ولكن الله أعاننا على اجتيازها».[٢٠]

إذا كان مبدآ الحرب الروحية هما الكلمة والصلاة، فإن موقف المشتركين في المعركة يجب أن يكون موقف الطاعة الأمينة. لكي نسير

[20] Personal Interview, June 1992.

في الروح على الدوام وننتج ثمار الروح، يجب أن تكون لنا خاصية تسمَّى المثابرة.

يقول الرسول بولس في رومية ٥: ٣ إن التألم هو الذي ينتج المثابرة (الصبر) والمثابرة تكون الشخصية (تزكية). ويشيد يسوع في رؤيا ٣: ١٠ بالكنيسة في فيلادلفيا لأنهم حفظوا وصيته بالصبر على المشقات – أي بالمثابرة. نحن لسنا مدعوين إلى مجرد «التماسك» وعدم صنع شيء، بل أن نعمل بقصد، عالمين علم اليقين أن الله لا يمنَى بهزيمة البتة». [٢١]

يحاول العدو أن يقاوم هذه الخاصية بخلق تعب روحي في المعركة يعقبه خمول روحي – وهو الموقف العام الذي نطلق عليه اليأس!

رمز يوحنا بونيان إلى هذا في «سياحة مسيحي» بالـ «أرض المسحورة» الواقعة قرب نهاية الرحلة حيث يغط السائحون الغافلون في النوم فلا يقومون لإكمال المسير.

عقَّبت أخت ضعيفة الجثمان في الصين وقع عليها اضطهاد شديد بالقول: «**لا يمكن للسفينة أن تتوقف هكذا لمجرد هبوب عاصفة.**

[21]Oswald Chambers, *My Utmost For His Highest* (Grand Rapids MI: Discovery House, 1992), page for February 22.

كل ما عليها هو أن تضمن إبحارها في المسار الصحيح. بدون أوقات كهذه قد لا نعلم كيف نخدم الرب».

بالنسبة لي لا يوجد ما هو أمتع من اعتلاء ظهر سفينة في عرض البحر في طقس جيد. أعز ذكرياتي تعود إلى فترة «مشروع اللؤلؤة» أي توصيل مليون كتاب مقدس صيني في ١٨ يونيو ١٩٨١. لن أنسى أبداً تلاعب الريح الدافئة بلحيتي ورائحة المحيط العذبة وأنا واقف على مقدمة زورق السحب في الصباح الباكر وقت طلوع الشمس على الأفق الشرقي. قادت الدلافين الطريق بمرحها المعتاد بينما تدانت حشود السمك الطيار على سطح المحيط الأزرق العميق الهادئ هدوء المرآة.

كما لم يكن ما هو أرهب لي من ملازمة نفس زورق السحب وسط عاصفة طويلة هوجاء في مكان غير معلوم. لم يوجد مكان نذهب إليه لنجتب آثارها فكانت السفينة تتلاطم مع الأمواج العاتية وتتأرجح بجنون ذات اليمين وذات اليسار. لم يوجد أي مهرب. كل ما كان بوسعنا هو الصلاة وركوب البحر إلى أن تهدأ العاصفة.

والحياة أيضاً هكذا. تشهد الكنيسة المتألمة خلال هذه العواصف الرهيبة بأن كل ما يمكن عمله هو أن تربط نفسك بالدفّة وتتمسك بثقتك في أمانة الله ومحبته الأبدية في يسوع المسيح.

المقطع الوارد في (عبرانيين ١٠: ١٩-٣٩) هو أحد أعظم النصوص التي يمكنك دراستها في هذا الصدد. أما الآية الأساسية بالنسبة لي فهي أية ٣٦:

« لأنكم تحتاجون إلى الصبر [الثابرة]، حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد».

والشيء الشيق الملفت للنظر هو أن هذه الآية ترد في سياق الحديث عن مقاساة الإهانات والاضطهاد والسجن ومصادرة الممتلكات.

كان الزميل «جِف تايلور» يزور راعي كنيسة في كوبا يعاني من مشقات وصعوبات بالغة. وسأله: «مع كل هذه المشاكل، ألا تريد أبداً أن تستسلم لليأس؟» فابتسم القس وقال ببساطة: «**لو لم تكن المعارك لما كانت الانتصارات!**» قال شخص آخر ذات مرة: «ما لا يقتلني، يقويني».

ما كان شعب الصين ليحصل على الكتاب المقدس بلغته في وقت مبكر كهذا لولا هذه الخاصية في حياة المبشرين الروّاد. ترعرع «روبرت مورسون» في منطقة فقيرة جداً في بلدة إسكتلندية صناعية. لم ييأس منه مدرس مدارس الأحد وبعد مثابرة كثيرة من جانب ذلك المدرس صار «مورسون» تابعاً للمسيح وهو في ريعان الشباب.

وواصل سيره ليصبح المبشر البروتستانتي الرائد الذي ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الصينية في أوائل القرن التاسع عشر. لكن هذا لم يحدث دون صعوبات مريرة. فقد استغرق الأمر ستة عشر عاماً في أوضاع عمل مزرية. كان مساعده الصيني «أكو» يحمل سماً لينتحر به عوض تحمل المعاملة التي أيقن أنه سيتلقاها في حالة افتضاح أمره. كانت مكافأة فيما بعد أن كان «أكو» أول من اهتدى على يديه.

فقد روبرت مورسن ابنه ثم زوجته. لكنه تجلّد وثابر. واليوم يمكن زيارة قبره بجوار قبر ابنه وزوجته في المقبرة البروتستانتية القديمة في مكاو – هذا النصب التذكاري الذي يرمز إلى السلسلة المتعددة الحلقات التي تتكون منها ملحمة المثابرة الإلهية.

وهذه السلسلة تستمر اليوم خلال حياة كثيرين من الإخوة والأخوات في الصين.

تجوب «دوروثي آي تشَنج» أنحاء أمريكا الشمالية لتحكي كيف أن العشرين عاماً في معتقل الأشغال الشاقة المريع في الصين حيث أنهكت قواها في جرف السماد البلدي جعلتها صالحة لخدمة السيد.

وهي تعلّق على ذلك الآن فتقول إن أول درس تعلّمته من خبراتـها أن الله يكرم المثابرة. [٢٢]

كتب مؤمن صيني آخر إلى منتج برنامج إذاعـي مسـيحي في هونـج كونج عـن الاضطـهاد الـذي كـان يلقاه ابنـه المراهـق بسـبب إيمانـه المسيحي. وقال معقبّـاً: «قلـت لـه: إن طريـق الصليـب شـاق، ولكـن يجب علينا المثابرة والتجلُّد في هذا الطريق المؤدي إلى الحياة الأبدية». [٢٣]

«أندروز» قس مسن مـن رانجـون في بورمـا –ميانمـار حاليـاً– وهـو صديق لي. أما قلبه فمقبل على الخدمة إقبـالاً منقطـع النظـير. مـاتت ابنته منذ عدة سنوات بسبب إصابتها بفيروس التهاب الكبد. ومـاتت أمها بعدها بشهرين من الحسرة عليها. وبعد ذلك بسـتة أشـهر مـات أحد أبنائه غفلةً. فكانت هذه القشة التي قسمت ظهر البعـير. قـال: «شعرت بما شعر به أيوب، مع الفارق أن أحداً لم يزرني».

سمع عن هذا الموقف عضو فلبيني عامل معنا في بانجوك بتـايلاند اسمه «فِر إنركويز»، فقام برحلة خاصة لزيارة القس أندروز وتشجيعه. فقال له القس: «أشكرك لأنك جئت في أحلك ساعة».

---

[22]Dorothy Ai Chang, 'How God Taught Me Brokenness', Christian Aid Brochure.

[23]Voice, TWR Hong Kong, No. 50, 1993, p. 6.

كنت أزور الأخ «أندروز» بعدها ببضعة أشهر في رانجون، وكان حفدته يلعبون ويتضاحكون حول منزله. وارتسمت الارتسامة على فمه لما شاركني بالدرس الذي لا ينسى. كانت كلماته التي أذكرها بالحرف الواحد: **«كافأني الله على مثابرتي، وشفى قلبي الكسير»**.

في أول زيارة لنا إلى لندن مكثت أنا وعائلتي في منزل مسيحي في بوتني يقدم سريرا مع وجبة الإفطار. كانت السيدة «ويرسلي» تعلق نحاسة على حائط حجرة طعامها ذات طابع ديكوري مهيمن ومضمون مثير للمشاعر جداً حتى أننا درجنا على قراءتها بصوت عالٍ كل صباح ومناقشتها أثناء تناول وجبة الإفطار. هذا نصها:

«أحياناً يهدِّئ الله العاصفة.

وأحياناً يدعها تثور ...

ويهدِّئ ابنه».

✝✝✝✝

يا رب، قد طلبت مني أن أستعين بسلاحك لأقف صامداً في مواجهة المعارك الروحية التي أواجهها كل يوم. سامحني على عدم إتقاني لكلمتك وافتقاري إلى الصلاة. ساعدني أن أثابر بصبر في خدمتك. وشكراً على وعدك بأنه في قوتك يمكنني الانتصار.

نحن لا نذهب إلى الكنيسة؛

إننا نحن الكنيسة!

إرنست ساوثكوت

سر رقم ٦-

مميزات جسد المسيح

يدعو يسوع المسيح أتباعه ليكونوا كنيسة – لا أن يتظاهروا بذلك. وشغفنا به ينبغي أن يتبعه شغف شديد بعائلة الله. ونحن باعتبارنا الكنيسة ينبغي علينا تتميم وظائف الكرازة والتلمذة والشركة والعبادة.

الفصل السادس

مميزات جسد المسيح

جلس دانيال في مقعده وظل يهز رأسه غير مصدق. وهو صيني قد عاد لتوه من أول رحلة شامل له عبر البحار إلى جمهورية الصين الشعبية. والآن وهو في ظل حرية بلاده سنغافورة كان يحاول استيعاب وتوصيل كل الانطباعات والرسائل التي حمل بها.

بدأت بسؤاله: «كيف تلخص ما تعلمته في رحلتك الأولى يا دانيال؟»

فاستمر يهز رأسه ويبتسم. ثم فتح فمه أخيرا وطفق يتكلم.

أجاب ببطء: «غالبا ألخص ذلك بالحديث عن زيارتي لكنيسة منزلية يبلغ عدد أعضائها عدة مئات من المؤمنين كانوا يلقون اضطهادا من أعلى درجة في السنوات الماضية. سألتهم كيف أمكنهم

البقاء على قيد الحياة بل والنمو أيضا في هذه المواقف الفظيعة».

تابع حديثه قائلا: «ردوا علي بسرعة بثلاث نقاط: **أولا، طاعة كلمة الله. ثانيا، الاتصال بالله: أي الصلاة. وثالثا، محبة الإخوة والأخوات**».

في معرض دراستي لقصص حياة المجموعات المسيحية المضطهدة الأخرى والتقارير الواردة عنهم من بلاد عديدة، رأيت وسمعت نفس الاستنتاجات. يأتي شغفنا بالعلاقة مع الله في المقام الأول، ثم ثانيا شغفنا بالعلاقة بالإخوة والأخوات في عائلة الله.

أجرى الدكتور «إفيريت بويس» الذي كان يعمل مبشرا في السبعينيات دراسة شاملة على الكنيسة المقيدة – لاسيما في أسيا. وقد تلقى بيانات لها أهميتها من القس «راوث الابن» الذي أمضى سنوات عديدة مع أسرته كمبشر في فيتنام حتى سقوط سايجون عام ١٩٧٥.

استنتج الدكتور «بويس» من واقع دراسته للكتاب المقدس وشهادة الخبرات العملية للكنيسة المتألمة أنه لا يوجد سوى ثلاثة متطلبات للكنيسة: إيمان شخصي بيسوع المسيح كرب ومخلص، فردان أو

أكثر يشتركون في إيمانهم بالمسيح، التزام بالمسيح ثم ببعضهم البعض.[1]

وحالما توجد كنيسة تكون لها أربع وظائف أساسية فقط: **الكرازة والتلمذة والشركة والعبادة.**[2] هذه البساطة هي التي جعلت من كنيسة يسوع المسيح كائنا حيا ناميا منذ تأسيسه لها. ولا يظهر هذا بوضوح أكثر مما هو الحال في عائلتنا التي نسميها الكنيسة المتألمة. ولا يوجد مكان في العصر الحديث نرى فيه نهضة ونموا للكنيسة بهذا الحد. واعتمادهم ليس على الطقوس الشكلية والطرق التقليدية. عن طريق هذه الوظائف الأربع تستطيع أي جماعة من المؤمنين –أسسها الله– أن تظل حية ومنتصرة، بل وتنمو، في أشد البيئات عداء.

كان يعرف المرحوم «دافد أديناي» مراقب الصين الذائع الصيت بقوله المأثور إن بساطة الكنيسة في الصين تتضح في المحبات الثلاث: محبة يسوع، ومحبة الأخوية، ومحبة الضالين.

يبدو ضروريا في العالم الغربي التنويه بأن «الكنيسة» ليست إشارة إلى مبنى. كم أقدر المسيحيين الإنجيليين في أوكرانيا! هناك يشيرون

---

[1] *More Than Conquerors*, 1979, p. 1.

[2] نفس المصدر السابق، ص ٥.

إلى بيوت العبادة بعبارة «**بيت الصلاة**» وليس الكنيسة. أما في كوبا فيطلقون على بيوت العبادة «**هيكل**». أولئك المؤمنون على دراية أكبر منا بأن الكنيسة تتألف من أشخاص فقط - لا من المباني التي يجتمعون فيها. وقد تقع مشاكل خطيرة إذا كانت هذه الفكرة مشوشة في أذهان المسيحيين.

قبل سقوط سايجون ظن بعض قادة الكنيسة الفيتنامية أن نقص المعونات المالية لإنشاء كنائس ومجمعات بنائية هو السبب نمو المسيحية البطيء هناك. سمعت هذه المحادثة في إحدى المناسبات بطريق الصدفة:

سأل المراقب: «هل عندكم شيوعيون في ناحيتكم من البلاد؟»

أجاب قائد الكنيسة: «بكل تأكيد. إنهم موجودون».

فسأله: «هل هم يزدادون في العدد والنفوذ؟»

تردد القائد برهة ثم اعترف بحزن: «نعم، هم يتزايدون بسرعة رهيبة».

استأنف المراقب أسئلته: «هل يمكن أن تريني أماكن اجتماعهم ومدارسهم أو تعرفني على قادتهم؟»

قال القائد باشمئزاز: «بالطبع لا. إذا عُرِفوا يُلقَى القبض عليهم».

فسأل المراقب باندهاش: «هل تعني أنهم سريون، لا مباني لهم أو ممتلكات، ومع ذلك يتزايدون في العدد؟»

أجاب القائد: «نعم، يمكنك أن تقول هذا».

«إذاً لابد أن نفوذهم المتزايد لا يعتمد على مثل هذه الأشياء. فإذا كانوا مخطئين في معتقداتهم ولا يزالون يتزايدون بدون أموال ومبانٍ، فلماذا تعتقد أن كنيسة يسوع المسيح تحتاج إليها؟» [٣]

تعلّم الفيتناميون الدرس بسرعة. فاليوم تنمو حركة الكنائس المنزلية في فيتنام بسرعة تضارع شقيقتها في الصين المجاورة لها.

ومن الشيق أن الكنيسة الأولى لم يكن لها أي من هذه الأشياء ومع ذلك فتنت المسكونة (أو قلبت العالم رأساً على عقب) بحسب أع ١٧: ٦.

يقول القس الصيني «ألن يوان» لزواره: «إذا شئتم أن تعرفوا كيف تؤسسون كنيسة، فعليكم بقراءة سفر الأعمال مائة مرة!»

---

[٣] نفس المصدر السابق، ص ٦.

الكرازة

جلس ثمانية رجال في غرفة صغيرة خافتة النور في بيت ريفي بإحدى قرى الصين. سبعة منهم كانوا قسسا وكانت أعينهم مثبتة على الكتاب المقدس الذي في يد الرجل الثامن. وهو كتاب مقدس ذو غلاف جلدي وسوستة (جرار) وحافة مذهبة.

أدرك الباحث «جون» فجأة أن الرجال السبعة كانوا يحملقون في كتابه المقدس بكل تركيز. ثم استجمع أحدهم الشجاعة الكافية ليقول: «ما أجمله من كتاب مقدس! هل لي أن أتأمله للحظة؟»

رد جون: «طبعا». ثم تداولوا الكتاب المقدس بين أيديهم بعناية وحرص فائق كأنهم مصنوع من قشر البيض. وسألوا كم ثمنه. واكدرت وجوههم إذ علموا أنه يكلف ما يوازي عشرين دولارا أمريكيا.

فخطرت على بال جون فكرة ملهمة. قرر أن يجعل من هذا المشروع خدمة شخصية له. هذا بأن يكون مؤهل الحصول على هذه الكتب المقدسة الصينية عاليا جدا ليتحمس هؤلاء القادة لتحقيق إنجاز أعظم. وفي نفس الوقت يجب أن يضمن أنه لن يضطر إلى تسليم عدد كبير.

قال لهم: «لو استخدم الله أحدكم بقوة، أحضـرت لـه واحـدا مـن هذه الكتب؟»

فسأله القسس بشغف: «ماذا تعني بقولك استخدم بقوة؟»

فكر جون بسرعة خاطفة وقال: «أولئك الذين قادوا على الأقل ١٠ آلاف شخص إلى الرب وتلمذوا ١٠ آلاف آخرين».

ولدهشته انفجر القسس في الضحك. قالوا: «هيـه، إن هـذا أسـهل مما توقعنا. خمسة منا هنا مؤهلون للحصول على كتـابك المقـدس ذي السوستة والحافة المذهبة، ونعرف عشرة آخرين أيضا».

ضحك جون ضحكة حبيسـة بعـد رحلتـه وقـال: «قـد أفلسـوني». لكنه أضاف بأكثر جدية: «أنـا أعمـل مـع قـادة الكنـائس المنزليـة في الصين منذ أعوام كثـيرة. لكـن شـيئا واحـدا لا يتغـير ... أنـي دائمـا أفاجأ في كل زيارة بالمعدل السريع الذي تنمو به الكنيسة». [٤]

الكـرازة هـي الامتـداد الطبيعـي لجسـد مـن المؤمنـين يحبـون الله وبعضهم البعض. والكرازة بالنسبة لمعظم المؤمنين هي العـامل الوحيـد

[4] 'Gold-Edged Bible, With a Zipper', *Newsbrief,* Vol. 3, Issue 3, March 1988, pp. 1-2.

الكفيل بأن يزيد الاضطهاد أو الضغوط الواقعة عليهم. مع ذلك هم يخترعون أساليب عبقرية للحديث عن المسيح على الرغم من قيودهم.

ابتكرت العمة إستر العجوز في الصين أسلوبا مفضلا للشهادة. فهي تقطع تذكرة في أوتوبيس محلي وتركبه من الموقف، لتضمن حصولها على مقعد. وأثناء تنقل الأوتوبيس في المدينة يزدحم بالركاب. فتقرأ العمة إستر قصصا من الكتاب المقدس عن يسوع، ولو أظهر أحد اهتماما تسلمه قصاصة ورقية عليها عنوانها ودعوة منها للمجيء إلى دارها والتحدث معها.

لا تخشى العمة إستر السلطات التي كانت تعامل مثل هذا النشاط بقسوة. يقال عنها كثيرا إنها تقول: «في سني هذه وبعد ما قاسيته، ماذا يمكنهم أن يفعلوا لي الآن أكثر مما فعلوا؟» أخبرتني في إحدى زياراتي إن تخطيطها للكرازة الشخصية ساعد عشرات من الناس على الوصول للمسيح، كان منهم أفراد في مراتب عالية في الحكومة الصينية ودوائر الإعلام. وهي أيضا مستعدة للتلمذة التي تعقب ذلك.

يروي «طوني لامبرت» أنه لاحظ الشهادة العلنية للرب الملفتة للنظر في قلب العاصمة الصينية – في ميدان تيانانمن في مايو ١٩٨٩:

«لكن حينئذ سمعت لحنا جديدا: صوت جوقة ترتل. وسط

خضم الرايات التي تلوح أمام قاعة الشعب العظمى ارتفعت إشارة الصليب عاليا. كانت الرموز الصينية في الراية البيضاء المثبت بها صليب أحمر تقول: «هكذا أحب الله العالم». فاندفعت وسط الحشد لأتحرى الأمر، وألفيت عشرين طالبا مسيحيا متحلقين حول الراية. كان قائدهم يحمل صليبا خشبيا. ثم رنموا بحماسة: «أنا جندي، جندي في جيش الله». وفي زحمة المتفرجين الذي تجمعوا شاهرين أجهزة التسجيل لالتقاط ما يمكن تسجيله، شرعوا يرنمون: «صخر الأدهار». فانضممت إليهم في النشيد». [5]

بعدها بأسبوعين مات آلاف من الطلبة الذين تظاهروا في الميدان – من ضمنهم بعض هؤلاء المسيحيين.

في فيتنام بلد الجوار أخذت أم مسيحية شابة تعمل في حركة الكنائس المنزلية إلى قسم الشرطة ليلا للتحقيق معها. وكان زوجها مسجونا بسبب الكرازة. فلما صلت أيدها الله بجرأة وإقدام جديد. قالت لمضطهديها: «إذا أوقفتم إخوتي عن المناداة بالكلمة، فسينادي بها آخرون بدلا منهم. وإذا أرسلتموهم إلى السجن، فسينادون بها

[5] Tony Lambert, *The Resurrection of Chinese Church,* (London: Hodder & Stoughton, 1991) p. 6.

هناك. إننا لن نتوقف حتى ينال الـ ٦٨ مليون فيتنامي الخلاص».[٦]

قال لي راعـي الكنيسـة المنزليـة الفيتنـامي «آي»: «**الله يعطـي كـل واحد أسلوبا خاصا به ليشهد له**». يقـود عضـو في كنيسـته أوتوبيسـا ويتكفل بمسؤوليته في أعطال نهاية الأسبوع. ويمكنه كسـائق للحافلـة أن يحصل على تصريح بقيادته إلى البلاج في أيام الآحاد في نزهة مـع أفراد آخرين في الحي. وطبعا هو يدعو جيرانه غير المخلصين.

تستغرق الرحلة أكثر من سـاعتين، وفي الطريـق إلى هنـاك يسـتغل القس «آي» الفرصة ويحكي عن الإنجيل للحـاضرين. وهـو يقـول إنـه بوصولهم إلى الشاطئ يزداد عـدد المرشـحين للمعموديـة بالمـاء. ويقـدر القس أن أكثر من ٥٠٠ مواطن أتوا للرب بواسطة هذا الأسلوب المبتكر.

يروي الزميل «هكتور تاميز» كثيرا اختبـار «مـانويل» في بـيرو. كـان مانويل هذا كارزا مؤثرا بين أهـل الجبـال مـن الكويتشـيوا. وفي أحـد الأيام استوقفته عصابات الطريق المشرق (الحزب الشيوعي) في الطريق وأمـروه بـالكف عـن الذهـاب إلى الجبـال وتوزيـع الكتـب المقدسـة

---

[6] David Wang, 'Witnessing - Nothing Can Stop Us!', *Decision*, October 1992, p. 12.

والأشرطة والمطبوعات المسيحية الأخرى، وبالتوقف عن الكرازة بيسوع. وهددوه بالقتل.

بعدها ببضعة أسابيع وجدت جثة مانويل على الطريق، بعد أن فصلوا عنها قدميه ولسانه ويديه. وحفروا بالسكين على صدره وبطنه هذه الرسالة: «قد أمرناك بالكف!» أما باقي الرسالة فكانت مكتوبة على أطراف جسده المقطوعة - «...عن زيارة القرى وتوزيع الكتب المقدسة والكرازة بيسوع!»

لكن في خدمة تشييع جثمانه كرس ٢٥ شابا أنفسهم لاتخاذ مكان مانويل. فقام رجل عجوز حكيم بسؤال هؤلاء الشباب المثاليين إذا كانوا مستعدين لملاقاة نفس المصير الذي لاقاه مانويل. فصاح أحد الشباب: «إذا متنا، سيقوم ألف غيرنا ليحلوا محلنا!»

السودان من إحدى الدول الإفريقية التي يضطهد فيها المسيحيون بدون علم الغرب. مات كثيرون من المسيحيين من أجل إيمانهم هناك - على الصليب أحيانا. كان الباحث «ويبو» يزور السودان واندهش لسماعه التحية التي يتبادلها المسيحيون. فبعد السؤالين الأولين العاديين عن صحة الآخر وعائلته، كان السؤال الثالث: «كم عدد الذين قدتهم للمسيح في الأسبوعين الماضيين؟» ولأن الإجابة كانت

إيجابية كل مرة، كان السؤال الرابع يقول: «ما الذي ستصنعه لتلمذتهم؟» وكان السؤال الخامس مجرد نتيجة منطقية: «كم عدد الذين قادوهم هم أنفسهم للمسيح؟»

صادف زملاء لنا يعملون في الصين كنيسة منزلية نمت حتى وصلت إلى ١٥ ألف مؤمن جديد في النصف الأول من عام ١٩٩٤. وحكوا أيضا عن أخت صينية سجنت مع ٤ آلاف نزيلة أخرى. وبعد وقت قصير زاد عدد المؤمنات الجديدات إلى ٥٠٠ مؤمنة. مرضت زوجة قس صيني مرضا ألزمها الفراش. ولكنها فرحت لأنها قادت نفوسا للمسيح في أربعة أشهر وهي طريحة الفراش أكثر من خدمتها التي دامت أربعين عاما.

أما القصة الصينية الأجدر بالملاحظة فتحكي عن سيدة مسيحية في السجن أثناء «حملة التلوث ضد الروحانية» التي قامت في أواسط الثمانينات. أمضت تلك السيدة وقتها في حفر آيات كتابية بيدها بأحرف صغيرة جدا على الجدران، بل وعلى إطار السرير في زنزانتها. بعد ذلك بسنوات قابلت فعلا شخصا آخر أمضى وقتا في نفس الزنزانة وجاء للمسيح من خلال قراءة تلك الآيات بدءا على عود.

منذ صيفين أثناء زيارتي للمسيحيين في شمال الصين، سألت عن

مكان العمة «مايبل». فقيل لي إن تلك الطبيبة البشرية التي في العقد التاسع في رحلة تبشيرية إلى بلاد التبت الفقيرة روحيا. أما في الصيف الماضي فكانت في البيت وأرادت بكل شغف أن تسمع أخبار مجموعتنا التي ذهبت إلى التبت – سقف العالم – حيث أنها كانت تعد العدة لرحلة تبشيرية أخرى في القريب العاجل. كان تعليقها: **«يسوع يقول: أسرعوا بتنفيذ المهمة، فأقدر أن أعود سريعا!»**.[٧]

يذكر «طوني لامبرت» أنه قابل مجموعة من المسيحيين الصينيين في شنغهاي عام ١٩٩٠، وقد كانوا بدأوا بالفعل تدريب شبان مسيحيين على الكرازة للعالم.[٨] وهم جميعا يشعرون بالتفاؤل والثقة بأن الله سيستجيب صلواتهم سريعا كما هو مبين في (مزمور ٦٧: ٢):

«لكي يعرف في الأرض طريقك، وفي كل الأمم خلاصك».

وصلني الآن وأنا أكتب تقرير عن زيارة وفد الكونجرس الأمريكي للصين الذي كان يرأسه عضو الكونجرس «كرس سميث» الذي من نيو

---

[٧] انظر متى ٢٤: ١٤.

[8]Tony Lambert, p. 269.

جرسي. مع أن الرحلة كانت لأغراض سياسية، انبهر أعضاؤها بالرسائل الروحية التي تلقوها - كان إصحاح جديد من سفر الأعمال يكتب في أرجاء الصين.

تحكي «كارن فيفر» في تقريرها عن الرحلة عن تأثير امرأة مسيحية أفرج عنها للمرة الثانية من السجن:

«أثناء حبسها الذي طال ١١٠ يوما علقت بالمقلوب وضربت بأسلاك كهربائية ... قالت مثل شهداء الكنيسة الأولى إن حضور الله كان ملموسا جدا أثناء التعذيب، لدرجة أنها -في الحقيقة- شعرت بالفرحة. قالت: «من أجل هذه البلايا أحببنا نفوس الصين أكثر. وصلينا لمن كانوا يعذبوننا»...

شرحت إحدى الشابات: «نظرا لأن اللوائح المحلية ضد كلمة الله، تجاهلناها ودأبنا على السفر في مجموعات مكونة من عشرة أو عشرين فردا نكرز بالإنجيل منذ أوائل الثمانينات. **ما من سبيل لبقاء الكنيسة حية سوى الكرازة**». ليس من عادة أعضاء الكونجرس أن يدونوا ملحوظاتهم بأنفسهم، لكن كرس سميث التقط قلما ليسجل بنفسه صيحة حربهم اليومية: «نخرج للكرازة بالإنجيل، مستعدين

لدخول السجن، ومستعدين للموت من أجل يسوع المسيح»...

وصف قائد لكنيسة منزلية الجوع الروحي العظيم بين الشباب الذي أعقب أحداث ميدان تيانانمن. أخبرنا رجل أعمال مسيحي شاب عن اقتياده ٧٠ ٪ من العاملين لديه إلى المسيح في غضون شهور. وحكت النساء أن ٤٠ ألف نفس أتت للمسيح مؤخرا خلال شهر من «الكرازة بالإنجيل».

وطلبن أيضا أن نصلي من أجل الحرية ليستطعن السفر علنا للكرازة بالإنجيل في أنحاء الصين وأمريكا ثم «طول الطريق إلى أورشليم لإنهاء المهمة». [٩]

يلخص كيفا سمبانجي الأوغندي الأمر تلخيصا جيدا فيقول:

> «بدأنا نفهم أن الكرازة ليست برامج أو أنماط، بل أسلوب حياة ينبني على الخضوع وخدمة الآخرين». [١٠]

---

[9] Karen M. Feaver, 'Chinese Lessons', *Christianity Today,* May 16, 1994, p. 34.

[10] F. Kefa Sempangi with Barbara R. Thompson, *A Distant Grief* (Glendale, CA: Regal Books, 1979), p. 44.

التلمذة

كان الكلام يتدفق من فم «نورا» في آن واحد ولم أكد أفهمها. كانت عيناها الاسكندنافيتان الزرقاوان واسعتين وترقصان من الإثارة مثل حديثها.

اندفعت في الحديث فقالت: «لا يمكن أبداً أن تخمن ما حدث!».

«نورا، الآن وقت الغداء. فهلمي نذهب إلى مطعم المكرونة على الناحية المقابلة ويمكنك هناك أن تسردي عليّ القصة كاملةً».

فاتجهنا صوب المطعم الذي على الناصية في حرارة سنغافورة الخانقة. وهناك جلسنا على كراسي صغيرة وأمسكنا بعيدان الأكل في أيادينا، وعشنا الابتهاج والفرح الذي اختبرته نورا في أول رحلة لها إلى الصين كمرسال.

واصلت حديثها قائلة: «استطعت الرجوع إلى قاطرة المقاعد الصلبة في القطار، وقابلت فتاة مسيحية صينية تتحدث الإنجليزية».

كادت نورا تنفجر من الإثارة وهي تسرد كيف انهما سوياً صرفا الليل بطوله في الشهادة إلى شبان مسيحيين آخرين في القطار. ولما وصل القطار كان عدد أعضاء ملكوت الله قد زاد اثنين.

ذهبت مباشرة إلى منزل العمة إستر حيث كان عليها أن تترك حمولة الكتب المقدسة الصينية التي أعانها الله على إدخالها بنجاح عبر الجمارك.

رحبت بها العمة إستر شديدة الصغر بابتسامتها الكبيرة وعبارة «مجدا للرب!» وكانت منفعلة هي الأخرى لاسيما أن بصرها وقع على حقيبة الكتب المقدسة الكبيرة، نظرا لأن مخزونها قد نفد مؤخرا.

قالت لنورا: «أرجوك ألا تؤاخذيني. لأني أتلمذ شابة قبلت الرب منذ بضعة أيام. وهي تعمل في جريدة بكين اليومية ولا تمتلك كتاباً مقدساً. الآن يمكنني أن أعطيها واحداً من الكتب التي أحضرتيها».

كانت نورا فرحة أن تنتظر رغم أن انتظارها طال قرب الساعة. ثم صرفت وقتاً في الصلاة والشركة مع هذه القديسة الصينية المسنة التي تمتلك نبعاً لا ينضب من الفرح. أبلغتها العمة إستر أن مخزون الكتب المقدسة لديها استنفذ بسرعة بسبب الإقبال الشديد على كلمة الله. وكانت لديها دائماً أسماء مسيحيين في «قائمة الانتظار».

حيث أن اليوم التالي كان يوم الأحد، سألت نورا عن الطريق المؤدي إلى كنيسة الثلاثة البروتستانتية المستقلة في المدينة حيث

يمكنها مشاهدة خدمة عبادة صينية.

حضرت مع نورا رفيقة سفرها بالقطار لتترجم لهـا مـا اتضـح أنـه رسالة كرازية وكتابية جدا. بعد العظة تقدم ثلاثة أشخاص من المنـبر للصلاة. ولما تأهبت نورا ورفيقتها للمغادرة، تقدم إليها فـوج سـياحي أسترالي بمشكلة.

فبدأوا يقولـون: «سمعنـا أن الحاجـة ماسـة في الصـين إلى الكتـب المقدسـة، فذهبنـا إلى دار الكتـاب المقـدس في أسـتراليا وابتعنـا مـلء حقيبة. لكن لما أتينا إلى هذه الكنيسة اليوم، أخبرنـا أحـد القساوسـة أنهم لم يعودوا بحاجة إلى كتب هنا. فهم يطبعـون كتبـهم بأنفسـهم. ولم يقبلوا هديتنا! هل تعلمين ماذا يمكن أن نصنعه بهذه الكتب؟»

تبسمت نورا ابتسامة عريضة وهي تمسح قطرات العـرق مـن علـى خدها، وأكملت مضغ المكرونة التي في فمها واستأنفت الحديث.

قالت والبسمة تشرق من وجهها: «سررت بإنقاذهم مـن ورطتـهم، ووضعت الحقيبة على كتفي وهممت بالرحيل.

ولكن في تلك اللحظة عاد الأشخاص الثلاثة الذين كانوا يصلون في المقدمة وكانوا يمشون في الطرقة بين المقاعد. ولدهشتي كـانت أحدهـم

العمة إستر والأخرى المؤمنة الجديدة التي كانت تتلمذها في اليوم السابق».

جرت العمة إستر صوب نورا وأخبرتها بانفعال أن الشخص الثالث كان خطيب الشابة وأنه قد صلى لتوه صلاة التوبة عند المذبح وسلم حياته ليسوع. ثم تغيرت ملامح وجهها من الإشراق إلى العبوس.

«لكني قد وزعت كل الكتب المقدسة التي أحضرتيها ليلة أمس. ولم يبق عندي ما أعطيه لهذا الشاب».

وضعت نورا يد العمة إستر على حقيبتها المكتظة وقالت: «لقد دبر الله الأمر – ثانية!»

ذكرني المسيحيون في الصين كثيرا بأن مأمورية يسوع العظمى كانت **صنع التلاميذ**. [التلميذ هو شخص يتعلم]. وهو يشعرون أن المسيحيين الغربيين قد حرفوا متى ٢٨ : ١٨ وجعلوها تقول: «اذهبوا إلى العالم **أجمع واصنعوا مؤمنين...**»

العنصر الأساسي في تلمذة المؤمن الجديد هو الكتاب المقدس. فبدون كلمة الله صاحبة السلطة على أي أساس تتعلم وبأي منهج تدرس وتدرب؟ المجموعة التي قابلها دانيال في الصين (في بداية هذا الفصل) تلمذوا أنفسهم بحفظهم إصحاحا كل أسبوع كجسد واحد.

من أجل هذا تشدد الأبواب المفتوحة على توصيل كلمة الله إلى أولئك المستبعدين عنها. ومع أن الأبواب المفتوحة تشترك في التشجيع والتدريب العملي على القيادة، صار توصيل الكتب المقدسة أكبر عمل تعرف به. من المذهل -حتى بعد سقوط الستار الحديدي- أن نعلم بوجود أماكن كثيرة لا يمتلك فيها إخوتنا وأخواتنا نسخا كافية من الكتاب المقدس أو حتى أجزاء منه. ومن الشيق أن الكنيسة في نفس تلك الأماكن تنمو بأعلى معدل.

ومما له مغزى كبير أن جسد المسيح في هذه المناطق يعرف بفلسفته القائلة: «كل بيت كنيسة». **حين يبتعد التركيز عن المبنى -سواء بالجبر أو طوعا- ترتكز حياة الشخص الروحية على الأسرة وتدور حولها.** حيث أن الاجتماعات يجب أن تقام في البيوت بشكل عام، يصير رأس البيت مسؤولا عن العناية الروحية بالأفراد المجتمعين تحت سقفه ونموهم. أحيانا يكون هؤلاء الأفراد عائلته الموسعة. الأسرة هي بحق صورة مصغرة للكنيسة الجامعة.

يبدو أن الشيطان يهاجم أبناء الأسر المسيحية في هذه المناطق هجوما خاصا. أنا متأثر جدا بوالدين مسيحيين في الاتحاد السوفيتي السابق كانا يقضيان أياما كاملة كل أسبوع في الصلاة والصوم من أجل

خلاص أبنائهم ونموهم الروحي. وأتحمس أيضا لأنه في نهاية الخدمات التي أحضرها في «بيت للصلاة» يذكر القس العابدين مرارا كثيرة بقوله: «تذكروا أن تصلوا من أجل أولادنا».

نمت حركة الكنائس المنزلية في الصين كرد فعل للضغط الشديد الذي مارسته السلطات عبر السنين على الكنائس النظامية. يجمع أكثرية محللي الكنيسة الصينية على أن هذا التطور هو السبب الرئيسي لبقائها ونموها. فقد ولد مرونة ونقاوة تحدت تقاليدنا المتبعة.

ذكرت سلفا والتر راوث الابن، الذي كان مرسلا أمريكيا إلى فيتنام الجنوبية قبل سقوط سايجون عام ١٩٧٥. تنبأ والتر قبل انهيار النظام الحاكم في الجنوب بعدة سنوات أن الأمر لا محالة آيل إلى ذلك. لذلك ركز كل جهوده على تأسيس وتنمية كنائس منزلية (يفضل البعض دعوتها «مجموعات خلوية» Cell Groups). وبعد إجباره على الرحيل، راقب هذه الكنائس المنزلية الفيتنامية من الفلبين وتشجع للغاية لما سمع بقوتهم ونموهم وبقائهم مدة طويلة تحت ضغوط النظام الشيوعي.

كان القضاء على المؤسسة الكنسية عاملا محررا في الواقع في البلدان المغلقة. سمعت قادة الكنائس المنزلية في الصين وفيتنام وكوبا

يسردون كيف أن أحداثا معصرة في مجموعتهم أضافت إصحاحا آخر لسفر الأعمال.

بل إن بعضهم يتبنى نظاما جماعيا للحياة مبنيا على نموذج الكنيسة في سفر الأعمال، القائم على المشاركة في كل شيء – بالذات في ظل الحكم الشيوعي. الجماعة المسيحية في تشيجويفكا في أقصى شرقي روسيا من أنصع الأمثلة على أن أي فكرة جيدة خطرت على بال كارل ماركس لا يمكن ممارستها إلا بأسلوب حياة مسيحي حقيقي:

> «مع ذلك لم يروج أفراد الجماعة لأسلوب معيشتهم. وكما هو الحال في أواسط أسيا، امتنعوا عن فرض أفكارهم عن المعيشة الجماعية مثلما فعل المسيحيون الأوائل. كانوا دائما يرحبون بمحبي الاستطلاع الذين انضموا إليهم إلى حين. بعضهم انضم وبقي، لكن معظمهم وجدوا صعوبة في تغيير أسلوب حياتهم بهذا القدر.
>
> لكن الانضمام لم يكن إجباريا على أحد، كما دأب الخمسينيون في تشيجويفكا على القول: الحياة بطريقتنا ليست هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تكون بها مسيحيا. الله أوسع بكثير من الحياة التي يمكننا أن نعيشها...

قال نكولاي فنس: إذا ناديت بالإنجيل وكونت جماعة، لابد أن تستطيع القول: تعالوا وانظروا كيف يعيش المسيحيون. هذه هي أقوى نصيحة. هدفنا الأول هو تقوية المسيحيين الأفراد وإعانتهم ليكونوا قدوة حسنة في بيئتهم. كن نورا أنت أولا، ثم ساعد الغير ليكونوا نورا، وبعد ذلك ينجذب آخرون ويتحولون نحو الله هم أيضا». [١١]

أنا لا أحاول عرض قضية للقضاء على الكنيسة النظامية. فأنا نفسي من أبنائها وأنصارها. لكن هناك فوائد وميزات معينة علينا تأملها في الكنائس ومجموعات الشركة المنزلية – لاسيما في مجال تلمذة أتباع يسوع. لابد أن نجد توازنا كتابيا.

الشركة

نظر «رينيه» بحذر في الاتجاهين وهو ينعطف مع ناصية الشارع. لم يبد أن أحدا كان يراقب. مسح العرق عن جبينه ونظر إلى ساعته، فألفى أنه حضر قبل الموعد بخمسة دقائق. فسار الهوينى حول المربع السكني مرة ثانية ليصل إلى البوابة الكبرى في تمام السابعة وأربعة

[11] Peter de Bruijne, *Siberian Miracle* (London: Witney, Oxon, UK: 1993), p. 8.

عشر دقيقة. رن الجرس ثلاث مرات: رنة قصيرة ... ثم طويلة ... ثم قصيرة. كانت هذه الشفرة الجديدة التي تدل على أنه أخ مؤمن. انفتحت البوابة ثم انغلق في الحال بعدما انسل رينيه إلى الداخل. وفي غضون ساعات تجمع سرا في القبو عدة مئات من المؤمنين للشركة.

جلس رينيه في هدوء بانتظار الآخرين. وابتسم بسمة الرضا لما تفحصت عيناه تشكيلة الآلات الموسيقية على حواملها بجوار جهاز الطبل. ومن خلال أحد الأبواب تمكن من رؤية المكتبة الضخمة التي تحوي كتبا وأشرطة مسيحية. وفي الركن القصيّ لاحظ إضافة جديدة – آلة نسخ فوتوغرافي. كان مكانها بجوار مسجل الأشرطة عالي السرعة المستعمل كثيرا. وفي كل موضع كان ينظر أدلة إضافية على عزل الصوت.

فتذكر ما قرأه في مجلة عن مجموعة صغيرة في الصين تجتمع أسبوعيا في الجزء الخلفي من متجر ما للعبادة معا في زمن الثورة الثقافية المشينة. وحيث أنه كان يسهل لأي شخص يدخل المتجر أن يسمع المؤمنين، كانوا «يرنمون» الترانيم معا بدون كلمات أو موسيقى. كان أحدهم يهمس باسم الترنيمة فيحركون شفاههم ويفكرون في الكلمات والموسيقى.

فنبت منه ضحكة خافتة مسموعة. تذكر قول القس «وولي»: «نحـــن كنيسة مختبئة مثل المؤمنين الذين وراء الستار الخيزراني، مــع فـارق أنه يمكننا التسبيح بأعلى صوت لأن المكـان مـزود بعـازل للصـوت. لا يمكن حتى لأقرب جيراننا أن يسترقوا السمع إلينا». [١٢]

هذا وصف لكنيسة في عاصمة من بـلاد الجزيـرة، الـتي لم توجـد فيها كنيسة مدة أربعة عشر قرنا. مع ذلك يجتمع مؤمنون كثـيرون في السر ويعرضون أنفسهم للخطر في جميع أنحاء البلاد.

في الحقيقة إن المسيحيين في كثير من كنائس العالم اليوم يخاطرون مخاطرات متعمدة بالاجتماع سرا بغرض الشركة. كان عنـوان إحـدى المقـالات الحديثـــة في جريـــدة *Toronto Star* «**علـــى المســيحيين في الصومال أن يتعبدوا في السر**». استشـهدت المقالـة بمصـدر قـال: «إن مجاهرتك بكونك مسيحيا اليوم سبب كاف لقتلك هنا». [١٣]

إن السر الذي يدفع المسيحيين لاتخاذ هذه المخاطرة يكمن في كلمة

---

[12] Oswald Magdangal, *Arrested in the Kingdom* (Witney, Oxon, UK: 1993)p. 8.

[13] Paul Watson, 'Christians in Somalia must worship in Secret', *The Toronto Star*, Dec. 24, 1993 p. A16.

التشجيع. يدل عبرانيين ١٠: ٢٥ على أنه يوجد سبب هام للاجتماع المنتظم معا يتخطى جانب العبادة الجماعية؛ أي تشجيع بعضنا البعض. وعلينا أن نكثر من هذا كلما اقترب مجيء الرب.

يستخدم البعض لفظ «الخدمة» كمرادف معاصر للتعبير عن هذه الفكرة. لأن الخدمة هي التجاوب بسخاء مع احتياجات الناس – مما يشجعهم. لكن التشجيع له معنى إضافي دقيق لا يدرك يفوق فكرة ودافع خدمة الآخرين.

أثناء الأوقات العصيبة في رومانيا استدعي مؤمن شاب إلى مقر البوليس السري للتحقيق معه. وكان يرهب هذه اللحظة. تملكه الخوف طوال الوقت ولم يستطع إعطاءهم إجابة مطلقة برفض إغراءات البوليس بالأمن والحظوة إن هو بلغ عن إخوته المؤمنين.

لم يقبل العرض ولكن عدم قدرته على رفضه كلية سبب له حزنا شخصيا. لم يقدر أن ينام ليلتها بسبب ارتعاده من الخوف والذنب.

في الصباح التالي جاء مسيحي أكبر يزور العائلة منقادا بروح الله، ولم يكن يدري بمأزق الشاب. ولكن لكونه هو نفسه سجينا سابقا من أجل الإيمان، استطاع أن يميز ويقدم النصيحة من الكتاب للشاب.

ثم بنى الشاب بالشركة ودربه على ما سيقوله في التحقيـق التـالي. وهو ما حدث في عصر اليوم التالي. كان الشاب متضايقـا مـن إجاباتـه المرة التالية، لكن المسيحي الأكبر جاء ليشجعه.

مرت ثلاثـة أيـام علـى هـذا النحـو، وأخـيرا اسـتطاع الشـاب أن يرفض عروض الشرطة نهائيا، فأخلوا سبيله. أعانه التميـيز والنصـح والصلاة والعناية المتأنية على اجتياز المحنة وأدبه في البر. [١٤]

والتشجيع – مثل الشركة– يستلزم وقتا يقضيـه الأفـراد معـا. إنـه بـث الشجاعة أو الروح أو الأمل من جديد في الآخريـن. ولابـد أن يعـترف كل واحد منا في تواضع بأننا نحتاج إلى جرعات ضخمة منه بانتظام.

يبين «تشوك سوندل» أن أصل كلمة تشجيع في عبرانيين ١٠: ٢٥ هـو نفسه المستعمل في وصف الروح القدس في يوحنا ١٤ و١٦. ويعقب:

> «في الحقيقة، حين نشجع الغير ندنو من عمل الروح القدس أكثر من أي شيء آخر يمكن أن نعمله في عائلة الله». [١٥]

---

[14] *Victory In The Battle,* Seminar, p. IV-3.

[15] Charles R. Swindoll, 'Strengthening Your Grip On Encouragement', *New Wine,* May 1984, p.24.

ويعلق أستاذ اللغة اليونانية «وليام باركلي» أيضا قائلا:

> «واجب التشجيع من أسمى الواجبات الإنسانية... من السهل تثبيط عزائم الغير وتكسير مجاديفهم، وما أسهل إحباطهم. العالم مليء بالمحبطين. أما نحن فعلينا واجب مسيحي يقضي بتشجيع بعضنا البعض. وكم من مرة ساعدت كلمة مديح أو شكر أو تقدير في وقوف رجل على قدميه». [١٦]

إذا فإن هذه الشركة المسيحية بين الإخوة والأخوات تتخذ طابع التشجيع. ولكنها أيضا تشتمل على علاقات حميمة. كنت دائما منبهرا باتخاذ يسوع اثني عشر فقط من أتباعه ليكونوا «معه». وكوننا معه يشتمل على منحه وقتنا ومشاعرنا واهتماماتنا ورغباتنا.

تعلم الأخ أندرو في مقتبل خدمته أهمية التشجيع حينما مارس الشركة المسيحية مع مسيحيين من بلدان شرق أوروبا المغلقة. قالوا له: «يا أندرو، إن مجرد وجودك هنا يساوي عشرًا من أفضل عظاتك!» واليوم يتلقى أندرو نفس التعليق وهو يسافر في أنحاء العالم الأممي. بل وإنه يعرف العمل العام للأبواب المفتوحة بأنه تشجيع –

---

[16] Charles R. Swindoll, *Strengthening Your Grip* (Wacon, TX: Word, 1982), p.48.

وهذا يتم التوسع فيه بالعودة مرة أخرى لمزيد من الشركة وتوصيل المواد المطلوبة أو المساعدة على التدريب.

زار بعض مراسيل الأبواب المفتوحة قسا في جنوبي فيتنام. ولما لم يكونوا يتحدثون الفيتنامية ارتاب في أمرهم جدا. ففعلوا ما دفعهم إليه الروح القدس. ركعوا على أرض الهيكل وجعلوا يصلون بصوت عال بلغتهم الإنجليزية. وسرعان ما انضم إليهم القس والدموع تنهمر مع عينيه على وجهه. كتب لهم القس فيما بعد خطابا عن أهمية زيارتهم، وكانت ترجمته كالتالي:

«تأثرت تأثرا عميقا لأني أنا وأنتم استطعنا أن نصلي ونسبح اسم يسوع معا. فعلى اختلاف لغاتنا يمكننا أن نفهم بعضنا البعض في محبة الرب ومن خلال الروح القدس.

نحن نعلم أنكم تريدون إعطاء الكتاب المقدس لكنيستنا. ونسبح الله الذي أعلن لكم عن حاجتنا ... والذي سيساعدكم على جلب الكتب المقدسة إلى داخل البلاد. لقد أخبرناه بهذا الاحتياج ونحن بانتظار رده».

تكرر ظهور مجالا الشركة والتشجيع في بحثي الذي أجريته عن المسيحيين في السجون. كم كانت فرحتهم كلما قابلوا أخا أو أختا

آخرين في السجن أو المعتقل. وكانت تأخذهم النشوة العارمة لو أتيح لهم قضاء وقت معا.

قضت فالنتينا سافيليفا خمس سنوات في المعتقلات السوفيتية القاسية من أجل نقل كتب مسيحية. وجدت المعتقل كئيبا جدا وحكت كيف استجاب الله صلاتها:

«رأى الله احتياجي، وفي رحمته أرسل أختا مسيحية اسمها ناتاشا ... أرسلها الرب لتخفف من معاناتي في وقت احتياجي. صلينا كثيرا معا وحاولنا تدعيم بعضنا البعض على الدوام في حضن الصلاة. أتذكر كيف كنا نلتقي كثيرا بالخارج في الليل تحت قبة السماء الزرقاء. لم نكن نستطيع البقاء طويلا هناك لأن درجة الحرارة كانت – ٤ درجات مئوية. ولم تحافظ أحذيتنا المطاطية على دفء أقدامنا. كنا نرنم ونصلي عدة دقائق، ثم يذهب كل منا إلى ثكنتها للتدفئة قليلا، ثم نلتقي بالخارج ثانية. أحيانا كنا نقف صامتين ونحملق في السماء معا ...

وأحيانا كانت رغبتي إلى الرب أن يعجل بأخذي إلى وطني لأكون معه. لكن ناتاشا أنعشتني جدا. كان لها تأثير إيجابي

متين على حياتي. فكّرت كثيراً أن الرب أرسلها خصيصاً إلى المعتقل من أجلي». [17]

يحكي «ريتشارد ويرمبراند» قصة ثمانية عشر رجلاً في سن الكهولة محتجزين في سجن ببوخارست فيقول:

«غرفة تحت الأرض بدون نوافذ يتساقط عليها الماء من السقف. لتجنب الموت متجمدين شكّل الرجال أنفسهم في هيئة ثعبان بشري، وأطبق كل رجل على الذي أمامه طلبا للدفء، في حين كانوا يطأون الأرض بأقدامهم على شكل دائرة مكتملة. كان أحد الرجال ينهار في أوقات كثيرة، لكن الآخرين كانوا دائما يسحبونه من الماء ويجبرونه على الاستمرار. الدفء والتشجيع والحياة – هذا كله نكسبه من بعضنا البعض». [18]

العبادة

يقول القس الأوغندي كيفا سمبانجي إن الروح القدس وحد قلوب قادة كنائس أوغندا تحت وطأة اضطهاد عايدي أمين الشديد. صرنا

[17] Georgi Vis, *Let The Water Roar* (Grand Rapids, MI: Baker Book House, 1982), p. 48.

[18] Brian Ross, 'Toward An Intimate Fellowship', *Faith Alive,* p. 70.

نؤكد على محبة بعضنا البعض ورفضنا التركيز على اختلافاتنا كما كنا نفعل بالماضي. كتب يقول:

> «لكننا الآن نسمع الله ينادينا أن نعيش حياة منكسرة أمام بعضنا البعض. إن شركتنا لا ينبغي أن تبنى على أساس المعمودية أو الألسنة أو الطقس. وإنما تبنى على دم يسوع المسيح الذي به المصالحة». [١٩]

قد ذكرت مرارا وتكرارا أهمية حركة الكنائس المنزلية حول العالم ولاسيما بين الكنيسة المتألمة. يتمتع هذا البناء غير الرسمي بأكثر مرونة في السماح للمؤمنين بعبادة الرب معا. وحين يعبد الله بحق تكون التلمذة والشركة والكرازة النتيجة الطبيعية.

حيثما تقيد حرية المسيحيين في ممارسة إيمانهم، يبدو أن اختبار التجمع معا للعبادة يكون ذا وقع أشد ومعنى أعمق. بعد – وأحيانا قبل– يوم طويل من العمل الشاق في بيئة معادية روحيا، تزداد رغبتهم جدا للاجتماع كعائلة الله للتعبير عن محبتهم وتعبدهم وتسبيحهم لربهم.

---

[19]F. Kefa Sempangi, p. 43.

حتى حيثما تكون الكنيسة النظامية قوية، يسبب هـذا النـوع مـن الاضطهاد أو الضغط وحدة تكرم الله. كانت بورما أول نموذج تعرضت له. فقد تم طرد جميع المبشرين عام ١٩٦٦، وكانت أول زيارة لي هناك في أوائل السبعينات. كانت الكنيسة أقلية صغيرة في مجتمع بوذي غالب تحكمه حكومة علمانية اشتراكية.

طلب إلي يوم الأحد أن ألقي كلمة وأكسر الخبز مع الإخوة المؤمنين، وأن أعظ بين المعمدانيين في العصر، وأن ألقي كلمة في المساء في الكنيسة الخمسينية. ولم يسألني أحد عن طائفتي. كنت مجرد «أخ في المسيح» أمثل هيئة إنجيلية، أي الهيئة الإذاعية للشرق الأقصى.

وجدت هذه الوحدة أمرا منعشا جدا، ومجدا للرب على اكتشافي لها في أمكنة أخرى من العالم، أغلبها خارج أمريكا الشمالية. أما أقرب موقع جغرافي فكان جزيرة كوبا. ما أمتع أن تكون مع رعاة كنائس معمدانية وخمسينية يقضون ساعات بانتظام على ركبهم أمام الله وبعضهم البعض. وما أنعش حضورك اجتماعات كرازية للشباب يكون الحاضرون والمتكلمون فيها من مختلف الطوائف. فهل هناك سبب للتعجب من أن النهضة تكتسح تلك الجزيرة اليوم؟

يروي الدكتور «جون بت» كيف حظر دكتاتور أوغندا سيئ السمعة

عايدي أمين سبعة وعشرين طائفة مسيحية في سبتمبر عام ١٩٧٧ :

«في غضون أيام من الحظر نشأت آلاف الكنائس المنزلية في أنحاء البلاد. نظم المعمدانيون والخمسينيون والطوائف الأخرى أنفسهم بحيث يلتقون معا في البيوت أو في الغابات.

كان «بن أولوكا» من أعجب منظمي الكنيسة السرية في أوغندا، وهو الذي صار «العميل المزدوج» في مكتب الرئيس. فقد دأب على استخدام حقه في الدخول للوصول إلى وثائق سرية لإخبار المؤمنين الذين أوشكوا على دخول السجن. والأخطر من ذلك أن أولوكا تولى رعاية كنيسة منزلية في بيته الخاص. كانت هذه عبارة عن مجموعة صغيرة من كنيسة التحرير، وهي جماعة شركة إنجيلية وطنية.

يقول أولوكا: كنت أعمل في المكتب الذي كان مسؤولا عن فرض الحظر الرئاسي، وكنت أنا نفسي أدير كنيسة سرية.

ولما تم الإعلان عن الحظر، انتشرت الاجتماعات المنزلية في أنحاء القطر. توجد سلطة أعلى، وحينما تقيد الحكومة حرية العبادة، يجب أن تكون الأولوية لسيادة الله.

قررت الكنائس الحرة السير على نهج أعمال ٢٠ : ٢٠ حيث كان المؤمنون يذهبون من بيت إلى بيت يكسرون الخبز

ويعبدون الله». [٢٠]

ويبدو أنه حيثما يقتدي الناس بهذا النموذج، يوجد انفتاح على حركة روح الله. تسلمت الأبواب المفتوحة الرسالة التالية عام ١٩٨٥ من خمسة شبان صينيين مسيحيين في جنوب الصين:

«ذهبنا إلى مقاطعة هينان لزيارة كنيسة منزلية هناك. حيثما كنا نذهب شعرنا وكأننا في زمن الرسل - ممتلئين من الروح ومتحمسين ومضطرمين نارا. تبعتنا أيضا الآيات والعجائب وأيدت ما كنا نعظ به. لذلك أتى أناس كثيرون للرب.

في تلك القرى وحدها جاء للرب أكثر من خمسة وتسعين بالمائة من الفلاحين. كان أقل عدد للحضور في كل اجتماع بين ٤٠٠ و٥٠٠ نفس. أما الاجتماعات الكبيرة فكان يحضرها أكثر من ١٧٠٠ نفس. كان كلاهما ينعقد في العراء سواء في المطر أو الشمس الساطعة. نحن مندهشون جدا من محبتهم التي أظهروها نحو الرب.

[20] January Pit, *Persecution: It Will Never Happen Here?* (Santa Ana, CA: 1981), p. 73.

موعد اجتماعهم بين السادسة والثامنة صباحا. وبيوتهم متباعدة ومتناثرة. ويعيشون على بعد عشرين ميلا من مكان تجمعهم، وهو ما يستغرق منهم ثلاث ساعات من السير. دخولهم منخفضة جدا ولا يمتلكون دراجات. لذا يستيقظون كل صباح في الثالثة أو الرابعة فجرا ويسرعون بالمشي إلى مكان الاجتماع. يحبون أن يرنموا التسابيح للرب. رائع حقا أن ترى كم هم مضطرمون نارا من أجل الرب!» [٢١]

يحكي الدكتور «دايفد وانج» كيف أنه وعظ ذات مرة إلى سبعين شابا في كنيسة منزلية في مكان ناء في شمال غربي الصين:

«بداية، استغرقت حوالي ثلاث ساعات وكان موضوع عظتي «الصلاة الربانية». كان الشباب يجلسون القرفصاء على الأرض الطينية أو يتكئون على حائط ذلك الكوخ الصغير. ولم يكتفوا بالاستماع فقط، بل كانوا يدونون كل كلمة أقولها.

بعد انتهائي، قدم لي قائد الكنيسة المنزلية بعض الشاي قائلا: تفضل بشرب بعض الشاي، ثم يمكنك أن تتابع الوعظ ثانية! تناولت الشاي وواصلت الوعظ لمدة أربع ساعات أخرى.

---

[٢١] ترجمة لرسالة يدوية مكتوبة باللغة الصينية.

كان الشباب يدونون الملحوظات طوال الوقت ويرددون: «آمين. آمين». أخيرا جلست وأنا خائر القوى. ثم قال قائد الكنيسة المنزلية: «الآن دعونا نرنم». فبدأوا يرنمون. وأصبت بصدمة لما سمعتهم يرنمون. فإن أول جمل نطقوا بها كانت:

«لا تستمعوا إلى الوعظات، لا تستمعوا إلى الوعظات.
لا، لن نستمع إلى الوعظات...»

بعد سبع ساعات من الاستماع إلى العظات يرنمون «لا تستمعوا إلى الوعظات!» ثم ردوا على السؤال إذ رنموا وقبضتهم مغلقة: بل سنعيش الوعظات!» [٢٢]

يقول الدكتور «جيه. آي. باكر»:

«إن أخذ الروح القدس على محمل الجدية معناه وجوب إعادة اكتشاف المسيحيين لطبيعية ثلاثة أشياء لا يراها المؤمنون المعاصرون في الغرب على أنها طبيعية إلا نادرا - أي العبادة والكرازة والتألم». [٢٣]

---

[22] David Y. P. Wang, *8 Lessons We Can Learn From The Church In China* (Hong Kong: Asian Outreach International Ltd), pp. 15-16.

[23] James I. Packer in the foreword of David F. Wells, *God the Evangelist*

خطت تيريزا التي من أفيلا في القرن السادس عشر هـذه الكلمـات ذات المغزى:

«يا إله المحبة، ساعدنا أن نتذكر

أن المسيح لا جسد له على الأرض سوى أجسادنا،

ولا يدين له سوى أياديناً.

عيوننا هي العيون التي ترى احتياجات العالم.

وأيادينا هي الأيادي تبارك كل واحد الآن.

وأقدامنا هي الأقدام التي بها يجول يصنع خيرا». [٢٤]

✢✢✢✢

(Eedermans Publishers, 1978), p. xiii.

[24] Teresa of Avila, 1515-1582. Original source unknown.

يا رب، طلبت مني أيضا أن أخلص الحب لإخوتي وأخواتي الذين يكونون كنيستك العالمية. سامحني على قلة اهتمامي وتعاطفي. أرجوك ساعدني أن أكون عضوا في جسد يتمم قصدك ووظائفك التي عينتها للكنيسة – لاسيما في أسرتي. أشكرك على كنيستك المتألمة التي تظهر هذه المبادئ بوضوح شديد.

المحبة هي أعظم شيء
يمكن أن يمنحه الله إياها؛
لأنه هو نفسه محبة،
وهي أعظم شيء يمكننا أن
نقدمه لله.

جيريمي تايلور

سر رقم ٧–

دائرة المحبة الكاملة

لا يستطيع شيء على الإطلاق أن يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا! لذلك أحببه من كل كيانك.

الفصـــــل الســـابع

محبـة عـديمـة الانفــصال

شعرت بالغثيان في معدتي وأنا واقف في طابور الجمرك الطويـل في مطار سايجون ثون سون نوت القديـم. حـدث هـذا سـنة ١٩٨٤ عنـد عودتي إلى فيتنام لأول مرة في عهد النظام الشيوعي.

كان موظفو الجمرك يفتشون حقائب السـفر وحقـائب اليـد بدقـة. كان في حقائبي العديد من الكتـب المقدسـة الفيتنامـيـة. فـتردد صدى تحذير زملائي في رأسي:

«مهما يحـدث، لا تدعـهم يـروا المطبوعـات الخاصـة بالمسـيحيين القَبَليين. فهم يظنون أن القبليين على صلة ما بالمخابرات الأمريكية».

صليت قائلاً: «يا رب، هذا موقف مستحيل!» ونسيت من توتـري في تلك اللحظة أن الله متخصص في المواقف المستحيلة.

عشت في خيالي المرات السهلة الودودة التي دخلت فيها البلاد في نفس ذلك المطار أثناء الحرب الفيتنامية لما كنت مشرفاً على إنشاء برنامج فيتنامي لحساب الهيئة الإذاعية للشرق الأقصى في مانيلا عاصمة الفليبين. أما الآن فكان العبوس يعلو وجوه طاقم العاملين في الجمرك. وكان التوتر مرسوماً على أوجه المنتظرين في الطوابير الطويلة.

استدعى ذهني أيضاً أثناء انتظاري الطويل تقرير آخر مجموعة من المراسيل المسيحيين الذين أتوا إلى فيتنام. وجدوا أنفسهم في طابور وراء سيدة من فرنسا ترتدي قبعة متهدِّلة وتحمل قفصاً به قط.

لما فحصوها وجدوا أنها لا تحمل أوراق الحجر الصحي الخاصة بقطها. وطبعاً أخَّر هذا إنهاء أوراقها للغاية، وكان زملاؤنا آخر من تبقّى في قاعة الجمرك. فاستبد بهم القلق على حقائبهم الثقيلة والكبيرة المحشوة بالكتب المقدسة الفيتنامية.

فلما وصلوا إلى طاولة الجمرك، قال الضباط: «نحن متأسفون جداً لأن هذه السيدة وقطها جعلاكم تنتظرون كل هذا الوقت! تفضلوا بأخذ حقائبكم والمرور من الجمرك دون توقف!»

فتطلّعت في القاعة من حولي لعلي أرى سيدة ذات قبعة متهدِّلة وقط – فلم أجد.

أخيراً جاء عليَّ الدور. فقدمت جواز سفري وأوراقي الجمركية

وقبلما أنتهي بقليل استوقفتني فجأة بكلمات إنجليزية واضحة:

«يا سيد، إنك لم تعلن عن خواتمك!»

أخذتني الدهشة ورددت عليها: «إني لم أضطر إلى الإعلان عن خواتمي قط – في أي مكان!»

«يجب أن تعلن عن خواتمك هنا. كم قيمتها؟»

«لا أعلم. لقد أهدتني إياها زوجتي ... هذا الذي في يدي اليسرى منذ عشرين عاماً عندما تزوجتها ... وهذا الذي في يدي اليمنى عندما وعدتها بأن أتوقف عن الذهاب إلى المدرسة».

غمغمت بابتسامة تهكمية: «لابد أن تكتب قيمتها». فأخذت الاستمارة وكتبت – خاتمان بمائتي دولار أمريكي.

وأخذت أفتح حقيبة يدي كما رأيت الناس من قبلي يفعلون، ولكنها ختمت استماراتي بسرعة وسلّمتني إياها وأشاحت بيدها لأَمُرَّ.

فهمست: «شكراً يا رب لأنك استجب صلاتي. وشكراً لك يا دَيَان من أجل هاذين الخاتمين!»

حقق الله المستحيل ثانيةً مثلما صنع مع رفقاء سفرنا الخمسة الآخرين.

كانت كتبنا المقدسة ستذهب إلى كنيسة في نام السريعة النمو. صلينا يوم الأحد في كنيسة إنجيلية. كانت تلك واحدة من كنيستين زرتهما في العالم حيث سمعت تنبيهاً غير عادي: «لا تأتوا الأحد القادم

حتى يشترك في الخدمة الآخرون الذين لم يتسنَّ لهم الحضور اليـوم». (أما الكنيسة الأخرى فهي كنيسة القس لام المنزلية في غوانغجو في الصين).

كانت العظة ذلـك الصباح: «استعدوا لوضـع حيـاتكم مـن أجـل الرب!» أثناء حديثي مـن القـس «مييـنج» بعـد الخدمـة، سـألته عـن الكلمة التي يمكنني أن أقولها للمسيحيين في العالم الحر عن حالتـهم هنا. فرد:

«إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ» «رومية ٨: ٣٦».

لكن لا يمكننا أخذ هذه الآية بعيداً عن سياقها. فقد كـان بمقـدور القس أن يـرد مـن مزمـور ٤٤: ٢٢ – وهـي الآيـة الأصليـة في العـهد القديم الذي اقتبس منها الرسول بولس في رومية ٨: ٣٦.

تبدأ الآيات السابقة في رومية ٨ بالقول: *«مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَـنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟»* والإجابـة الواضحـة ينبغـي أن تكـون الشـيطان – المشـتكي على القديسين، عدونا الألد. أما باقي الآية فيجيب على سـؤال يبـدأ بـ«ماذا» ويخبرنا بنوعية الأشياء الـتي يسـتخدمها الشـيطان ليجعـل المؤمنين يظنون أنهم منفصلون عن محبة الله: شدة، ضيق، اضطهاد، جوع، عري خطر، سيف.

شدة أم ضيق أم اضطهاد

الكنيسة في فيتنام الشيوعية توضيح جيد لكيفية استخدام عدونا منهج الاضطهاد. قمعت الحكومة كل المناطق التي عمل فيها مبشرون غربيون، وقيل للمؤمنين مراراً وتكراراً إنهم عملاء للمخابرات الأمريكية. حدث هذا بصفة خاصة في الكنيسة بالمناطق القَبَلية. أما كنائس المدن الكبيرة فكانت مراقبة على الدوام من قِبَل مخبري الحكومة.

حتى الآن وأنا أكتب هذه الكلمات لا تزال هناك قيود على حرية قسس الكنائس المنزلية وعامة الشعب. أيضاً المطبوعات المسيحية غير متوفرة بما يكفي.

لما بدأ القس «ها» في تأسيس كنيسة في مدينة «هو تشي منه» في أواخر السبعينات، كان عدد أعضائها ٢٩. سُمِح لهم باستخدام مبنى كنيسة سايجون الدولية القديم. وبحلول وقت حبسه في أواخر عام ١٩٨٣ كانوا قد بلغوا ٥٠٠٠ عضواً. كان يتجدد في الكنيسة بين ٨٠ و١٠٠ نفس في الشهر. وفي إحدى السنوات عمّدوا ثمانمائة مؤمن بالماء.

أما سبب نموهم الملحوظ فكان اجتماعات الصلاة كل صباح ودرس الكتاب كل مساء التي دامت ثلاث ساعات. كانوا يقيمون أربع خدمات يوم الأحد في كنيسة كبيرة لتغطية جميع الأعضاء.

كان مخبرو الحكومة يحضرون كل أسبوع ليتصيدوه بأي تصريح

سياسي النزعة في وعظه. في إحدى خدمات الأحد مساءً كان يوجد اثنا عشرة مخبر. تجدد واحد منهم وأخبر القس عن الأحد العشر الباقين.

قبيل عيد الميلاد المجيد عام ١٩٨٣ وصلت الشرطة في وقت الصلاة الصباحية وصادرت الكتب المقدسة وكتب الترنيم، ثم أغلقت الكنيسة وأوصدت البوابة. وقف مؤمنون كثيرون يبكون عند البوابة عدة أيام. [١]

طُرِدت أسرة القس «ها» من شقتهم التي في خلف الكنيسة وأُخِذ هو نفسه إلى السجن. وقد قرأتَ في فصول سابقة عن نتائج التأثير الروحي المستمر الذي تركوه. أدركوا أن الشدة والضيق والاضطهاد ليس بإمكانها أبداً أن تفصلهم عن محبة يسوع.

تقول السيدة «ها» الآن إن الله أنتج خيراً كثيراً من خلال ضيقتهم. أحست أن الرب كافأها بقرار ولديها بأن يتبعا الرب ويصيرا مسيحيين منضبطين.

تستمر الكنيسة في فيتنام في النمو رغم الضغوط – لاسيما في مجموعات البيوت– مع أن قسس عدد كبير من هذه المجموعات أمضوا سنوات في الحبس. قادت مجموعة واحدة ٢٣٠٠ نفس للمسيح

---

[1]'Vietnamese Church Closed', *The Alliance Witness*, March 14, 1984, pp. 18-19.

في عام واحد. بينما تنمو أخرى بمعدل ٣٠٠ مؤمن جديد كل شهر.

جوع أم عري

تحدث صديقي العزيز وزميلي سابقاً «تيري ماديسون» مع سيدة من سايجون كان زوجها نزيلاً في أسوإ وأفظع معتقل لإعادة التثقيف في البلاد. كان يُسمَح لها بزيارته مرتين في السنة لمدة نصف ساعة في المرة. لكنها لم تقدر أن تقوم بالرحلة إلى الشمال سوى مرة واحدة في السنة.

سألها تيري بحساسيته الصحفية العالية: «ماذا تفعلان وعمَّ تتحدثان أنت وزوجك في النصف الساعة التي تقضيانها معاً؟»

أجابت والدموع تنهمر على وجنتيها: «إننا لا نتحدث، بل ننظر إلى بعضنا البعض ونبكي!»

قضى «ولسن تشِن» الذي من فيتنام خمس سنوات في واحد من تلك المعتقلات البدائية لإعادة التثقيف. أُجبر على قضاء ساعات طوال في عمل شاق يقصم الظهر أي في إزالة الأدغال لتحويلها إلى أراضي زراعية وتقطيع الأشجار من أجل الأخشاب وزراعة الحقول.

كان يتطلع إلى وظيفة علمانية ناجحة وإلى الزواج من حبيبته الجميلة. ثم تلقّى في آخر سنة له بالمعتقل نبأً وقع عليه كالصَاعقة، إذ أن حبيبته فقدت الأمل وتزوجت من رجل آخر ثم هربت من فيتنام.

كان طعام المعتقل لا يسد الرمق. قال وهو يذكر تلك الأوضاع: هجمت الوحشية الدائمة على عقولنا وأرواحنا، أما سوء التغذية فهجم على أجسامنا».[٢] كان الجوع الدائم يدفعهم إلى تناول أي شيء. فكان يفتش الأرض مع باقي السجناء بحثاً عن الجرذان وضفادع اليابس والديدان والثعابين والحشرات والطيور لتكميل وجبتهم الفقيرة وإبقائهم على قيد الحياة وأيضاً لمجرد تخفيف الشعور الدائم بالجوع.

يتذكر ولسن رفقاءً له أصيبوا بالجنون من ضغط الجوع. بينما انتحر آخرون. ومات الكثيرون من الأمراض الناجمة عن سوء التغذية.

كل ليلة كانوا يضعونهم تحت التعذيب الذهني والتلقين السياسي. وكانت فكرة الهرب لا تبارح أذهانهم.

لكن «ولسن تشين» يقول: «رجائي في الرب هو الذي أبقاني حياً. وكنت أغذي هذا الرجاء بقراءة الكتاب المقدس سراً ...»[٣] وعد ولسن الرب وهو في المعتقل بأن يخدمه حالما تتاح له الفرصة. فهمس الروح القدس إليه: «الفرص متاحة هنا والآن!» وسرعان ما تعرف على الرب ثلاث سجناء آخرون.

---

[2]Wilson Chen, 'I Learned The Hard Way, But I learned', *Christianity Today,* March 19, 1982, p. 23.

[٣] نفس المصدر السابق، ص ٦.

ساعدته خبرات المعتقل على التأمل بعمق في أهمية تألم المسيح. فوجد في ذلك المقام إنعاشاً وابتهاجاً في ضعفه. وعلى حد قوله: «أعطاني يسوع سلاماً في وسط الضيق». [٤]

وفي نفس الأوان في كمبوتشيا المجاورة –تسمى الآن كمبوديا– يحكي «نارون فان» كيف أنه أجبر على العمل في مزرعة من قِبَل الخمير الحمر. كان يعمل يومياً من الساعة الخامسة صباحاً حتى التاسعة مساءً. كان الطعام قليلاً والعمل شاقاً ومذلاً. وهو يسرد حادثة هامة فيقول:

> «ثم طلب مني ذات يوم أحد الحراس نسخة من الكتاب المقدس لما علم أني أمتلك نسختين ... لم أرد أن أعطيها له ولكن للضرورة أحكام. كان الحارس يستعمل ورقة منه كل يوم لصنع لفافة تبغ، ولكن قبل تمزيق الورقة كان يقرأها من الناحيتين.
>
> ثم جاء في أحد الأيام إلى مدخل الباب وجعلنا نتحدث. قال لي: إذا أخبرتني كيف يمكن أن أصير مسيحياً فسأحضر لك طعاماً ... توطّدت بيننا علاقة صداقة غريبة الطابع.

[4] Gold-edged Bible, With A Zipper', *Newsbrief*, Vol. 3, Issue 3, March 1988, pp. 1-2.

فتقوّيت وتحسن أولادي أيضاً. وصار ذلك الحارس مسيحياً». [5]

هرب بعدها نارون فان إلى تايلاند مع زوجته وأولاده الأربعة. وهو اليوم يرعى كنيسة في أستراليا. يقول:

«أريد أن أخبر جميع الناس عن الله الذي يحبهم ويسمع صلواتهم ويستجيب لها. إنه الإله الحقيقي». [6]

خطر أم سيف

تقل البلاد التي أهلكت فيها المعاناة والموت القسم الأعظم من المواطنين والكنيسة على السواء مثلما حدث في كمبوديا. أفضل تصوير لما حدث لهذه البلاد هو الفيلم الدرامي الوثائقي The Killing Fields (حقول الموت). عند الكمبوديين قول مأثور للتعبير عن الضعفاء: **«حينما ترقص الفيلة يُداس العشب!»**

لما استولى «بُل بُت» على السلطة في ١٧ إبريل ١٩٧٥، بدأت مذبحة منظمة للقضاء على الشعب الكمبودي الذي قوامه سبعة مليون. وفعلاً قُتِل ما يقدر بمليون شخص – أو أكثر بكثير. وفر مئات

[5] Narun Van, 'Arrested in Kampuchea', private report.

[6] نفس المصدر السابق.

الآلاف إلى تايلاند طلباً للملجأ. [٧]

سمح الله لبعض أولاده بأن يُقتلوا – بما في ذلك أحد عشر قسيساً. وسمح للآخرين بالفرار.

إبان الحرب الأهلية الكمبودية في أوائل السبعينات، زرت البلاد عدة مرات من واقع عملي في الإذاعة إذ كنت مسؤولاً عن بعض شؤون البث على الموجات القصار من الفليبين. حينئذٍ توطّدت أواصر الصداقة بيني وبين قائد محلي اسمه «سون سونيه». كان يعمل لدى دار الكتاب المقدس في كمبوديا وكان أيضاً قسيساً علمانياً.

رأيته لآخر مرة عام ١٩٧٤. وكان متحمساً جداً للفرص العديدة التي أتيحت له للوعظ إلى آلاف اللاجئين الذين يفدون على فنوم بنه العاصمة كالطوفان. وكانت الجموع تستجيب للرسالة بالمئات.

قررت الكنيسة الوطنية أن يسافر «سون سونيه» للتدريب على القيادة. كان يمكنه ذلك في الفليبين حيث كان يمكنه أيضاً أن يساعد في خدمة الإرسال المسيحي الذي يُبّث إلى بلاده. فأعددنا بيتاً له وزوجته وأولاده الخمسة في مجموعة المنازل الخاصة بنا شمالي العاصمة مانيلا. أيضاً اشتروا تذاكر الطيران وحصلوا بأعجوبة على

[7] Read the book by Carl Lawrence *The Prince Still Smiled* (Wheaton, IL: Tyndale House, 1979).

تصريح الخروج المطلوب لمغادرة كمبوديا.

كان يجب أن تطير الأسرة إلى مانيلا يوم ١٥ إبريل ١٩٧٥، ولكن في ١٤ إبريل قصف الخمير الحمر المطار الدولي في فنوم بنـه وتم إلغاء جميع الرحلات التجارية. وبعدها بثلاثة أيام سقطت البلاد في قبضة العصابات الشيوعية وحملة الرعب التي شنوها.

لما زرت فنوم بنه مرة أخرى عام ١٩٨٤ كان الموقف مشحونا بالعواطف بالنسبة لي. أخبرني الناس أن سون سونيه وأسرته كانوا من بين العظام التي رأيتها مكومة عند النصب التذكاري المقام لذكرى حقول الموت بالقرب من تاكماو.

أنا مشتاق للقاء سون سونيه في السماء لأعلم لماذا سمح الله له بالبقاء في البلاد. أنا أومن أنه لابد أن استخدمه بقوة في آخر أيام حياته.

ومن ناحية أخرى يوجد اختبار القس «أونج سوفال» الملفت للنظر. فهو قد أسس ثمانية كنائس منزلية في فنوم بنه والمقاطعات المجاورة.

قبيل سقوط البلاد أمام الخمير الحمر عام ١٩٧٥ كان يتحدث إلى ستمائة مسيحي مجتمعين في اجتماع بالكنيسة. وإذ كانوا على دراية بالخطر الذي يتقدمهم، اتفقوا جميعا أن يكتبوا أسماءهم على الحائط الخلفي للكنيسة إن كتبت لهم النجاة وعادوا إلى فنوم بنه سالمين. «لم تظهر سوى ثلاثة أسماء على الحائط – اسم أونج واثنين آخرين نجوا

من الموت بأعجوبة». [8]

فقد هو وزوجته ابنهما الثالث الأصغر أثناء الإبادة الجماعية. بعد مرات كثيرة من النجاة بأعجوبة انفصل أونج عن زوجته وأولاده وأرسِل للعمل في الحقول. أثناء تلك الأوقات العصيبة جداً استطاع أن يقتاد خمسة وستين شخصاً ليسوع بل ويعمّدهم بالماء. أنقذ الله حياته بمعجزة في عدة مناسبات.

لما غزا الفيتناميون كمبوتشيا -هكذا كان اسمها- سنة ١٩٧٩، تمكن أونج سوفال من الرجوع إلى فنوم بنه .. بعد أن أمست مدينة أشباح. ثم أسس بمعونة حفنة من المسيحيين كنيسة منزلية، ونمت تلك الكنيسة من خمس أعضاء إلى ستمائة عضو في ثمانية شهور.

دعا إلى بيته في عيد الميلاد المجيد في تلك السنة بعض المسيحيين بغرض الشركة – وكان بينهم بعض المسيحيين الغربيين العاملين في هيئات المعونة. فأُلقي القبض عليه بعدها بأسبوعين من أجل هذا النشاط «غير المشروع» واتُّهم بإقامة اجتماع سياسي ساهمت فيه المخابرات الأمريكية.

حققوا معه أياماً وضربوه ضرباً مبرحاً. ولما لم يجدوا جدوى في

[8] Andrew Wark, 'After the Killing Fields', *Asian Report,* No 196 Report 4, Vol. 25, 1992, p. 16.

التحقيق، ألقوه السجن لمدة خمسة شهور مقيد اليدين والقدمين. فقد ٣٣ كيلو جراماً من وزنه ونهشه المرض. لكنه سمع الرب يوصيه بالصوم والامتناع عن الكلام لمدة ثلاثة أيام.

انزعجت السلطات في نهاية صومه وأخذوه إلى المستشفى ظناً بأنه يحتضر. وهناك سمع أصوات الأشخاص الآخرين وهم يُعذَّبون بالكهرباء والضرب والركل.

قال: «حتى من غير الضرب كان الأمر شاقاً. كان في فمي مذاق الجحيم، لكن الله حماني». [9]

عولج أونج سوفال بنجاح على يد طبيب كوبي، كان هو نفسه مسيحي (الله له شعب في كل مكان). ثم في إحدى الليلات عند انقطاع الكهرباء بسبب عاصفة مدارية، ساعد الطبيبُ أونجَ على الهرب. ثم هرب هو وزوجته وأولاده لاحقاً إلى تايلاند وأمضى عشر سنوات يخدم المُبعدين الكمبوديين الآخرين – كان أرملَ في الخمس سنوات الأخيرة. فيما يلي خاتمة أحد التقارير عنه:

«في عام ١٩٩٠ حينما خُفِّفت القيود على المسيحية في كمبوديا، قام أونج بأول زيارة عودة إلى وطنه ليشجع الكنيسة ويعلمها.

[9]'Cambodian Tells of Brutality, Torture in Prison Run by Vietnamese', *Los Angeles Times*, Friday, May 15, 1981, p. 7.

انتشر خبر عودته انتشار النار في الهشيم وجاء لرؤيته ثلاثمائة شخص.

طلب رئيس وزراء كمبوديا أيضاً أن يرى أونج. وخلال اجتماع استمر أربعين دقيقة أطلعه القس على رؤياه لإعادة بناء الأمة المنهوبة، متضمناً خططه لتأسيس ملاجئ ومرافق ومستشفيات ...

أونج متحمس للمهمة التي تنتظره. قال: أريد أن أبني شعبي. لله عمل عظيم بعد يريد أن يعمله في كمبوديا».[10]

أعظم من منتصرين

سياق الكلام التالي لرومية ٨: ٢٦ الذي اقتبسه القس الفيتنامي ميينج يرد على الأسئلة المطروحة في عدد ٣٥ **بالنفي التام!** بل إننا وسط كل هذه الأمور المقذوفة ناحيتنا والتي قد نضطر إلى اجتيازها، يمكننا أن نكون «**أعظم من منتصرين!**»

إن أفضل مثل عندي من بين أمثلة كثيرة على الانتصار الفائق مسيحي كمبودي سأدعوه «تشام». حينما كان شابا شاهد جنديا من الخمير الحمر -وهو شاب كان يعرفه من المدرسة- يقتل أمه بالضرب المتكرر على رأسها بلوح خشبي.

---

[10] Andrew Wark, p. 18.

عاني تشام من اكتئاب شديد لعدة شهور بسبب ذكريات هذه الحادثة. بعدها بعشر سنوات كان تشام سائرا في الشارع الرئيسي لفنوم بنه وشاهد الشاب الذي قتل أمه. كان الشاب خائفا جدا من الانتقام حينما لاحظ أن تشام يتقدم منه.

نظر إليه تشام بعينين دامعتين وقال: «في اسم يسوع، أنا أغفر لك !» [١١]

يقول أوزوالد تشامبرز:

> «نحن أعظم من منتصرين بسبب فرحة تنبع من اختبارنا الأشياء التي يبدو أنها ستسحقنا. إن الأمواج العاتية التي ترهب السباح العادي تسبب إثارة هائلة عند راكب الأمواج الذي ركبها ... الأشياء التي نحاول تجنبها ومكافحتها – الضيق والاضطهاد والمعاناة– هي نفس الأشياء التي تنتج فرحة فياضة فينا». [١٢]

في المقطع السابق من رسالة رومية يمضي الرسول بولس فيقول:

«فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ
لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ،
وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ،

---

[11]Report from Maurice Bauhahn in Singapore, 1984.

[12]Oswald Chambers, *My Utmost For His Highest* (Grand Rapids, MI: Discovery House, 1992), page for March 7.

وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً،

وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ،

وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى،

تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ

الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا». [١٣]

أقوى ذكرى بصرية ترد على خاطري عند سماعي هذه الآيات تأتي من فيلم عن حياة «كوري تِن بوم» الذي عنوانه *The Hiding Place* (المخبأ). يقرأ الأب «تِن بوم» هذه الآيات بصوت عالٍ للعائلة في بيتهم الذي يعلو محل الساعات الذي يخصه في هارلام أثناء الحرب العالمية الثانية. بعدها بقليل يكتشف النازيون مخبأ اليهود ويختبرون جميعاً أهوال السجن ومعسكرات الاعتقال – بل حتى الموت في حاله الأب وابنته بتسي.

أما كوري فتقضي بقية عمرها تجوب أقطار العالم حاملة رسالة واحدة لا غير: **إن محبة الله أقوى بكثير من أحلك الظلمات.**

زار أحد زملائنا الجريئين القس «متى بُش» في سجنه في السودان. قضى القس سبع سنوات من مجموع ثلاثين سنة حُكِم عليها فيها بالسجن بدون أية زيارات من زوجته أو أولاده. يقول تعقيباً:

[١٣] رومية ٨: ٣٨-٣٩.

«أنا أومن أن الله وضعني هنا لحكمة: أن أخبر السجناء الآخرين بالإنجيل. ما لم أكن هنا فمن كان يصل إليهم؟ قبل الرب أناس كثيرون من ضمنهم حراس. أما بالنسبة لي فأنا على ما يرام لأنني أختبر أن لا شيء يفصلني عن محبة المسيح».[١٤]

يقول «ولسن تشِن» الذي أمضى خمس سنوات في معتقل إعادة التثقيف الفظيع:

«لم أستطع أن أنسى أن شيئاً لم يفصلني عن محبة المسيح ... ولا يجب أن يفصلني شيء عن محبة الله في الأيام القبلة. عند النظر إلى الوراء أرى أني اختبرت محبة الله أكثر وأنا في معسكر الاعتقال من أي وقت آخر في حياتي ...

لكني أصلي أن تنتج دروس الإيمان التي تعلمتها ثماراً فتبقيني متواضعاً وواثقاً وأنا أواصل مسيري وتعلمي من مخلصي».[١٥]

إن ما شاهدته بعينيَّ في جزيرة كوبا يُعَدّ من أنصح الأمثلة أيضاً على الحياة المسيحية الفائقة الانتصار. كل الأوضاع السلبية السابقة الذكر سائدة في الكنيسة المسيحية هناك. قلبي لا يزال مغتماً لأجل

---

[14]June 16, 1993.

[15]Wilson Chen, p. 24.

سوء التغذية الشديد بين المؤمنين الذين رأيتهم منذ بضعة أشهر. مع ذلك لا يمكنني أن أنسى منظر الشباب الجائعين المتواضعين يرنمون بحماس من قلوبهم ترنيمة مسيحية كوبية محببة لديَّ مبنية على حبقوق ٣: ١٧–١٨:

«فَمَعَ أَنَّهُ لاَ يُزْهِرُ التِّينُ،
وَلاَ يَكُونُ حَمْلٌ فِي الْكُرُومِ.
يَكْذِبُ عَمَلُ الزَّيْتُونَةِ،
وَالْحُقُولُ لاَ تَصْنَعُ طَعَامًا.
يَنْقَطِعُ الْغَنَمُ مِنَ الْحَظِيرَةِ،
وَلاَ بَقَرَ فِي الْمَذَاوِدِ،
فَإِنِّي أَبْتَهِجُ بِالرَّبِّ
وَأَفْرَحُ بِإِلهِ خَلاَصِي».

هذه هي الحياة المنتصرة الفائقة! إننا نحبه لأنه أحبنا أولاً. ولا شيء يمكنه أن يفصلنا عن محبته!

لذلك عِش وأنت مدرك تماماً لحضور الله ومحبته!

✝✝✝✝

يا رب، قد وعدتَ أن لا شيء يمكنه أن يفصلني عـــن محبتك. سامحني حينما أنزل عينيَّ عنك وأركزهما علـــى إستراتيجيات الشيطان. ساعدني أن أسير في قوتك كغالب منتصر. وأشكرك لأنك أنت وحدك المستحق محبتي التـــي من كل القلب.

إن كنت تضطرم بمحبة يسوع،

فلا تقلق:

الكل سيعلمون.

سيقولون:

أريد أن أتقرب من هذا الشخص

الممتلئ بالله!

هنري نووِن

ليس النجاح شهرة أو غنى أو نفوذ: إنه بالأصح طلب الله ومعرفته ومحبته. إذا طلبت علمت، وإذا علمت أحببت، وإذا أحببت أطعت.

تشارلز ملك.

خاتمـــة

مهـــــــام صعـبة

الأمر ممكن! أثبتت الكنيسة المتألمة بقدوتها أنه يمكـن بـالفعل أن تخسر كل شيء ... تقاسي كل شيء ... تتحمل كل شـيء ... ومع ذلك تحتفظ بروح فَرِحة وقلب عامر بالمحبة للرب.

إن موطن الضعف لدينا في أحيان كثيرة جداً هـو الشك في قدرتنا على اجتياز تلك الخبرات والخروج منها أنقياء منتصرين مثل الآخرين الذين شاهدناهم على صفحات الفصول السابقة. لم يعد يسوع قط أن تكون حيتنا سـهلة، بل فقط مشبعة. ولم يعد قط أن تكون الأوضاع عادلة، بل أنه هو سيكون عادلاً.

مع رغم أننا قد نظن أن الدنيا قست على أولئك الإخوة والأخوات الذين كنا نقرأ عنهم، إلاّ أننا تسلمنا مهمة روحية مساوية في

الصعوبة، وإن لم تزد. ومع ذلك تظل مبادئ التعامل مع كليهما واحدة.

تحكي «روث جراهام» قصة تشعر بالخجل عن مسيحي وصل لتوه إلى بلد حر بعد سنوات من الاضطهاد. وفزع من عدم الالتزام بيسوع والتلوث المادي الذي سيطر على أولئك المسيحيين. وعبَّر عما شعر به.

بعد ذلك بفترة ما عاد ليزور صديقه الذي قد كلّمه قبل ذلك بصراحة موجعة:

«سأل إذا كان صديقه لم يزل يذكر ما قد قاله ومرارة نقده للمسيحيين الغربيين. وأجابه صديقه بالإيجاب.

وقف الرجل صامتاً عدة دقائق غارقاً في التأمل. وتوتر صديقه متوقعاً هجمة ثانية منه.

ولكنه قال ببساطة: قد أتيت لأعتذر عما بدر مني من قول وعن الأسلوب الذي تحدثت به. الأمر وما فيه هو أني كنت خائفاً. لم أكن أعلم مقدار خطورة الحرية. مضى عليَّ عام الآن. أنا في حالة أسوأ ممَّن انتقدتهم.

ثم أدلى بتصريح ذي مغزى هام: **من الأصعب أن تحيا الحياة المسيحية في ظل الحرية ممَّا هو الحال تحت القمع**».[1]

يعيش القائد المسيحي الإيراني «لوقا ياجنازار» في الولايات المتحدة

---

[1]Ruth Bell Garaham, 'Dangerous Freedom', *Legacy of a Pack Rat* (Nashville, TN: Tomas Nelson Publishers, 1989), p. 194.

الأمريكية. يقول في هذا الصدد:

«من الأصعب أن تكون مسيحياً في الولايات المتحدة عن إيران. فهناك إما أن تكون مسيحياً أو لا!». [٢]

يقول القس لام الذي من الصين الجنوبية:

«عندنا الاضطهاد الجسدي ولكن عندكم المادية. نصيبك أصعب لأننا نعلم أننا في نحارب روحياً. أما أنتم فلا تعلمون في كثير من الأحيان». [٣]

يقول قائد كنيسة مسيحية آخر في الصين:

«حالما تسعى وراء المال تفقد الوقت والطاقة لشؤون الكنيسة ... والحكومة تعلم أن المادية ستدمر الكنيسة أسرع من الاضطهاد ... أخبر زملائي في العمل في الصين أن ألد أعدائنا ليس الشيوعية، وإنما المادية». [٤]

عبّرت مؤمنة صينية قاست آلاماً جمّة عن هذا الأمر بقولها:

«نحن دائماً نتذكر أننا في حرب روحية. ونحن نعلم من الذي نحارب من أجله. نعلم من هو العدو. ونحن نحارب. ربما

[2]Message given at Prayer Conference, Costa Mesa, CA, October, 1992.

[3]Personal interview, June, 1992.

[4]Elizabeth Farrel, 'China- 'Money Madness' Makes Inroads In Church', *News Network International,* News Service August 27, 1993, p. 22.

ففي راحتكم وغناكم وحريتكم لا تدركون أحيانا أنكم في حرب روحية». [5]

قالت السيدة «ها» الفيتنامية لدى وصولها الولايات المتحدة الأمريكية إنها لا تخشى بعد من المعاناة والاضطهاد. ثم أضافت: «إنما ما أخشاه الآن هو أن الحياة في الحرية ستسبب برودة وفقدان قوة الروح القدس». [6]

يدعم القس الأوغندي كيفا سمبانجي بالوثائق نجاة أسرته من الموت على آخر لحظة. ولكنه يقول بعد دراسته في كلية لاهوت أمريكية:

«في أوغندا كنت أنا وأبنائنا نقرأ الكتاب المقدس طلباً للرجاء والحياة. كنا نقرأه لسماع مواعيد الله ووصاياه فنطيعها. لم يكن لدينا الوقت للجدال أو التناقضات الدينية أو الشكوك.

أما الآن في طمأنينة الحياة الجديدة ومع تلاشي حتمية الموت عن ذهني، أجد نفسي أقرأ الكتاب المقدس لأحلل النصوص وأتفكر المعاني. بدأت أستمتع بالمناقشات اللاهوتية

[5] David Y. P. Wang, *8 Lessons We Can Learn From The Church In China* (Hong Kong: Asian Outreach International Ltd.) p. 29.

[6] Personal Interview, October, 1991.

المجردة مع زملائي الطلبة، ومع أن هذه المناقشات كانت منعشة ذهنيا، لم يمض وقت طويل حتى صارت شركتنا تنحصر في الأفكار بدلا من عمل الله في حياتنا ...

وطرأ أكبر تغيير على حياة الصلاة عندي. كنت أصلي في أوغندا مدفوعا بإحساس شديد من الإلحاح. وكنت أرفض النهوض من على ركبتي حتى أتأكد من أنني دخلت في محضر المسيح المقام ... والآن بعد عام كامل في فيلادلفيا، ذهب عني الإلحاح. وحينما كنت أصلي علناً كنت أهتم بأن صلاتي سليمة لاهوتياً أكثر من وجودي في محضر الله. حتى في السر لم تعد صلواتي صرخات الطفل المستغيث بأبيه. صارت عبارة عن مهدئات روحية، أفكار لم تتصل بأي شيء خارجها. ووجدت أني آتي إلى الله أكثر فأكثر بطلبات مبهمة لهبات لم أتوقع نوالها». [٧]

يمضي كيفا سمبانجي في حديث فيحكي كيف وبّخه الله ودعاه إلى الطاعة باستعمال القليل الذي عنده لبركة الكنيسة المتألمة في أوغندا. فتطور تلك البداية المتواضعة حتى صارت المؤسسة الأفريقية المتحدة.

[7]F. Kefa Sempangi with Barbara R. Thompson, *A Distant Grief* (Glendale, CA: Regal Books, 1979), p. 179.

وصارت صلواته المحددة الوسيلة التي أعانته لمقابلة الله وجهاً لوجه مرة أخرى. ثم ملأ قلبه فهم جديد نقي للكتاب المقدس:

يقول الأخ أندرو:

«إننا لا نستحق حريتنا، إنما هي لنا بنعمة الله لغرض – لنعتني بأعضاء جسد المسيح الآخرين المتألمين ونقويهم!».

يستنتج كثيرون مِمَّن أناقش معهم هذه القضايا أنه حيث أن الوحدة والقوة تبدو أشد في الكنيسة في البلدان التي تقاومها وتضغط عليها، إذاً يجب أن نصلي لكي نقع نحن أيضاً تحت الاضطهاد.

لكن إذا أمعنا النظر في كنائس كثيرة في بلدان الشرق الأوسط وأمريكا الشمالية يتضح لنا أن الاضطهاد لا يضمن وحدة الكنيسة والنمو أو النهضة.

وعلى النقيض الآخر، لا يمكن لوم الحرية أو غياب الاضطهاد كسبب لانعدام وحدة الكنيسة والنمو. تضرب كوريا الجنوبية مثالاً جيداً على البلد الحر الذي تتمتع فيه الكنيسة بنمو ونهضة لا بأس بهما.

في عام ١٨٨٠ لم تكن ثمة كنيسة وطنية في كوريا. أما اليوم في كوريا الجنوبية فيوجد أكثر من ٧٠٠٠ كنيسة. من ضمنها تسع كنائس هي من أضخم كنائس العالم عدداً. وتشتهر هذه الكنائس أولاً

بصلاتها وحياتها التعبدية، ثم بحماستها للكرازة.

أنا أرى القس الروماني بولس نجروت قد ختم هذه المسألة بقوله التالي المعبر عن إدراكه الحاد:

«إن ما يصنع الفرق هو رد فعلنا للاضطهاد وتجاوبنا مع الحرية». [8]

وهو يوضح أنه أثناء أوقات الضغط يُجبَر المسيحيون على التشبث بالمسائل الأساسية لأن يجب أن يتأكدوا من أن إيمانهم يستحق الموت من أجله.

في رأيه هناك مطلبان ضروريان لكون الفرد تلميذا قوياً ليسوع المسيح: المعرفة الروحية والقوة الروحية. أما المعرفة الروحية فتتلخص في الإجابة على هذه الأسئلة الهامة: من هو يسوع؟ ... ما هو الكتاب المقدس؟ ... ما هي الكنيسة؟

ثم طبّق هذا على بلاده وقال:

«إن من وصلوا إلى الاستنتاج بأن يسوع هو الله المتجسد وأن

[8] Audrey Dorsch, 'After the persecution - what then?', *Faith Today*, November/December 1992, p. 60.

> الكتاب المقدس هو كلمة الله وأن الكنيسة هي جسد المسيح، من كانوا مستعدين لقضاء سنيناً في السجن بل أيضاً الموت. هذا هو موطن قوة الكنيسة الرومانية». [9]

ويضيف أن الصلاة والسير مع الله في الروح دقيقة بدقيقة هي التي تجلب اعتماداً قوياً على الله حينما يكون المسيحيون مدركين جداً أن اليوم قد يكون آخر يوم في حياتهم، وحينما يدركون أن حتى الساعة التالية ستأتي وتروح فقط بنعمة الله.

هكذا يحدد الدكتور نجروت بدقة جوهر النجاح الروحي. ولا يجب أن يبقى هذا الأمر سراً:

> «ليس الاضطهاد ذاته بل الدروس التي نتعلمها في ظل الاضطهاد هي التي تصنع الكنيسة والفرد المؤمن وتبقيهما قويين في الرب ... إن ما يصنع الفرق هو رد فعلنا للاضطهاد وتجاوبنا مع الحرية». [10]

ليتنا نكون مستعدين للتعلم وللعمل بما نتعلمه ... ونتأهب لأصعب

---

[9] نفس المصدر السابق، ص ٦٠.

[10] نفس المصدر السابق، ص ٦٠.

المهام. أنت أيضاً يمكنك أن تكون ناجحاً روحياً! تقوَّ في الرب!

إن شكل المصلوب يُبطِل كل فكرة تتخذ من النجاح معياراً لها.

ديتريش بونهوفر

أسرار النجاح الروحي السبعة
من الكنيسة المتألمة

سر رقم ١- محبة الله من كل القلب

إن ما يريده إلهنا الصالح والمحب منك ومني -قبل كل شيء- هو أن نحبه محبة كاملة -فوق كل شيء- وتكون طاعتنا له وللآخرين جميعاً إثباتاً لمحبتنا ... فيكون جزاؤنا جُوده وعنايته الأبوية.

سر رقم ٢- التسليم لله من كل القلب

يسوع -الذي بذل كل شيء لأجلك ولأجلي- يطلب، لا بل يطالب، أن يتخلَّى تلاميذه عن كل شيء ويسلموا أنفسهم له تسليماً قلبياً لدرجة الموت ... فيكافئهم بإكليل المنتصرين.

سر رقم ٣- خدمة الله من كل القلب

بسبب محبة يسوع ومثاله لنا، نثبت محبتنا له بأن نكون عبيداً مقيدين- في أي مكان يضعنا فيه ... ومكافأته هي حضوره الشخصي معنا على الدوام.

سر رقم ٤- تمتَّع بالرحلة

حين نخضع لله خضوعاً مطلقاً ونمتلئ بالروح حتى نفيض، نستطيع -نحن الحجاج المغتربين- أن نصيب الآخرين بعدوى الفرحة ... بصرف النظر عن صراعات هذه الرحلة الأرضية الطويلة أو ضغوط الاضطهاد التي تتقّينا ... فتكون مكافأتنا حماية الله لنا.

سر رقم ٥- قوة روحية للمعركة

نحتاج إلى سلاح الله الكامل للثبات في وجه مكايد إبليس ... ولكن كلمة الله التي اندمجت مع نفوسنا والصلاة بحسب إرشاد الروح تُمكِّن المؤمن من توجيه ضربة هجومية ... ومع المثابرة يظل المؤمن منتصراً حتى في مواجهة أقسى الهجمات.

سر رقم ٦- الكل في الأسرة

يدعو يسوع المسيح أتباعه ليكونوا كنيسة - لا أن يتظاهروا بذلك. وشغفنا به ينبغي أن يتبعه شغف شديد بعائلة الله. ونحن باعتبارنا الكنيسة ينبغي علينا تتميم وظائف الكرازة والتلمذة والشركة والعبادة.

سر رقم ٧- دائرة المحبة الكاملة

لا يستطيع شيء على الإطلاق أن يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا! لذلك أحببه من كل كيانك.

خاتمــة

مهـــام صعبة

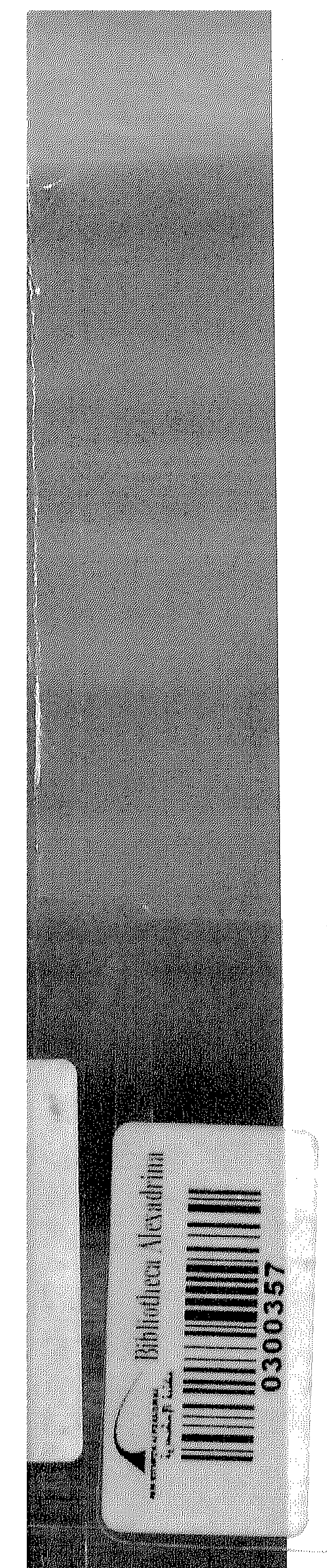
الأمر ممكن! أثبتت الكنيسة المتألمة بقدوتها أنه يمكـن بـالفعل أن تخسر كل شيء ... تقاسي كل شيء ... تتحمل كل شـيء ... ومـع ذلك تحتفظ بروح فَرِحة وقلب عامر بالمحبة للرب.

إن موطن الضعف لدينا في أحيان كثيرة جداً هـو الشـك في قدرتنـا علـى اجتيـاز تلـك الخـبرات والخـروج منـها أنقيـاء منتصريـن مثـل الآخرين الذيـن شـاهدناهم علـى صفحـات الفصـول السـابقة. لم يعـد يسوع قط أن تكون حياتنا سهلة، بـل فقـط مشـبعة. ولم يعـد قـط أن تكون الأوضاع عادلة، بل أنه هو سيكون عادلاً.

مع رغم أننا قد نظن أن الدنيا قست على أولئك الإخوة والأخوات الذيـن كنـا نقـرأ عنـهم، إلاّ أننـا تسـلمنا مهمـة روحيـة مســاوية في الصعوبة، وإن لم تزد. ومع ذلك تظل مبادئ التعامل مع كليهما واحدة.

إصدارات مكتبة المنار

١- هل حقًا تكلم الله؟
٢- جوني
٣- انهض وحارب
٤- لكي أربح
٥- العلاقة الحميمة مع الله
٦- رحلة في دروب الحياة
٧- أعماق نفسي
٨- ترس الصلاة
٩- لمسة رحمة لعالم جريح
١٠- نسل إبراهيم (الجزء الأول - العائلة)
١١- نسل إبراهيم (الجزء الثاني - مولد أمة)
١٢- الحرب الروحية
١٣- روعة الحياة بالإيمان
١٤- يشفي نفسي
١٥- القيادة - خدمة وعلم وتخطيط ومواجهة
١٦- العهود السبعة
١٧- كيف تنتصر على الخطية
١٨- المحبة - حينما تبدو مستحيلة
١٩- أين أجد الوقت؟
٢٠- اكتشاف المصير
٢١- العلاقات الصحيحة
٢٢- سر القط الضاحك (للأطفال)
٢٣- المسيح يحررك (كتيب)
٢٤- قاوموا إبليس (كتيب)
٢٥- أسرار النجاح الروحي



أســـــرار

النجاح الروحى

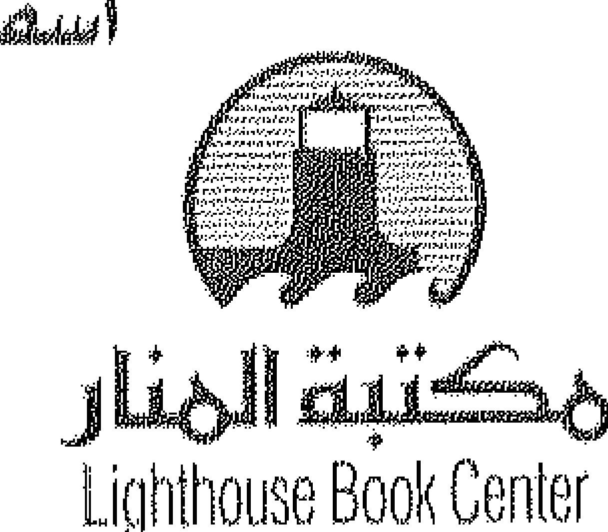
* لقد أدرك هؤلاء الذين عرفوا معنى الحياة فقدموا ذواتهم ذبيحة حية مرضية أمام الرب.

* عاشوا فى العالم وفرحوا بالسماء، عاشوا فى الجسد واتحدوا بالرب فكانت حياتهم للمسيح، بالمسيح، وفى المسيح، هذا الاتحاد «اتحاد الشركة» اعطاهم :

- أن يتحدوا بالطبيعة الإلهية وادركوا معنى صورة الله.
- فاتحدوا بانفسهم وادركوا معنى إنسانيتهم.
- واتحدوا بالبشرية وادركوا معنى المحبة «محبة الأعداء - والغفران - والصلاة من أجل المسيئين».
- واتحدوا بالزمن فعاشوا الأبدية على الأرض وفرحوا بملكوت الله فى داخلهم.
- واتحدوا بالمكان فصارت لهم السماء والأرض وطنا بقلوبهم المتحدة بالرب.

من خلال الكتاب سنتعلم أسرار الحياة الروحية الناجحة ونتعرف على اعضاء منتصرون ينتمون لذات الكنيسة الواحدة التى نحن اعضاء فيها جميعا: حتى نتشجع على ممارسة هذه الاسرار يوميا فى علاقتنا الشخصية الحميمة بالرب الحى.

نيافة
الأنبا توماس
أسقف القوصية ومير



مكتبة المنار
Lighthouse Book Center